حياة الإيمان



فيوليت ترافيلا



ارسالية فيوليت الجريئة

مارثا فنلي

مكتبة دار الكلمة LOGOS
نشر - توزيع لدينا حلم

إرسالية فيوليت الجريئة

حياة الإيمان

الكتاب الرابع

فيوليت ترافيللا

مارثا فنلي

إرسالية ڤيوليت الجريئة

ترجمة: د. إيفيت صليب

القاهرة - مصر

٢٠٠٩

مكتبة
دار الكلمة
LOGOS

نشر - توزيع

مكتبة دار الكلمة Logos
١٦ شارع محمود بسيوني - من ميدان الشهيد عبد المنعم رياض-
الدور السابع- شقة ٢١- وسط البلد - القاهرة - مصر

☎ (+٢٠٢) ٢٥٧٩٨٤١٤
٠١٦١١٣٧٣٢٩٨ __ ٠١٨٦٥٤٨٣٨٨
www.el-kalema.com
kids@el-kalema.com

الطبعة الأولى ٢٠٠٩

الفهرسة بدار الكتب المصرية
فنلي، مارثا.
إرسالية فيوليت الجريئة/ مارثا فنلي؛ ترجمة إيفيت صليب- القاهرة: مكتبة دار الكلمة، ٢٠٠٧
٢١٤ ص؛ ٢١ سم. - (حياة الإيمان؛ ٤. فيوليت ترافيلا)
تدمك X ١١٢ ٣٨٤ ٩٧٧
١- القصص المسيحية
أ- صليب، إيفيت (مترجم)
ب- العنوان ٢٧٤,٢

الجمع: زهور برنابا
المراجعة اللغوية: محمد السيد هلالي
الإخراج الفني وتصميم الغلاف: جرمين شفيق
رقم الإيداع : ٢٣٥٥٧/ ٢٠٠٧
ISBN :977- 384 -112-X

المحتويات

ــ مقدمة ــ

تتحدّث القصة الرابعة لفيوليت ترافيللا عن عودتها للجنوب حيث محبوبتها أيون، بعد أن أخذتها مغامراتها الحديثة لأماكن مختلفة مثل مدينتي روما ونيويورك. وذهابها لمدينة ساحلية ليست بعيدة عن مزرعة آل ترافيللا كي تحاول تطبيق ما تعلمته من الآخرين وإتمام التزامها الشخصي بالخدمة. لكن لن يكون تحقيقها لهدفها هذا سهلاً. فسيوجد العديد ممن سيشكّون في صدق نواياها، كما سيحاول البعض بشتّى الطُرق إيقاف تقدّمها، ولو بطرقٍ غير شرعية ومُؤذية.

هذا الكتاب هو الرابع في سلسلة حياة الإيمان لفيوليت ترافيللا. وتقوم هذه القصة على شخصيات ابتدعتها الآنسة مارثا فنلي في رواياتها الأكثر مبيعاً في القرن التاسع عشر عن إلسي دينسمور،والدة فيوليت "في"، وعائلتها. كانت الآنسة مارثا فنلي قد كرّست مجهودها لمنح شباب عصرها نماذج للحياة والإيمان المسيحي. ففي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ألهم عمل الآنسه مارثا فنلي ومدّ الملايين من قرائها من الشباب وأولياء أمورهم عبر الولايات المتحدة وخارجها بالأمل والرجاء والنصح والإرشاد.

ولهذا أخذت دار نشر إرسالية المدينة (mission city press) على عاتِقها مهمّة إحياء نشر رسالة الآنسة فنلي عن الإيمان والرجاء والمحبة للقراء المعاصرين، عن طريق تكييف الشخصيات وقصص القرن التاسع عشر لتلائِم التحدّيات والفرص التي تواجه الشباب المسيحي اليوم. ويسعدنا أن نستكمل إرسالية خدمة الآنسه فنلي مع أحداث رواية عن حياة الإيمان وهي إرسالية فيوليت الجريئة.

سيدات يُحدِثن تغييرات

كان التزام "في" بخدمة الفقراء أمراً غير عاديٍّ بالنسبة لشابات عصرها وفي مركزها الاجتماعي. ففي ثمانينيات القرن التاسع عشر كان الكثيرون

يتوقعون من الفتيات الثريّات وبنات العائلات الميسورة الحال أن يركزن فقط على الفنون الأُنثوية من أعمال الإبرة والرسم والموسيقى. وكانت فكرة أن تحصل الشابة على تعليم ملائم أو أن تسعى للعمل خارج المنزل الآمن والعائلة في بعض الأماكن شيء لا يمكن تخيُّله. فقد كان الجميع يعتبر السيدات مخلوقات ضعيفة وسلبية، تصلح فقط لأن تكون زوجة وأم. كما كان من غير المفروض أن يهتموا بالسياسة أو الأحداث الهامة لعصرهم، فهذا عمل الرجال فقط.

لكن كانت الأمور مع هذا في ثمانينيات القرن التاسع عشر تتغيّر. ففي عام 1887م، كتب كاتب في "كتاب السيدة التقيّة"- أكثر المجلات الأمريكية شيوعا للمرأة في العصر الفيكتوري- قائلاً: أنّ سيدة اليوم هي معجزة اليوم، فهي أعجوبة حتى لنفسها. فقد قيل لها لأجيال عديدة أنها لا تستطيع القيام بهذا وذاك، وأنها لا تستطيع القيام بشيء أو أن تكون شيئاً في الحقيقة إلاّ ما يقترحه عليها الرجل، الأمر الذي صدّقته وأكّدته حتى لنفسها....

استمرّ الكاتب في القول أنّ شيئاً جديدا يحدث في ثمانينيات القرن التاسع عشر- تغيير كبير، صحوة كبيرة- والسيدات يكتشِفن صوتهن الخاص ويجتمِعن معا لتحسين أوضاع الحياة لهنّ و للسيدات الأخريات: "....فلدينا فعلاً العديد من السيدات تعملن كمدرِّسات، وسيدات أصبحن مشهورات كوُعّاظ ومحامين وأطباء وفنانات، وكثيرات يعُلن ويعضّدن أنفسهن وآخرين في كل مجال من مجالات الحياة".

كانت السيدات بطرقٍ عدة أعظم مورد بشري غير مستغل في أمريكا. وكانت الشابات مثل "في" يستخدِمن مواهبهنّ الطبيعية وطاقاتهن في اهتمامات أوسع من مجرد العثور على زوج. كما بدأ الآباء والأمهات مثل إلسي ترافيللا في تشجيع طموحات وآمال بناتهن في استخدام كل المواهب التي منحها الله إياهن.

كانت السيدات بالطبع يعملن دائماً. كما كانت مساهمة السيدات في إقامة الأمة بمثل أهمية مساهمة الرجال. وكثيراً ما كانت السيدات الفقيرات والأرامل والغير متزوّجات هنّ العائل الوحيد لعائلاتهن. كما كانت المصانع والمحلات تعتمد على المرأة العاملة، بالرغم من نُدرة تساوي أجر السيدات العاملات مع الرجال الذين يقومون بنفس أعمال السيدات

أو ربما يقُمن النساء بأعمال أصعب. ففي الجنوب وبعد الحرب الأهلية، فقدت العديد من السيدات (مثل عمة "في" السيدة لويس كونللي) ثرواتهن وكان عليهن البحث عن طرق لكسب العيش لهن ولأطفالهن. كما وجد حملٌ إضافي على العبيد السابقين وهو محاولة جمع شمل الأسرة مرة أخرى التي تفرّقت بسبب العبودية. وكانت السيدات من أفخم القصور إلى أحطّ المنازل شأناً تسْعَيْن للحصول على معاملة أفضل لأنفسهن والسيدات الأخريات. لكن أيا كان وضعهن، مع هذا، فقد جعل القانون والعادات الاجتماعية نضال المرأة غاية في الصعوبة.

النِّضال من أجل الحصول على حقوق المرأة

يصعب اليوم جدا تخيُّل الوقت الذي كان فيه الغالبية العظمى من المجتمع الأمريكي غير مصرَّح لها بالتصويت والاقتراع، لكن هذا ما كان عليه الحال في المِئة والثلاثين عاماً الأولى للأمة.

يعني حق التصويت في دولة ممثلةً للديمقراطية مثل الولايات المتحدة الحق في الاقتراع وانتخاب الممثلين الحكوميين المنتخبين- بدءاً من العمدة المحلي ومجلس إدارة المدرسة وحتى رئيس الجمهورية. ويعني حق التصويت العالمي أن حق الانتخاب مكفول لكلّ مواطن. (توجد كلمة أخرى لحق التصويت وهي الحق الدستوري).

بل توجد دائماً بعض الحدود لحق الانتخاب مثل عُمر المنتخب، أي العمر الذي يعتبر فيه ناضجاً بما يكفي لاتّخاذ قرار من نحو انتخاب من يمثّلوه. فحين تم التصديق على دستور الولايات المتحدة من الولايات عام1787م، لم يسمح سوى للرجال مالكي الأراضي(وبالتالي يدفعون الضرائب) بالتصويت، وبمرور الوقت تم إزالة موضوع ملكية الأراضي من الولايات نهائياً، وفي عام1870م تمّ التوسُّع في حق الانتخاب ومنحِ الأمريكان من أصل أفريقي التعديل الخامس عشر للدستور. لكن السيدات بغضِّ النَّظر عن أصلهم وأعراقهم تم إقصاءهم.

قبِلت العديد من السيدات هذا الإقرار الحكومي لكن على بداية الثلاثينات والأربعينات من القرن التاسع عشر بدأت سيدات مثل لوكرتيا موت وإليزابيث كادي ستانتون في الدعوة بالمطالبة بحق المرأة في التصويت والانتخاب. وكانت العديد من الداعيات لحق المرأة في

التصويت والانتخاب ناشطات في حركة إنهاء العبودية. فقد كنّ يؤمن بوجوب أن يتساوى كل المواطنين- بغضّ النظر عن جنسهم أو عرقهم- في الحقوق. وتم انعقاد أول مؤتمر للمطالبة بحقوق المرأة في يوليو1848م في شلالات سينكا، بنيويورك، وأصدر هذا المؤتمر إعلان يدعو لحق المرأة في الانتخاب والمساواة في الحقوق من نحو التعليم والتوظيف. وقداقتبست السيدات المجتمعات في شلالات سينكا بكلمات إعلان الاستقلال وأكثر تحديداً باللغة المعتدلة لجون أدامز (الرئيس الثاني للولايات المتحدة) التي قالها في دستور ماستشتيوتيس القائلة: كلُّ الناس ولدوا أحراراً ومتساويين ولهم حقوق طبيعية وأساسية وخاصيّة غير متغايرة، من بينها حق التمتُّع بالحياة والدفاع عن حياتهم وحريتهم.

جذبت حركة المطالبة بحق المرأة في الانتخاب العديد من التابعين، رجالاً وسيدات على حد سواء. كان قادة الحركة ومنظميها أساساً من سيدات الإيمان ومعضّدي إنهاء العبودية والمؤمنين بالتعليم والعدالة الاجتماعية وتحسين مستوى المعيشة وظروف العمل للفقراء. كانت عملية تغيير قوانين الانتخاب عملية شديدة الصعوبة وتطلّبت الكثير من الجهود المُضنية. وكثيراً ما تعرضت السيدات المنظّمات للحركة للسخرية والتهديد وأحياناً للإعتداء الجسدي. كما تم إلقاء القبض على عدد منهن وأُلقين في السجون بسبب احتجاجاتهن.

أتى أول الانتصارات من مستوى القاعدة حين مُنحت قلة من المدن والمحليات الحكومية حق الانتخاب لكلِّ المواطنين في الانتخابات المحلية. وفي عام 1869م، منحت مقاطعة وايومنج السيدات حق الانتخاب في كلِّ الانتخابات، وحين أصبحت وايومنج ولاية عام1890م، كانت أول من ضمن حق المرأة في الانتخاب في دستورها، وبعدها بثلاث أعوام، تبنّت وايومنج المساواة في الحقوق. لكن مضت ثلاثون عاماً أخرى حتى حصلت كل السيدات الأمريكيات على حق الانتخاب.

تحرّكت دول أخرى قبل الولايات المتحدة بكثير في منح حق الانتخاب للجميع. فقد كانت نيوزيلندا أول ديمقراطية عصرية تمنحُ المرأة حق الانتخاب في الانتخابات الوطنية حين أصبحت أمة عام 1893م. وأثناء العقد التالي، تبِعت أستراليا وفنلندا والنرويج قيادة نيوزيلندا. و منحت كندا المرأة الحق في الانتخاب عام 1919م. وأخيراً، عام 1920م، منحت

فقرة التعديل الدستوري التاسع عشر السيدات الأمريكيات الحق في الاقتراع في الانتخابات القومية. أما في المملكة المتحدة فقد كانت الحرب أكثر ضراوة وأطول وقتاً من الولايات المتحدة، فلم يُمنح حق الانتخاب للمرأة هناك حتى عام 1928م.

إرسالية فيوليت الجريئة

شجرة حياة عائلة ترافيللا/ دينسمور

هوراس دينسمور الابن

تزوَّج من إلسي جرايسون التي توفيت ثم تزوج من روز آليسون دينسمور.

ولدت إلسي جرايسون ابنه تدعى: إلسي دينسمور ترافيللا (أرملة)، التي تزوجت من إدوار ترافيللا.

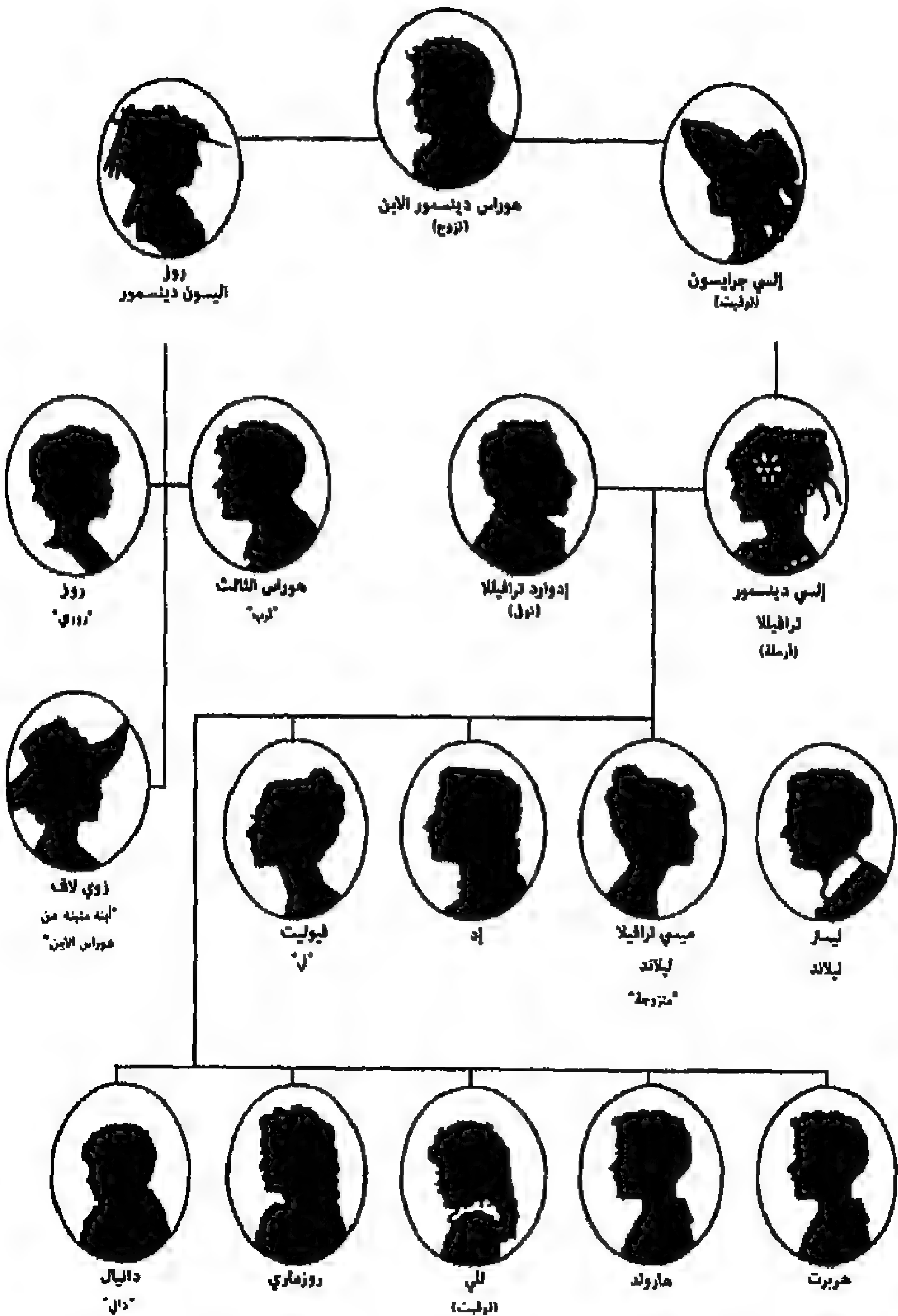
أبناء إلسي وإدوارد هم: ميسي ترافيللا ليلاند التي تزوجت من ليستر ليلاند. وإد، وفيوليت "في"، وهربرت، وهارولد، وللي (توفيت)، وروزماري، ودانيال "داني".

أما روز آليسون دينسمور فولدت ابن يدعى هوراس الثالث (ترب) وابنه تدعى روز (روزي)،

وابنه مُتبنَّاة بناء على وعد منحه هوراس الابن لصديقه الحميم تُدعى زوي لاف.

شجرة حياة عائلة

ترافيلا / دينسمور



مكان وزمان الرواية

تبدأ القصة في خليج أنديانا، على مدينة ساحلية بالقرب من مزرعة أيون الكبيرة التي تمتلكها عائلة ترافيللا، في نهاية صيف عام١٨٨٣م.

الشخصيات

مزرعة أيون

فيوليت "في"، الابنة الثالثة لإلسي والمرحوم إدوارد ترافيللا وفي الثامنة عشر من العمر.

إلسي دينسمور ترافيللا، والدة فيوليت وأرملة ثرية وصاحبة مزرعة أيون في الجنوب بجانب ممتلكات أخرى.

إلسي (ميسي) ترافيللا ليلاند، التي تزوجت من ليستر ليلاند ويحيون في روما ايطاليا.

إدوار(إد) ترافيللا، الابن- أخو "في" الأكبر في الثانية والعشرين من العمر، طالب في عامه الدراسي النهائي في جامعة مشهورة بالشرق.

هربرت وهارولد ترافيللا، توءم في الخامسة عشر من العمر.

روزماري ترافيللا، في العاشرة من العمر، أخت "في" الصغرى.

ودانيال "داني" ترافيللا، في السابعة من العمر،

أصغر أخوة "في".

السيدة مورين أوفلاهرتي، أرملة لمؤلف موسيقي مشهور الآن وصديقة "في" ورفيقتها.

العمة كلوي- مربية إلسي دينسمور منذ الصغر ورفيقة عمرها، وآمة سابقة،وتبلغ الآن الثمانين من عمرها.

بن وكريستال- خدم منزل منذ أمد طويل في أيون.

أنوك وكريستين ريف- موظفين لهم قيمتهم في أيون.

مزرعة أوكس

هوراس دينسمور، الابن، جد فيوليت و روز زوجته، وهم أصحاب مزرعة أوكس.

زوي لاف- تبلغ الثامنة عشر، ابنة دبلوماسي أمريكي متوفى وتحيى الآن في رعاية وتحت وصاية هوراس دينسمور الابن.

خليج أنديانا

د.سيلاس لانسنج- جراح مشهور وزوجته، نعومي، مواطنين مشهورين في خليج أنديانا، وأصدقاء قدامى لعائلة آل ترافيللا.

الآنسة أميلي كلايتون- ممرضة محترفة.

د.بومان- طبيب شاب.

السيد أركيبلد- نجار ماهر وبارع.

السيد والسيدة مارفن نلسون، والآنسة كران، والسيدة دنتون، والسيدة ماري أبلتون وأبنتها بولي- سكان ويلدوود، حي من أحياء خليج أنديانا.

توباس كلنش- صاحب فندق ويلدوود.

جيس جانكنز- احد موظفي السيد كلنش.

رقيب بيفي- رجل شرطة.

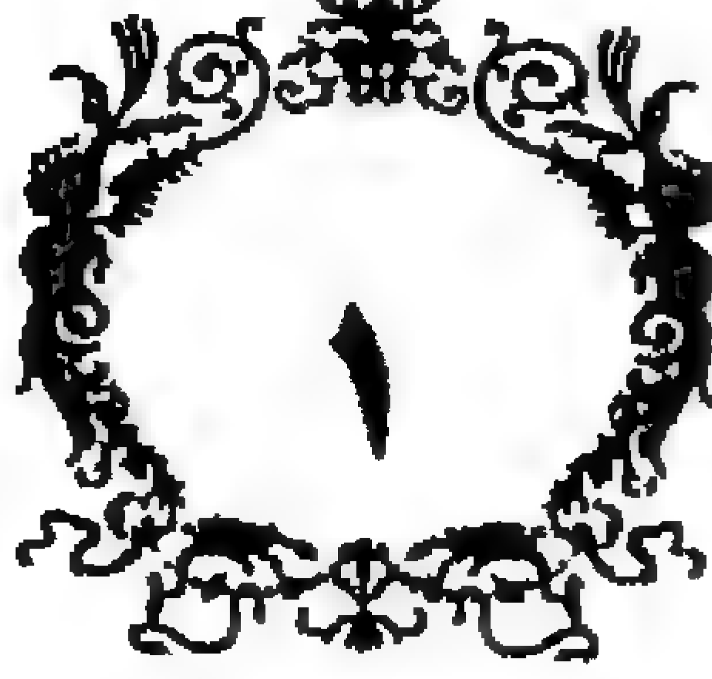
آخرون

تانسي أيفانز- في الحادية عشر، وأختها ماريجولد في السادسة من العمر

د.ماركوس داريوس ريموند- بروفسور بالجامعة وصديق لإد ترافيللا.

أبنيزيز جرير- مالك أراضي من جنوب كارولينا.

السيد بارتلبي- محامي في جنوب كارولينا.



الأحتياج لمنزل



لأَنَّ كُلَّ بَيْتٍ يَبْنِيهِ إِنْسَانٌ مَا، وَلَكِنَّ بَانِيَ الْكُلِّ هُوَ اللهُ

عبرانيين٣: ٤



كان صباح يوم الاثنين مشرقٌ في بداية شهر سبتمبر- فلا يزال الطقس وكأنه منتصف الصيف في الجنوب. كانت الأصوات الصاخبة والعمال الذين يعملون تصِل الطابق الثالث حيث كانت تعمل شابتان مرتديتان مَريلتان قُطنيتان فوق ملابسهن العادية وتضعان أغطية رأس ملوّنة على شعرهن.

قالت روزماري ترافيللا بعدم صبر: أين قطعة قماشي الخاصة بالغسيل؟. ووقفت وحملقت فيما حولها في الغرفة النصف مؤثّثة وكشّرت.

سألت زوي لاف: أين وضعتها آخر مرة؟

هتفت روزماري بخبطة من قدمها: في يدي!

كتمت زوي ضحكتها وقالت: إنها هنا في مكان ما، لكن إذا لم تجديها يوجد العديد من بقايا القماش في الصندوق الذي على السرير يمكنك إحضار أيٍّ منهم واستعمالها.

عبسّت روزماري لكنها أخذت قطعة قماش أخرى وغمرتها في دلوٍ ممتلئ من الماء والصابون. ثم عادت لاستكمال مهمتها وهي غسيل قدمِ طاولةٍ قديمةٍ لكنها متينة. كانت روزماري البالغة الثالثة عشر من عمرها قد امتلأت بالفرح لطلب أختها الأكبر "في" منها أن تساعد في النظافة، لكنها كانت دائمة الشكوى.

و قالت بعد عدة دقائق من التنظيف الجاد: أنا لا أعلم كيف يمكن أن تتّسخ الأشياء لهذه الدرجة؟

أجابت زوي: لم يسكن أحد بهذا المنزل منذ سنين طوال، فهو ليس مثل أيون حيث ينظّف الناس كل يوم، فنحن ننظّف مكاناً مهجوراً من سنين. لكن لابد أنه كان منزلاً جميلًا حين كان الناس يسكنون به. وسيكون منزلاً نظيفاً حين ينتهي كل العمل به.

قالت روزماري: لن يكون جميلا، بالرّغم من هذا.

قالت زوي: ليس هذا ما تنوِيه "في" له، فهذا المنزل سيكون إرسالية،

وتريده "في" أن يكون نظيفاً ومريحاً للناس الذين سيأتون إليه- لا مكان عرض. سيكون مكاناً يرحّب بكلّ من يأتيه ويعمل جميع من فيه لخدمة الآخرين.

قالت روزماري بأنين: حسناً، أنا لا أفهم لماذا لم تَختر منزلاً جديداً كمكان لإرساليتها.

كان على المنزل أن يكون بحق مكان خدمة- محققاً لسنين من أحلام وتخطيط فيوليت ترافيللا.

كان هذا منزلاً قديماً بُني عام 1820م حين كان الحي هو المكان السكني الأساسي للمدينة الساحلية لخليج أنديانا. وتم التوسّع في المكان عبر السنين لدرجة أن أرضه أصبحت تحتلّ تقريباً مجمّعاً سكنياً كاملاً للمدينة، لكن ملاكه الأصليين أفلسوا في الحرب الأهلية واضطروا لبيع أجزاء كبيرة من الأرض لدفع الضرائب، لكنهم لم يوافقوا أبداً على بيع المنزل والإسطبل ومركبات المنزل ورقعة الأرض المختصرة القائم عليها المنزل مهما كانت درجة ضائقتهم المالية.

ورث أخ وأخت- كلّ من بقي من العائلة الأصلية- المنزل منذ سنوات قلائل بعد الحرب، وكانوا يحيْون وحدهم،و نادراً ما يروْن أحد غير البقّال الذي كان يجلب لهم الطعام ويأخذ منهم أحياناً الخطابات ليرسلها. ومنذ خمس سنوات مضت، مات الاثنان بسبب وباء الكوليرا. وورث المنزل أقرباء من بعيد كانوا يُحاولون بيعه من حينها. لكن لم يرغب أحد في شراء منزل مُتهالك في حي فقيرٍ وبعيد.

أثناء إعادة البناء، انتقل ميسوري حال المدينة للإقامة في أماكن أخرى- بعيداً عن الميناء وخطوط السكك الحديدية واتّجهوا نحو التلال الخضراء المُنحدرة في الغرب. وأصبح الحي القديم أكثر فقراً وسيئاً السمعة، وتهالك المنزل مثله مثل من حوله من منازل. وتم تقسيم العديد من المنازل المحيطة لشقق وفنادق للفقراء والعاطلين، كما تم هدم الآخرين أو أكلتهم نيران الحريق.

نجا هذا المنزل من كلّ هذا بطريقة ما. وعبْر السنين، أصبحت حديقته الغنّاء جرداء مليئة بالحشائش والأشواك وفروع متشابكة من العروش الخشبية. وأصبحت الأشجار لعدم تقليمها مُلتوية ومعرّشة و شعِثة

والسور الدائم الخضرة الدائر حول المنزل امتدّ للخارج ولأعلى مكوناً جداراً لا يمكن اختراقه، وكنتيجةٍ لهذا أصبح المنزل مختبئاًعن العيون. ولظلامه ومنظره الغريب أصبح موضوع للإشاعات والقيل والقال. فدعاه البعض ب"منزل الأشباح"، وبعد وفاة الأخ والأخت بدأ الناس في تلاوة قصص عن سماع أصوات غريبة وضوضاء وأنوار تأتي من داخل المنزل في الليالي الغير مُقمرة. وازدادت القصص مع السنين رُعباً لدرجة أنّ أكثر الرجال والأطفال جراءة لم يقدموا على الاقتراب من البوابات الحديدية المزخرفة لمدخل المنزل.

ثم اكتشفته "في" ترافيللا، التي كانت تبحث لعدة شهور في المدينة عن مبنى مناسب للإرسالية، ورأت قلّة من الأماكن التي قد تصلح لكنها لم تكن مقتنعة تماماً بأيٍّ منهم. ثم قال لها أحد السماسرة في مرة عرضاً " حسنا،سيظلُّ يوجد أمامنا دائماً "منزل الأشباح" في شارع ويلدوود. فمنذ توفى أصحابه القدامى وهو معروض للبيع منذ خمس سنوات مضت.

وبالرُّغم من أنَّ السمسار كان يلمِّح فقط، إلا أنه أثار اهتمام "في". فسماعها عن المنزل المتهالك وأشباحه أثار فضولها جداً فأصرَّت على أن تراه، وتغلَّبت على حكمة السمسار بل وأقنعته بذلك.

وعلمت منذ اللحظة الأولى التي سارت فيها في الحجرات المظلمة والقذرة والمُبعثر بها الأثاث المهجور أنها عثُرت على مكان إرساليتها.

وعادت في اليوم التالي مباشرة إليه مع والدتها وأخيها الأكبر إد الذي كان أكثر من متشكّك في إمكانية إصلاح المنزل القديم وقال إنَّ الأمر غير عمليٍّ على الإطلاق، لكن إلسي ترافيللا نظرت إليه من خلال عينيْ ابنتها ورأت ما رأته "في"- منزلٌ واسع وملائم يمكن إنقاذه وإصلاحه وتغييره.

تبع هذا الكثير من المناقشات العائلية، الذي قدَّم فيها إد اعتراضاته ووضعتها "في" موضع الحُسبان. وتم تقديم بعض الحلول الوسط ثم أخيراً وافق الجميع على شرائه. على أن تقوم إلسي بشرائه باسمها ثم حين تبلغ "في" السن القانوني بعد سنة تتحوَّل ملكية المكان لها. لكن وتحت إصرار إد لم يتم البدء في القيام بأي عمل في المنزل حتى تم اختباره وتفحُّصه من مهندس معماري متخصص ويتم تعيين مُقاول مباني شهير وماهر لترميم و إصلاح المنزل.

قال إد نصف ضاحكاً: أنا لا أريد أن تسقُطي من هذه الأدوار المتهالكة يا أختي الصغيرة، ففي الحقيقة يا "في"، هذا المنزل لم يتم العناية به من قبل الحرب الأهلية ويحتاج لسِباكة وتدفئة وإنارة. والسقف في حالةٍ سيئةٍ والمطبخ متهالك، ويحتاج لكمٍ هائلٍ من العمل قبل أن تستطيعي البدء في التفكير في فتحه لأحد، كما أنه سيحتاج للكثير من النقود.

قالت إلسي مذكّرة إياه: إنَّه مالٌ يُصرف في خدمة الرب. لا تقلق، سأُراقب الإنفاق بنفسي، وأنت و"في" تراقبان العمل، على أن تقوما بإبلاغي بالمصاريف وتُعلماني بمدى تقدُّم العمل، كما يحدث في كل عمل آخر. عدا ذلك، أترك لكما اتِّخاذ كلِّ القرارات اللازمة.

تم الإيفاء بطلبات إد سريعاً، وتأكّد من أنَّ المنزل في حالةٍ بنائيةٍ سليمةٍ فتم البدء في ترميمه وإصلاحه. فقدعمل المهندس المعماري بالقُرب من "في" للتخطيط لحجرات المنزل الداخلية التي كانت في فترة ما مليئة بالعائلة والخدم والضيوف المهمين- قيل أن الجنرال روبرت. إي. لي كان ضيفاً شبه دائم على المنزل- لتصبح ملائمةً لمهامٍ أخرى جديدة. فالرَّدهة المضاعفة القديمة ستصبح حجرة اجتماعات وطعام. وحجرة الطعام القديمة ستتحوَّل لمطبخ حديث عصري، والمكتبة القديمة وحجرة الجلوس ستتحوَّلان لمكتب ومخزن للمُؤن. كما ستتحول حجرات الطابق الثاني لقاعات للفصول المدرسية، وحجرة للعب وعيادة طبيّة وهكذا حتى الأدوار العليا.

قام العمال بأداء أعمالهم بكدٍّ طوال الربيع والصيف وعلى أول يوم من سبتمبر كان للمنزل سقفٌ جديد ومياه صحية نقية وحمامات لكلِّ طابق، وإنارة بالغاز وفرن ضخم يشتعل بالفحم. وتم تنظيف المداخن القديمة وتم إعداد الكثير من المدافئ لنيران الشتاء. وأصبح العمل في ترميم المنزل داخلياً على قدمٍ وساقٍ. فقد تمّ إزالة الحوائط القديمة وبناء جُدد، و تم إعادة وضع الأبواب القديمة في أماكنها بعد إصلاحها والنوافذ التي لم تفتح لعقود تم إصلاحها وفتحها.

كان الناس في الحي يراقبون العمال وهم يجيئون ويذهبون وسُرعان ما انتشرت القصص والتخمينات عما كان يُفعل بالمنزل القديم. هل سيكون فندقاً؟ أم منزل إعاشة آخر؟ وأدرك الناس مع استمرار العمل أنَّ أحدهم يصرف مبلغاً ضخماً من المال على منزل قديم، وانتشرت

الاحتياج لمنزل

شائعة تقول أنّ الأثرياء سيعودون للحي مرة أخرى وينوون طردّ الفقراء من المنطقة. وتسبّب هذا في ريح محمّلة بالخوف والغضب، حتى سأل أحد السكان المحليين أخيراً السيد أركيبلد، رئيس النجارين، عما يحدث في المنزل. وأعلم الرجل الفضولي بأنّ سيدة مسيحية تحوّل هذا المنزل لإرسالية ومدرسة، استقبل معظم سكان الحي الكبار هذه الأخبار بترحيب، لكنّ الكثيرين غيرهم استمروا على شكوكهم وكان البعض منهم عدائيّين- لأسباب لم تعلمها "في" لبعض الوقت.

كانت زوي وروزماري لازالتا تنظفان حجرة نوم التي في الطابق الثالث حين دخلت السيدة أوفلاهرتي . فبدأت روزماري في الشكوى مرة أخرى، فقالت السيدة أوفلاهرتي : صهِ يا بنت وانظري حولك لما أنجزت اليوم. فقد كانت هذه الطاولة القديمة تبدو مثل قطعة نِفاية والآن بعد أن غسلتها جيداً أصبحت أنيقةً مرة أخرى، وانظري للعمل الخشبي الذي نظفته والأرض التي دعكتها يلمعان الآن كالجديد.

نظرت روزماري للغرفة واعترفت أخيراً قائلة: إنها تبدو بالفعل أفضل كثيراً.

سألت زوي: ماذا عن ورق الحائط القديم؟ إنه باهتٌ لكنه الآن مغسول، وأظنُّ أنه جميل، ولابد أنه كان ساطع الألوان حين وضع أولاً، لكني أحب شكله الآن وهو ناعم هكذا. أنه يشبه منظر الحديقة في يوم طقسه مليء بالضُّباب.

قالت السيدة أوفلاهرتي: أعتقد أن "في" توافقك الرأي في هذا، فبالرّغم من إجراء الكثير من التغييرات في المنزل إلا أنها تريد أن تحافظ على تاريخه على قدرِ المُستطاع كما حدث مع هذا الطابق. وعلى ذكر تاريخ المنزل لدينا مهمّة أخرى هذه الظهيرة.

تأفّفت روزماري قائلة: أرجوك، لا مزيد من الغسيل.

قالت السيدة أوفلاهرتي:لا، بل سنذهب لنصطاد الكنز، ف"في" تريدنا أن نبحث في الطّوابق الأعلى عن أشياء مفيدة، إنها ممتلئة تقريباً بالعوارض الخشبية والأثاث القديم والصناديق وأكوام من اللوحات الفنية. يوجد يا روزماري صناديق لم تفتح من أكثر من ثلاثين عاماً فمن يدري ما الذي سنجده بها؟

إرسالية فيوليت الجريئة

أثارت فكرة فتح صناديق اهتمام روزماري فأعلنت استعدادها الفوري للعمل في تلك الطوابق.

قالت السيدة أوفلاهرتي : ليس بعد، فعليّ أنا وأنت أن نغسل هذه النوافذ أولاً، بينما تنْظف زوي الرّف الذي يعلو المدفأة، وحين ننتهي سنذهب لتناول غذائنا، حيث تكون "في" قد عادت حينها، ويمكننا جميعا تفحّص الطوابق الأعلى معاً.

لم تكن روزماري متحمِّسة لفكرة المزيد من الغسيل والنظافة لكن توقُّع الغذاء أبهجها.

جلبت السيدة أوفلاهرتي دلواً به ماء، تفوح منه رائحة الخلّ، ورُزمة صغيرة من الجرائد، جعلت روزماري تقطع أوراقها لقطع كبيرة.

سألت روزماري وهي تقطع الورق: لماذا لا نستعمل قطع القماش البالي؟ فالورق يجعل اليد سوداء بسبب الحبر.

شرحت السيدة أوفلاهرتي قائلة: سنغسل النوافذ أولاً بقطع القماش القديم والماء الموضوع به الخل ثم سنلمِّع الزجاج بالورق، وبهذه الطريقة لن توجد أيٌّ بقايا من الخيوط خلفنا، وسنجعل هذه النوافذ تتلألأ.

سألت روزماري: وماذا عن خارج النوافذ؟ إن الزجاج الخارجي للنوافذ أكثر قذارة من الداخلي.

قالت السيدة أوفلاهرتي : هذه مهمّة يؤدِّيها الرجال على السلالم.

وسُرعان ما بدأت روزماري في الغسيل بالقماش وكلّما نظّفت زجاجاً لمُعته السيدة أوفلاهرتي بالورق الذي كان يُحدث صريراً صغيراً يجعل روزماري تُجلجل. ثم ضحكت قائلة: إنه يبدو مثل فأر يغنّي، في رأيك ما هي الأغاني التي يمكن أن يغنيها الفأر؟

اقترحت زوي: ثلاث فئران عُمي؟

هتفت روزماري: بالطبع!. وبدأت تغني أغنية الحضانة القديمة بصوتها السوبرانو الموسيقي. وحين انتهت، بدأت السيدة أوفلاهرتي في غناء أخرى، وسرعان ما كان ثلاثتهم يغنُّون بفرح وهنّ يغسِلن ويلمِّعن.

حين دخلت "في" الغرفة بعدها ببعض الوقت كانت تضحك قائلة:

الاحتياج لمنزل

كنت أتساءل من يشرق إرساليتنا بالأغاني. وهي تنظُر حولها في الغرفة وأكملت: إن كان الغناء يأتي بهذه النتيجة فأرجوكم لا تتوقَّفوا عنه. فالغرفة تبدو رائعة! أستطيع الآن رؤية كم كان هذا المنزل جميلاً. بل أستطيع حتى الانتقال لهذه الغرفة اليوم.

ارتاعت روزماري من المفاجأة وقالت: لكنك لن تنتقلي، أليس كذلك؟. بدا على سؤالها الاهتمام الشديد وأكملت: إنك لن ترحلي عن أيون؟

قالت "في" مهدِّئة: كنت فقط أعني أنَّ أيَّ شخص يمكنه العيش في هذه الحجرة الآن.

قالت زوي: ليس قبل أن نعثُر على فراش للسرير، فهذا بحق هو الشيء الوحيد الذي ينقص هذه الغرفة، لكن لا يمكن الاستغناء عنه إذا نوى أحد النوم في هذه الغرفة.

سألت حينها السيدة أوفلاهرتي قائلة: أخبرينا الآن يا "في" ما نتيجة زيارتك لطبيب العيون؟

تحوَّلت ابتسامة "في" في الحال لتجهُّم ونظرت لحقيبة يدها الصغيرة المعلَّقة على ذراعها وفتحتها وأخرجت منها شيئاً صغيراً وأمسكت به وقالت في ذُعر: هذه.

هتفت زوي: نظَّارة!

انضمَّت روزماري لزوي قائلة: ارتديها! أودُّ أن أراك وأنت تلبسينها.

فرفعتها "في" وهي مُكرهة ورأسها لأسفل ووضعتها على وجهها وثبَّتت ذراع النظارة وراء أذنيها ثم رفعت رأسها.

انفجرت روزماري ضاحكة وقالت: تبدين مثل مدرِّسة.

أجابت "في": بقدرٍ كبيرٍ من التهكُّم.شكراً جزيلاً

قالت روزماري معتذرة: كنت أقصد أنك تبدين أكبر - أكثر- أكثر نضجاً.

قالت زوي: أرى أنك تبدين رائعة، فالنَّظارة تناسبك تماماً.لأنها لا تخبِّئ عينيك على الإطلاق. لكن هل ترين بها بطريقةٍ أفضل؟

أجابت "في": حسنا، أنني أقرأ بطريقة أسهل، والحروف التي في الخطابات لم تعددقيقة، كما قال لي طبيب العيون أنَّ عينيَّ لن تشعر

بالإرهاق بعد الآن وأنني لن أصاب بالصُّداع أيضاً، ويقول أنني سأعتاد عليها، لكني لا أظنُّ هذا. فهي تشعرني بأني غريبة كما أنها غير مريحة، وكأنَّ شيئاً ملصقاً برأسي.

قالت زوي: ستعتادين عليها، كان أبي يرتدي نظارة للقراءة ولم يكن يذهب لأيِّ مكان بدونها، لكنها لم تكن جميلة مثل نظارتك.

حرّكت السيدة أوفلاهرتي رأسها لأحد الجوانب لتتفحّص "في" وقالت: أنك لا تبدين أكبر سناً يا"في"، لكن روزماري كانت على حق حين قالت أنك تبدين أكثر نضجاً. ورأيي أنك تبدين مثل شابة مفكّرة جيدة جداً. شابة شديدة الجمال ولديها عقل.

قالت زوي وهي تنزع غطاءَ الرأس عن شعرها ليظهر شعرها الأشقر الجميل: إذا كان الحال هكذا، فإنني أريد نظارة لنفسي في الحال، فأنا أعاني الأمريّن لجعل الناس تفهم أنّ لديّ عقلاً لا ريش نعامٍ في رأسي.

جعلت هذه الملحوظة "في" تضحك مرة أخرى. وخلعت نظارتها الصغيرة ووضعتها على المنضدة وقالت: حسناً، إنني لا أقرأ الآن لذا ليس عليّ أن ألبسها، ثم قالت بحزم: هل أنتم جائعون؟ إن سلّة الطعام التي أعدّتها لنا كريستال تنتظرنا في المطبخ.

كانت روزماري خارج الغرفة قبل أن يتمكّن أحد من قول أي كلمة أخرى.

فقالت السيدة أوفلاهرتي ضاحكةً: إذا حدث وتاهت هذه الفتاة في أي وقت فأنا أعلم أين سأجدها، فكل ما سأحتاج لفعله هو الصّياح "طعام" وستأتي مُهرولة.

تناولوا غذاءهم الشهي الذي أعدّته لهم مدُبرة منزل أيون في المطبخ النصف مجهز. وبعد أن أعلنت روزماري أخيراً أنها شبعت غسلوا أطباقهم ثم تسلّقوا السلالم الخلفية الضيقة التي تقودهم للطابق الثالث، ليصلوا للطوابق الأعلى من خلال بوابة في رُواقه.

كانت العلية ممتلئةكثيراً بالعوارض الخشبية، وتمكّنت السيدة أوفلاهرتي بمساعدة "في" من فتح واحدة من فتحات السقف التي كانت تعمل كفتحة تهوية، حتى يدخل الهواء النقي تلك الطوابق ، ومع هذا ظلّت الغرفة شبه مظلمة لذا أضاءوا العديد من لمبات الزيت.

الاحتياج لمنزل

قالت روزماري حين أُضيء النور: أوف! أنا لم أرَ أبداً هذا الكمّ الهائل من شِراك العنكبوت، ألا يجب أن نزيل التراب أو ما شابه قبل أن نبدأ في تفحُّص هذه الأشياء؟

قالت السيدة أوفلاهرتي: يجب ألاّ نرفع التراب كثيراً وإلاّ لن نستطيع التّنفس، يمكننا تفحُّص كلّ شيء ومعرفة ما يمكننا استخدامه، والتنظيف ينتظر ليوم آخر.

ثمّ بدؤوا في تفحُّص الأشياء ولم يمضِ وقت حتى عثروا على بعض الأشياء الثّمينة. فقد عثُرت "في" وزوي تحت حشيّةٍ ممزّقةٍ وباليةٍ على أريكةٍ جميلةٍ من الخشب المنقوش. ورأت "في" خلف كومةٍ من الصناديق ما بدا لها كسرير طفل موضوع في الركن القصيّ. كما وجدت السيدة أوفلاهرتي مكتباً أمريكانياً بحصيرةٍ تحت بطانية، وعثرت روزماري على كرسي دوّار يتماشى مع المكتب.

قالت السيدة أوفلاهرتي: سيكونان رائعين لمكتبك، فالمكتب به أدراج كبيرة وعميقة ومكان جيد للتّخزين ويمكنني حتى رؤيتك يا "في" تعملين عليه وتحتفظين فيه بسجلاتك.

أجابت "في": لا تذكّريني، بكتابة السجلات والحفاظ على البيانات؟ أعلم أنّ عليّ أن أقوم بهذا لكنّي لا أتطلّع له.

قالت روزماري وهي ترفع بحرص غطاء أحد الصناديق البالية: ربما يمكنك توظيف سكرتيرة.

أجابت "في": بعد أن نوظّف طباخة وممرّضة ومن يقوم بالعناية بالأرض المحيطة بالمنزل ويُذكي الفرن، وبعد أن نشتري مكاتب وكتباً للفصول الدراسية وكتباً مقدسةً وكتب ترانيم لحجرة الاجتماعات و...

قاطعتها روزماري قائلة: فهمت، لم أكن أفكّر في كلّ هذه الأشياء المهمة، لكن أُنظري ما وجدت! أعتقد أنها ستائر وفراش للأسرّة وهم في منتهى الجمال.

قالت السيدة أوفلاهرتي بعد أن تفحّصت محتويات الصندوق: معظمهم في حالة جيدة، وإذا لم يتم استخدامهم على حالهم هذا فيمكن استخدامهم بعد أن يقطعوا ويخيّطوا ليصلحوا لأغراضٍ أخرى. وأضافت وهي تربُت على كتف روزماري: إنه اكتشاف رائع.

ما إن انتهوا من تفحّصهم لتلك الطوابق حتى قرّروا أن يأخذوا بعض الأشياء لأسفل للطابق الثالث، لرغبتهم في إفساح المكان للنجارين حتى يستطيعوا العمل بأكثر سهولة في نقل القطع الأكبر والثقيلة من الأثاث. فعملوا وكأنهم في مصنع حاملين الصناديق الممتلئة بالأقمشة وفراش الأسرّة والملابس وأدوات الطعام والأكواب الزجاجية والكتب ولعب الأطفال القديمة والطريفة خارجاً. وبعناية شديدة أبعدوا الكثير من اللوحات الفنية والمزخرفة المكدّسة في العِلية، وتمّ تخزين الجميع في غرفة نوم لم يتم تنظيفها بعد في الطابق الثالث.

تفحّصوا الأشياء التي وجدوها وصنّفوا استخدام كل منها ومكانه، لفت انتباه زوي لوحة فنية في إطارٍ مربعٍ لشاب وفتاة يشبهان بعضهما لدرجة يمكن معها التخمين بأنهم أخٌ وأخت، كانت الفتاة تجلس منتصبةً على كرسي واضعةً عروسة على حجرها وممسكة بها والشاب واقف بجوارها وكلب صغير يلعب حول قدميه.

قالت روزماري: إن ملابسهم غريبة جدا.

أجابت زوي: ليست غريبة، لكنها فقط من عصر مضى، يا ترى من هما؟ وهل كانوا يحيون بهذا المنزل حين كان جديدا وجميلا.

قالت روزماري: ربما يكونا الأخ والأخت اللذين كانوا يمتلكونه وماتا به.

جاءت "في" لتنظر للوحة وقالت بنعومة: إذا كانوا هم، أرجو أن يكونوا سعداء بما نقوم به لمنزلهم.

قالت زوي بطريقتها الحماسية: سأنظّف الإطار غدا، ثم سأضع اللوحة فوق رفّ المدفأة في حجرة النوم التي انتهينا من تنظيفها اليوم، وبهذه الطريقة يستطيع الأخ والأخت رؤية ما يحدث بمنزلهم.

سألت روزماري: هل تقصدين يراقبونا مثل الأشباح؟

ضحكت زوي وقالت: بالطبع لا يا سخيفة، أنت تعلمين أنه لا يوجد ما يسمّى بالأشباح.

قالت روزماري: أعلم، لكن الناس يطلقون على مثل هؤلاء أشباح المنزل، لذا لا يمكنني سوى أن أتخيّل.

قالت لها السيدة أوفلاهرتي بنبرةٍ تشبه التوبيخ لكنها ممتلئة من التسلية: دعكِ من هذا التخيل والهُراء يا فتاة. وانصتى جيداً ، ما الذي تسمعيه؟

رفعت روزماري رأسها وأنصتت وبعد عدّة دقائق قالت: لا شيء. آه، أني أسمع بعض الطيور تُزقزق وبعض الضوضاء من الشارع، لكن لا دق ولا خياطة أو خبط، لابد أن العمال أنهوا عملهم لليوم.

وسمعوا صوت عامل ينادي عليهم ويقول: يا آنسة ترافيللا سنذهب لمنازلنا الآن. وكأنه يجيب على كلامها.

أسرعت "في" للرّدهة ومالت على الدرابزين وقالت: أشكرك يا سيد أركيبلد، أراكم غدا.

أجاب الصوت: نعم يا سيدتي.وبعدها بعدّة لحظات سمعت "في" صوت غلق الباب الأمامي.

كانت "في" تنظر لساعتها الصغيرة وهي تعود للآخرين وقالت: أنها الرابعة والربع، وموعد بن للحضور بالمركبة في الرابعة والنصف، وأنتم تعلمون أنه لا يتأخر أبداً. وأود بما أن لدينا المركبة اليوم أن نأخذ بعض من هذه الكتب القديمة معنا. وأرسلت روزماري للدور السفلي لتراقب حضور بن، وأمضَت هي وزوي والسيدة أوفلاهرتي بعض الدقائق الأخرى في نقل الأطلال من عمل اليوم، وأحضروا اللمبات الزيتية من أعلى وتأكّدوا من خلوّها تماما من الفتيل ثم ملئوا صندوقين صغيرين من الكتب وأخذوا حقائب يدهم وسُتراتهم ونزلوا للدور السُّفلي حيث كانت المركبة من أيون تنتظرهم عند المدخل وبن يساعد روزماري في وضع سلّة غذائهم داخلها.

أخذت "في" سلسلة مفاتيح من المطبخ وأخذت هي والسيدة أوفلاهرتي جولةً سريعةً في الدور الأول- ليطمئنّوا إلى أنّ كلّ النوافذ والأبواب مغلقة بإحكام، وكانتا على وشك غلق الباب الأمامي حين سمعتا صوت خطواتٍ مسرعةٍ وخفيفةٍ خلفهما، فابتسمت السيدة أوفلاهرتي قائلة: أحد الأشباح؟

نظرت "في" للخارج ورأت روزماري تجلس بالمركبة فأعلنت: أنها زوي، لابد أنها نست شيئاً.

مرّت عدّة ثوان أخرى وسمعوا صوت نفس الخطوات الخفيفة تنزل السلالم وظهرت زوي ممسكةً بتنّورتها لأعلى ومسرعةً في خُطاها.

سألت "في" حين كانت زوي تقترب من الدور الأرضي: ما الذي نسيته؟

أجابت زوي بتعبيرٍ صارمٍ مستهزئ: أنا لم أنسَ شيئاً، بل أنت من نسى يا آنسة فيوليت ترافيللا. ولوّحت بنظارة "في" المعدنية بيدها. وقالت زوي للسيدة أوفلاهرتي: علينا أن نُراقب صديقتنا جيداً جداً، لأنها تبدو مغيّبة العقل في سنّها العجوز هذا.

أخذت "في" النّظارة بخجل ووضعتها في حقيبة يدها الصغيرة، وخرجوا للظهيرة الجميلة الصافية وتنفّسوا النسيم العليل. واستدارت "في" لتغلق الباب الأمامي وتضع عليه قفله، ففي خلال ساعة سيكونون قد عادوا لبيتهم في أيون مرة أخرى.

الفصل

٢

العودة لأيون



وَإِذْ هُمْ يَكْسِرُونَ الْخُبْزَ فِي الْبُيُوتِ كَانُوا
يَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ بِابْتِهَاجٍ وَبَسَاطَةِ قَلْبٍ

أعمال الرسل ٢: ٤٦



قفزتْ روزماري من المركبة حين وصلوا لأيون قبل أن يستطيع بن النزول منها لمساعدة السيدات على النزول، فقد أعلنت خلال رحلتهم الطويلة من المدينة رغبتها الشديدة في أخذ حمامٍ طويلٍ وهي تجري الآن سعياً وراء تحقيق هدفها.

قالت "في" ضاحكة: تصرُّف روزماري يجعلك تعتقدين أنها كانت تعمل في منجمِ فحمٍ طوال النهار.

أجابت السيدة أوفلاهرتي: العجب يكمُن في أنها كانت تعمل، لكنها كانت تعمل اليوم بحق، وقد عملت بكدٍّ وجدٍّ، وقد استحقَّت حمامها الساخن بالماء والصابون.

قالت زوي وهُن يصعَدن السلالم للباب الأمامي: إنَّ روزماري فتاةٌ مرحةٌ، وعلى قدر ما أرى تتبرَّم وتشتكي لكنها أبداً ما تتخلَّى عن واجباتها. كما أنها تُضحكني. فكل أسئلتها وتعليقاتها تعبِّر عنهم بجمل كوميدية. فهل ستأتي معنا غداً؟

أجابت "في" بأنها لن تذهب معهم في الغد لأنَّ لديها دروساً يجب عليها حضورها مع والدتهم. وسُرَّت "في" لسماع أنَّ أختها كانت مفيدة، فقد كانت تأمل أن يتمكَّن كلُّ أفراد عائلتها من المشاركة في الإرسالية.

وما إن دخلوا لردهة المنزل حتى تنهَّدت "في" وهي تخلع قبَّعتها وقالت برضاً: لقد حقَّقنا الكثير.

ثمَّ سمعت صوتاً جميلاً يقول من خلفها: أنا سعيدة لسماع هذا. فاستدارت "في" لترى والدتها خارجة من المكتبة.

انضمَّت إلسي ترافيللا إليهم ومنحت "في" وزوي حضناً حنوناً وقالت: إذاً، أنتم تُحرزون تقدُّماً.

أجابت "في": نعم يا ماما. لقد وصل العمل لنقطة نستطيع معها معرفة ما سيكون عليه شكل الإرسالية. وقد انتهت السيدة أوفلاهرتي وزوي وروزماري من تنظيف إحدى حجرات النوم بالدور العلوي اليوم وبدأنا بداية جيدة بالطَّوابق الأعلى.

قالت زوي بحماس: إنها مليئة بالأشياء المفيدة يا ابنة عمتي إلسي، وقد عثرتُ على لوحةٍ فنيةٍ قديمة نعتقد أنها للأخ والأخت اللذان كانا يعيشان بالمنزل.

قالت إلسي بابتسامةٍ دافئة: أرى جيداً أنكم قد عملتم بجد لوضوح خطوط التراب التي تملأ وجوهكم، فلقد جرت روزماري مثل الريح ودخلت الحمام الذي في الدور الأرضي، أما بالنسبة لكليْكما فيمكنْكما استخدام حمامي إذا أردتُما. لوجود الكثير من الوقت قبل تناول العشاء تتمكّنا فيه من أخذ حمامكما وأبدال ثيابكم. ثم يمكنكم الذهاب للحديث مع العمة كلوي قليلاً لأنها تسعد بمعرفة مقدار تقدُّمكم في العمل.

أسرعت الشابتان بصعود السلالم متشوّقتين للتّخلص من أتربة اليوم وغُباره.

استدارت إلسي نحو السيدة أوفلاهرتي وقالت: أخبريني يا مورين هل لديك أيُّ إحساس بالنّدم لتطوّعك في مشروع "في"؟ لقد عدتِ إلينا من شهر الآن، وإقامتك لم تكن أجازة على الإطلاق. فأنا لا أظن أنك تغيَّبت عن يوم عمل مع "في" بالإرسالية.

ابتسمت السيدة أوفلاهرتي ابتسامةً واسعة جداً، مُظهرةً سنَّتها الذهبية، وقالت: ليس لديَّ أيّ ندمٍ على الإطلاق، ولا حتى فكرة ثانية. لقد استمتعت بوقتي مع وُجهاء نيويورك ونبلائها، بل كان وقتاً مثيرا وممتعاً وخصوصا من نحو المساعدة لإعادة موسيقى زوجي للحياة، لكن ما إنْ تأكّدت من أنَّ عمله سينَل ما يستحقه من تقدير، حتى بدأت التفكير فيما يجب أن أعمله بحياتي. فبالرّغم من امتيازات تنشِئتي إلا أني لا أرى أنه قد قَصُد بي أن أكون سيدة لديها الكثير من وقت الفراغ. فأنا لا يمكنني تخيُّل نفسي أعيش كأرملةٍ لمؤلف موسيقي مشهور فقط. وقد يبدو هذا غريباً للكثيرين لكني لا أستطيع تخيُّل نفسي جالسة مستريحة لا أفعل شيئاً. فأنا أحتاج لأن أكون جزءاً من شيء أكبر مني، وكان طلب "في" مني المساعدة في عمل الإرسالية الفرصة الحقيقية والمضبوطة التي كنت أتمناها. هذا بجانب، مراقبتي لالتزام ابنتك بالخدمة يكبُر وينضُج عبر سنين عمرها. فكيف يمكن أن أفقد هذه الفرصة المتاحة في رؤية حلمها وهو على وشك أن يتحقق؟

أجابت إلسي: كنت أعلم بطريقةٍ ما أن هذه ستكون إجابتك، لكن كان عليَّ أن أسأل، فأنا لم أعُد شابةً كما كنت. وأكملت بضحكةٍ رقيقة: وأشعر أحيانا أنَّ هؤلاء الفتيات شديدي النشاط عليَّ، وأردت أن أتأكَّد من أنهن لا يرهقونك أو يستنزفونك.

أخذت السيدة أوفلاهرتي يد إلسي وقالت: لم أكن أمّاً أبداً، لذا فأنا ممتنَّةٌ بحقٍ لأنك تشاركين عائلتك معي. فأبناؤك كينبوع الشباب. ويذكّرونني في كلِّ يوم أنَّ الله يفتح دائماً أمامنا الأبواب- مانحاً إيانا فرص كسب رضاه عن طريق القيام بما هو حق وصواب وصالح. فأيّاً كانت مراحل حياتي، فلديَّ عالمٌ من التجارب يمكنني أن أسحب منه ما أريد وبهذه الطريقة سأتمكَّن من مساعدة "في". وفي المقابل، أشاركها مثالياتها وطاقتها، وأظنُّ أنَّ هذه فرصةٌ عظيمةٌ.

قالت إلسي: أكثر من عظيمة. وسحبت يدها من تحت ذراع السيدة أوفلاهرتي وقالت: هل تودِّين شرب شاي؟ يوجد وعاءٌ مجهزٌ للتوِّ في المكتبة.

قالت السيدة أوفلاهرتي: أحب هذا كثيراً، لكن يجب أن أغسل يديَّ أولاً. فقد نظَّفت أنا وروزماري النَّوافذ اليوم ورائحة الخلِّ لم تزل عالقةً بيدي.

قالت إلسي بدهشة: روزماري نظفَّت نوافذ!!. حسناً، تعالي للمكتبة بعد أنْ تغتسلين، حيث يمكننا الاستمتاع بتناول الشاي وسماع المزيد عن أول يوم عمل لروزماري.

لم تكن السيدة أوفلاهرتي هي الوحيدة التي عادت لأيون فقد كان إد ترافيللا قد عاد لأيون قبلها بتسع أشهر تقريباً- بعد تخرجه من الجامعة وأخذه لجولةٍ مدة ستة شهور في أوروبا. وقد فوجئ لكثرة عدد عروض العمل التي عرضت عليه بعد حصوله على درجته العلمية، فقد كان أمامه اختيارات عدة من بينها إقامة عمل خاص به في نيويورك أو فيلادلفيا، كما حثّه العديد من أساتذته على البقاء في الجامعة والتدريس بها، وتلقَّى أيضاً عدة عروض جادة بأن يتفرَّغ لخدمة الرب.

لكن بالنسبة لإد، لم يكن داخله أيِّ سؤال من نحو ما سيفعله، فقد كان قلبه في أيون ولم يشك أبداً في التزامه باستكمال عمل والده الراحل.

فظلَّ مكرِّساً أيامه الآن لتعلم كيفية إدارة مزرعة كبيرة مثل أيون، بجانب ممتلكات والدته في لويزيانا والعديد من الاستثمارات الأخرى. وكان تلميذاً نبيهاً- يعمل مع جده هوراس دينسمور الابن وإلسي ليتعلم جيداً كيفية إدارة أعمال كبيرة ومعقدة مثل التي لهم. فكانت تمرُّ عليه ليالي تنبض فيها رأسه بالمعلومات التي كان يتشرّبها.

لكن لم يقتصر هذا التعليم على كتب ودروس في الحسابات والمال والاقتصاد، بل كان كما كان والده من قبله، يؤمن بالعمل اليدويّ مثلما يؤمن بالعمل العقلي. فكان يبذُل قصارى جهده في العمل بجوار عمال أيون ليتعلم منهم كل ما يمكن تعلمه، وكان يتمتع بالعمل الجسدي- وبعد يوم مثل هذا يقضيه في قصّ القش في الحقول- يشعر بالتعب الشديد بجانب الانتعاش الشديد أيضاً. فوجد نفسه يبتسم وهو يسير صاعداً للتل من الإسطبل لفكرة أنه سيشارك عشاءه مع عائلته ويستمع لعمل اليوم في الإرسالية، ثم يقرأ كتابه الجديد عن علم الزراعة الحديث، وفكَّر في نفسه قائلاً: منذ عامين، كنت أقرأ كتب الفلسفة اليونانية قبل أن أنام، والآن، أقرأ عن الحرث و الدرس وقيمة القمح والذرة في السوق. وتوجد متعة في الاثنين.

كانت العائلة مجتمعة في حجرة الطعام وكل منهم يتَّخذ مكانه حول المائدة و"في" تتفحَّصهم لتدهش مرة أخرى بمدى التغير الذي حدث في السنوات القليلة الماضية.

فإد يجلس الآن على رأس المائدة في المكان الذي كان والدهم يجلس فيه. وتعجبت من مدى الشبه الذي أصبح عليه إد لوالدهم. كان الشبه أكبر وأعمق من مجرد طول إد ومنظره الحسِن القمحي. فبعد يوم بالحقول بدا إد يشع بالمزاج المرح. ففكَّرت بابتسامةٍ في نفسها قائلةً: أنظري كيف يُلقي النُّكات ويضحك مع داني، بنفس الطريقة التي كان بابا يجعلني أضحك بها.

كانت زوي تجلس في المكان الذي كانت تجلس فيه ابنة العمة موللي التي تعيش الآن بلويزيانا مع زوجها وأبنائهم. والسيدة أوفلاهرتي تجلس مكان والدة موللي.فقالت "في" لنفسها: أصدقاء يرحلون ويأتي مكانهم أصدقاء آخرين، إنها هذا يشبه دائرة لا تنتهى أبداً.

فكّرت "في" أيضاً في أختها الكبرى ميسي التي لم تتناول عشاءها مع العائلة منذ أربع سنوات تقريباً، منذ زيارتها الأخيرة لروما وزواجها من ليستر ليلاند. أصبحت ميسي الآن أمّاً ويدور الحديث حول إمكانية رجوعهم للولايات المتحدة في العام القادم، وتمنّت "في" أن يتحقق هذا، فقد كانت تشتاق لأختها الكبرى وزوجها جداً ولم تكن تطيق صبراً لرؤية ابن أختها الجديد.

شعرت "في" بالدفء الداخلي وهي تنظر حول المائدة لترى الكثير من الأحباء. فقد كان التوأم هربرت وهارولد قد أصبحا بطول إد لكن أفتح لوناً، مثل والدتهم. وحين بلغوا السابعة عشر التحقوا بأكاديمية الشباب في المدينة، وسيرحلان في خلال سنة ليلتحقا بالجامعة. وأدركت "في" حينها كم ستشتاق لدُعاباتهم السلِسّة والطريقة المرِحة التي يتحدّثان بها وكأنّ أفكارهما تأتي من نفس الرأس.

وروزماري وداني وماما... وقطع إد حبل أفكارها بحثٍّ رقيقٍ قائلاً: يمكنني القول من خلال تعبيراتك، أنك مستغرقة في أحلام اليقظة، فقد كنت تبتسمين تلك الابتسامة الغامضة التي تُظهر غمازاتك.

قال داني الذي كان يجلس بجوارها: إنها لا تحلم أحلام اليقظة فقد حلّ الظلام بالخارج لذا لابد أنها تحلم أحلام الليل.

قالت روزماري التي كانت تجلس على الجانب الآخر من المائدة بتكشير: لا تقلْ لم تكن سارحة، لأنها كانت كذلك و بإمكاني رؤية هذا. فما الذي كنت تفكّرين به يا "في"؟

أجابت "في" بقليل من الإحراج: لا شيء حقاً، لقد كنت أفكّر في العائلة والأصدقاء.

علّق إد: لن تفتقدي هؤلاء أبداً في أيون. ثم حين رأى دخول كريستال وإحدى الخادمات وهن يحملن صواني الطعام قال للجميع: دعونا نحني رؤوسنا الآن ونشكر أبانا السماوي الكريم على كلّ عطاياه الكثيرة لنا.

انحنت كلّ الرؤوس وأمسك الكل بأيدي بعضهم البعض أثناء صلاته: ربنا العزيز، نسألك مباركة الطعام الذي سنتناوله ومن أعدوه لنا. و نشكرك الليلة بشكلٍ خاصٍ على وجود أحبائنا معنا على المائدة، ونسألك أن تبارك من لم يتمكّنوا من الوجود معنا هنا، فبرغم المسافات

التي تفصلنا إلا أنهم دائماً بقلوبنا، ونحن نصلي أن تحرسهم وترعاهم وتحفظهم سالمين. نشكرك يا رب على عطية العائلة والأصدقاء وعلى محبتك التي لا تعرف أي حدود. آمين.

وقال الجميع معه: آمين.

ثم بدأت كريستال والخادمة الشابة الأخرى في تمرير الأطباق الصغيرة والكبيرة، وملئت أطباق الجميع وبدؤوا في تناول طعامهم.

قال هارولد لأخته الصغرى: تمهّلي يا روزماري، إنك تأكلين وكأنك لم تريْ طعاماً من أسبوع.

حاولت روزماري الإجابة لكن كان فمها ممتلئٌ لدرجة أنها لم تستطع سوى أن تحملق بغضب في أخيها.

ضحك هربرت قائلاً: أنك ستفرقعين مثل البالونة ، لكنك لكن تستطيعي التحليق لأنك ثمينة وثقيلة على الطيران.

قالت إلسي بقليل من الصرامة: توقفا عن الإغاظة يا أولاد، فقد عملت روزماري بجد شديد اليوم في الإرسالية، ولا عجب من كونها جائعة.

ابتلعت روزماري التي كانت تمضغ بغيظ أكلها وقالت: أشكرك يا ماما. ثمّ نظرت مكشرةً للتوأم.

رأت إلسي النظرة وقالت لروزماري: مع هذا يا عزيزتي، يجب أن تأكلي بسرعة معقولة، فالأكل بسرعة سيتعب معدتك.

قالت روزماري وهي تعود لأكلها: سأحاول يا ماما.

كانت الوجبة كعادتها شهيةً ولذيذةً ولفترة كان الجميع يركّزون في طعامهم. ثم عاودوا حديثهم.

فسأل إد وهو يميل ناحية "في": ما الذي كنت تفكرين فيه من نحو العائلة والأصدقاء؟

قالت "في" وهي تضع شوكتها على الطبق: كنت أفكّر في كم أنا محظوظة. فمنذ كنت طفلة صغيرة، كنت دائماً أتطلّع لوقت تناول وجبات الطعام، ليس فقط لتناول الطعام. لكن لأني أحب دائماً اجتماعنا معاً بهذه الطريقة والتحدث معاً والضحك و- حسناً- مجرد أن نكون معاً. كنت أظن أنّ كلّ عائلة في العالم تفعل نفس الشيء، يأكل الجميع

طعامهم معاً في نفس الوقت مثلنا.

قال إد: ملايين العائلات يفعلن، لكن ليس نفس الوقت. كما أنك تعلمين الآن أنّ الآخرين لا يفعلون هذا. والعديد منهم ليس لديهم مأوى آمن أو طعام جيد أو حتى عائلات محبة وأصدقاء يتشاركون معهم.

قالت "في" وعيناها تلمع من التوّقع: أودّ أن تمنح الإرسالية هذا النوع من الشركة التي كانت لدينا دائماً. ثم وقع جفناها، ولمست رموشها الطويلة الداكنة خديْها وأكملت: أحياناً أتساءل إذا كان هذا سيحدث فعلاً. لدينا مبنى لكن هل سيكون لدينا دائماً قلوب الناس التي ترغب في الخدمة؟

قال إد: لا تفقدي إيمانك الآن يا "في"، ثقي بالله و بنفسك. فلن يمضي وقتٌ طويلٌ حتى تفتحين أبواب إرساليتك. وأنا لست متأكد من أنّ الناس سيأتون إليك بسهولة في البداية، لكن ليكن لك إيمان. وهم سيأتون. وتذكّري ما قالته د.فرايزر لك عن مدى الصعوبات التي واجهتها لبدء عملها واكتسابها لثقة الناس الذين تخدمهم.

أجابت "في" وهي تنظر لوجه أخيها: أنها تذكّرني في كلّ مرة تكتب لي عن أهمية أن أكون واقعية. ثم قالت بنبرةٍ تشبه نبرة العمل: أودّ أن أتحدّث معك ومع ماما عن شيء هام، فهل لديك وقت بعد العشاء؟

قال إد: أنا دائماً في خدمتك، لكن الحلوى أولاً فقد مررت بالمطبخ أثناء عودتي من العمل وشممتُ رائحة فطيرة التفاح. ووعدت كريستال بمنحي قدراً محترماً من جبن الشيدر معها.

سألت روزماري بلهفةٍ: هل قلت فطيرة تفاح؟

قالت السيدة أوفلاهرتي ضاحكةً بمرح وهي تومِىء لزوي: ألم أقل لك، اذكُري كلمة طعام فقط وصديقتنا الصغيرة منظفة النوافذ ستأتي مهرولةً!.

ذهبت العائلة لحجرة الجلوس بعد أن تناولوا طعامهم. وتناول الكبار قهوتهم والتوأم وروزماري وداني عملوا لفترة في حلّ أُحجية صعبة بعثت بها إليهم ميسي وليستر حديثاً. ثم أعلنت إلسي أنه قد حان وقت ذهابهم لحجرات نومهم لأنّ على الجميع دروس يجب الإعداد لها.

كان على زوي أيضاً بعض القراءة التي يتوجّب عليها الانتهاء منها. كما أنها ستعود على نهاية الأسبوع إلى أوكس ودراستها مع هوراس دينسمور، الوصيّ عليها منذ وفاة والدها. كانت زوي تخطّط للذهاب للجامعة، الأمر الذي لم يكن أحد يعلمه سوى هوراس. لذا كان الاثنان يعملان بكلّ جد لإعدادها للدراسة الجامعية القاسية. وكانت زوي متشوّقة للعودة لكتبها بعد أن أخذت العديد من الأسابيع أجازة لمساعدة "في".

أما السيدة أوفلاهرتي فاستأذنت للذهاب لحجرتها بعد أن تناولت قهوتها. فقد كان عليها كتابة العديد من الخطابات لأصدقائها في نيويورك، ثم ستقوم بعدها بمساعدة روزماري في مذاكرة دروس اللغة الفرنسية كما وعدتُها.

لذا أصبح إد وإلسي ل"في" وحدها.

بدأ إد قائلاً: والآن يا أختي الصغيرة، ما هو هذا الأمر الهام الذي تودّين مناقشته معنا؟

قالت "في": من الجائز أن تكون قد خمّنت أنه عن الإرسالية، لقد تحدّثت مع السيد أركيبلد هذا الصباح وقال لي أنّ معظم العمل في المنزل سينتهي في خلال أسابيعٍ قلائل. ويبدأ الطلاء الواجب القيام به، وبهذا يصبح المطبخ هو العمل الكبير المتبقّي. ثم سيبدأ السيد أركيبلد وعماله العمل في ترميم اسطبل المركبة. إنّ العمل يتمّ فى نظامٍ تامٍ والمنطقة المحيطة به تم أخلاؤها لتصبح حديقةً صغيرةً، وكل الأعمال الخارجية للمنزل تم الانتهاء منها، وعمّال الطلاء سيحضرون الأسبوع القادم.

سألت إلسي: إذاً، العمل يسير حسب الجدول؟

قالت "في" مبتسمة: نعم يا ماما، وأنا واثقة من أننا سنفتح أبوابنا على ديسمبر.

علّق إد: لكن لا يزال أمامك اختيار وتعيين موظفين.

قالت "في": إني أعمل في هذا بالفعل، وكما تعلم أنّ الدكتور وزوجته السيدة لانسينج يساعدوني في العثور على ممرضة كفءٍ للعيادة، ولا أعتقد أنّ الحصول على طباخة سيكون أمراً صعباً. وكذلك وافق ناظر من أكاديمية الأولاد على مساعدتي في البحث عن مدرِّس.

استدارت"في"ثمّ أخرجت بعض الأوراق من حقيبتها و ببُطءٍ أخرجت نظارتها الجديدة، لكن دون أن ترفع وجهها لأمها وأخيها، وضعت بسرعة النظارة وبدأت تتفحّص الأوراق.

مرّت نظرة تعجّب بين إلسي وإد الذي سأل أخته: هل ستطيحين برأسي إذا قلتُ شيئاً جيداً عن نظارتك الجديدة؟

رفعت "في" رأسها ولمحة من التحدّي في تعبير وجهها وسألت: حسناً؟

أجاب إد: حسناً، إنها كذلك، إنّ نظارتك تبدو جميلة جداً، فهي لا تُخبِّىء وجهك على الإطلاق.

أضافت إلسي: إنها بحقٍ جذابةٍ يا عزيزتي، كنت أخاف من أنها ستخبِّىء جمال عينيك، لكنها لم تفعل أيّاً من هذا.

أجابت "في": وهي تدفع الجزء الذي يستند على أنفها إنّني أشعر بغرابةٍ شديدة ثمّ أكملت: من حسن الحظ أنني لن أحتاج إليها إلاّ عند القراءة فقط.

وقدّمت الأوراق لأخيها وقالت: إنهم فواتير، لقد تفحّصت جميعهم، وعلى قدر فهمي، فإنّ كلّ الحسابات والمال المطلوب فيهم صحيح.

قال إد: سيأتي المزيد من هؤلاء حتى يتم الانتهاء من العمل.

أجابت "في": وهذا يحضرنا لأحد الموضوعات التي أودُّ مناقشتها معكم، كلنا نعلم وجوب أن نجمع الأموال لإدارة الإرسالية. وأنا لديّ فكرةٌ قليلةٌ عن كيفية التِماس المساهمة، وأعلم أنه حان وقت تعلُّمي لهذا.

فتحت تعليقاتها باب مناقشةٍ طويلةٍ عن كيف ومتى يتمُ السّعي لطلب التعضيد المادي للمشروع. وبما أنّ إلسي لديها خبرة طويلة في العمل بالأعمال الخيرية أنصت إليها ولديْهابكلّ اهتمامٍ وانتباه لكل كلمة تقولها. وتحدثُوا معاً لما يقرُب الساعة، مُتّخذين بعض القرارات ومحدِّدين بعض الأهداف لأنفسهم.

وفي النهاية قالت إلسي: هل يوجد شيء آخر نحتاج لمناقشته الليلة؟

أجابت "في" ببعض التردُّد: نعم يا ماما. ثم جلست مُنتصِبةً وأكملت بعجلةٍ: أودُّ أن انتقل للعيش بالإرسالية بأسرع وقتٍ ممكنٍ. والسيدة

أوفلاهرتي ترغب في نفس الشيء. فبإمكاننا تحقيق الكثير إذا كنا سنعيش هناك كل الوقت- لأنَّ نذهب ونعود كل يوم. كما نحتاج لمعرفة الحي بطريقة أفضل.لأنَّنا حتى الآن موضع فضول معظم الناس، وكل ما يرونه هو سيدات تذهب وتجيء في عربة كلَّ يوم. وقد دار الكلام حوْل الإرسالية، لكننا غرباء ولا يوجد سبب يجعل الناس يضعوا ثِقتهم بنا أو بدوافعنا، كما لا يمكننا مساعدتهم حتى نعرف ما يحتاجون إليه بحق، ولا يمكننا معرفة ما يحتاجون ما لم نعرف الناس الذي يعيشون بويلدوود ونعيش معهم.

توقَّفت فجأة. لقد خطَّطت طويلاً لما تودُّ أن تقول لكن الآن بعد أن قالته بصوتٍ عالٍ فلا تبدو الكلمات مقنعة كما كانت تريد . ولهذا فهى متأكَّدة من اعتراض والدتها وأخيها، الأمر الذي فعله إد في الحال حيث هتف قائلاً: سيدتان وحدهما في هذا المنزل الذي لم ينتهِ العمل به- وفي هذا الحي؟. أنت لست معقولة يا "في". فبالتأكيد أنت تعلمين مدى خطورة هذه المنطقة، وخصوصاً في الليل.

ووقف وبدأ في السير بالغرفة ذهاباً وإياباً ثم أكمل: إنَّني أتفهَّم دوافعك، لكنك تتعجَّلين الأمور. لقد تم الاتِّفاق على كلِّ شيء. يمكنك الانتقال والعيش هناك بعد أن ينتهي كل العمل بالإرسالية ويتم تعيين كلِّ الموظفين- بما فيهم رجل واحد على الأقل ليحرسكم ويطمئنُّ على سلامتكم. لكن أنت والسيدة أوفلاهرتي وحدكما؟ إنها مجازفةٌ ومخاطرةٌ كبيرةٌ جداً!.

أنصتت "في" فقد كانت تعلم أنَّ اهتمامات واعتبارات إد حقيقية. وأنَّ الحي الذي فيه الإرسالية ليس فقط فقيرٌ لكنه أيضا يتضمَّن بعضاً من أكثر الفنادق والحانات سيئة السمعة في المدينة- أماكن للقمار وشرب الكحوليات التي تقود للعنف والتمرُّد وكافة الأعمال الغير شرعية. حتى الشرطة كانت تتفادى هذه المنطقة قدر المستطاع، لدرجة أنَّ الناس الصالحين في الحي ابتلوا بالجريمة. لكنها فكَّرت أيضاً في عيادة د.أماليا فرايزر في مدينة نيويورك الموجودة بمنطقة أكثر خطورة بكثير، ولم تكن د.فرايزر خائفة من العيش مع الناس الذين كانت تخدمهم.

استغاث إد أخيراً بوالدته طالباً المساعدة.

تجاوبت إلسي ببُطء قائلة: نعم، أنا أوافق أنه ليس أمان ل"في" الانتقال للإرسالية الآن.

فتحت "في" فمها للتحدُّث لكن حركت إلسي يدها لتوقفها وأكملت قائلة: لكني أوافق أيضا على أنه ليس عملياً أن تنتقل "في" والسيدة أوفلاهرتي كلّ يوم ذهاباً وإياباً إلى المدينة، وخصوصاً وأنّ افتتاح الإرسالية أصبح قريباً جداً. لذا أودُّ يا أعزائي أن نبحث عن حلٍ وسط.

توقَّف إد عن سيْره وقال: سيكون هذا جيداً يا ماما، طالما لا نتنازل عن أمان "في".

سألت "في" بأمل: هل لديك حلٌ يا ماما؟

قالت إلسي: ربما، فأنا أتفهَّم تلهُّفك على الذهاب للعمل في خدمة الناس متَّبعة مثال الرب يا "في"، لكن يجب أن تستخدمي عقلك مثل قلبك. فنحن الآن في أوائل سبتمبر، وسيأخذ المنزل شهراً آخر على الأقل حتى ينتهي العمل به وتكوني حينها قد عيَّنت موظفين. وقد يأخذ العمل شهراً آخر لتجهيز مكان العربة ليصلح مكان إقامة مريح لموظفيك.

فكَّرت "في" بكآبة قائلا: شهرين آخرين.

استمرت إلسي في حديثها قائلة: لكنك قلت أنَّ العمل في الطابقين الأوَّلين من المنزل قد انتهى تقريباً عدا المطبخ.

قالت "في": نعم يا ماما.

قالت إلسي: وهذا يتضمَّن حجرة كبيرة وحجرة جلوس صغيرة بجانب المطبخ، حسبما أذكر من الخطط.

قالت "في" مؤكِّدة: أنه كذلك، ستكون هاتين الحجرتين للطباخ.

قالت إلسي بابتسامةٍ: لكن يمكن أن يكون لهما غرضٌ آخرٌ، حتى ينتهي العمل من الاسطبل الخاص بالعربة ويتم تحويله مكاناً لإقامة الموظَّفين.

قالت "في" هاتفة: يمكنهم.. وهي تبدأ في فهم ما تفكِّر فيه والدتها، وأكملت: يمكنهم أن يكونوا حجرات نوم لأيِّ شخصٍ.

قالت إلسي وهي تستدير نحو إد: إذا أمكننا العُثور على الرجل المناسب لحماية وحراسة المنزل، فقد يبدو مناسباً ل"في" وموريين أن

تنتقلا للعيش في الإرسالية.

ردَّ إد بحزم: إذا وجدنا الرجل المناسب.

قالت إلسي: سنكون حينها قد عثرنا على حل. واستدارت ناحية "في" وسألت: هل توافقين على أن يبدأ إد في البحث عن حارس لأهل بيتك؟

قالت "في"بابتسامةٍ عريضةٍ فرحة:آه، نعم يا ماما. طالما وافق أخي على ألاَّ يطيل البحث.

أتى إد لجانبها ووضع يده على كتفها وقال: إذا كان بإمكانك الرضا بتسوية الأمر والوصول لحل وسط،فهذا يمكنني أنا أيضاً يا أختي الصغيرة.

قالت إلسي: لديَّ فكرة أخرى لكنني لا أودُّ التحدث عنها الآن، أتسمحين بمنحني بضعة أيام أخرى يا عزيزتي، لأستكشف بعض الاحتمالات التي تدور في رأسي؟

قالت "في": بالطبع يا ماما، وأضافت: لكن أرجو ألاَّ تكون أياماً كثيرةً، فقد جعلتني شديدة الفضول.

وضعت إلسي ذراعها حول كتفي ابنتها وقالت: أنت تعلمين خطورة الفضول الزائد يا "في"، وأنا لن أتركك في الظلام كثيراً، لكن لديك الآن الكثير من الأعمال التي يجب عليك القيام بها. فلا تسمحي لنفسك بالتَّشتت، فالرب لديه عمل لك، وليس الآن وقت المنعطفات عن الطريق الصحيح، مهما كانت درجة فضولك.

الفصل

٣

اسم جديد



وَإِنْ تَكُنْ أُولاَكَ صَغِيرَةً فَآخِرَتُكَ تَكْثُرُ جِدّاً.

أيوب٨: ٧



وهكذا، استمرّت "في" وزوي والسيدة أوفلاهرتي في الذهاب إلى الإرسالية واستكمال عملهم هناك حتى نهاية الأسبوع. وانضم هربرت وهارولد اللذان كانا يذهبان للمنزل بعد المدرسة كل يوم ويعودان في الظهيرة للمنزل في أيون مع السيدات. وبخدمة ومعونة التوأم تمّ إخلاء الطوابق العليا من أغراضها الغير مفيدة وتم فرش حجرات نوم الدور الثالث بالأسرّة والأغطية. وأخذ إد نصف يوم للحضور للمدينة وتفحّص سير العمل في مكان الاسطبل القديم والتباحث مع السيد أركيبلد. وقبل أن يغادر سلمته زوي مهمّة تعليق اللوحات التي وجدوها في العلية.

كانت النظافة تتم بسرعةٍ مجنونةٍ، وبمجيء السبت التالي، كانت غرف النوم الأربع في الدور الثالث يفتقدون الأغطية الجيدة فقط التي طلبتها "في"، ولم يتبقَ سوى غرفة نوم واحدة لم تتم نظافتها. وبعد أن تفحّصت السيدات عملهن طوال الأسبوع وافقن بالإجماع على وجوب أن يكون يوم الأحد يوم راحة بحق. لتذهبن للكنيسة وتستمتعن بالشركة مع العائلة في أيون.

لم تنسَ "في" حديثها مع والدتها وإد، وكانت تحترق من الفضول، فما هي فكرة والدتها؟ وهل فعل إد شيئاً بخصوص العثور على حارس ليعيش في المنزل؟ لقد مضى أسبوع تقريباً منذ تم حديثهم، ولم يقُل أيٌّ منهما شيئاً لها. فكانت تذكّر نفسها مرةً بعد أخرى بوجوب أن تكون صبورة، فأيّاً كان ما تفعله والدتها أو أخيها فهو لمصلحتها ومصلحة الإرسالية.

كانت العائلة كلها تجلس لتناول وجبة الغذاء الشهية في حجرة طعام المنزل بأيون بعد حضورهم خدمة صباح الأحد في الكنيسة. حين سأل داني: ما هو الاسم الذي ستطلقينه على الإرسالية يا"في"؟

أجاب "في": لستُ متأكّدةً بعد، لكن يمكنني الاستفادة من بعض الأفكار.

إرسالية قبوليت الجريئة

قال داني بخجلٍ غير معهود: لديَّ فكرة، أرى أنه لا يجب أن تطلقي عليه إرسالية؟

سألت روزماري: لكن لماذا لا؟ فهذا ما ستكون عليه.

قال داني: إنها ستكون مدرسة وسيكون هناك ممرضة للعناية بالمرضى. ولو كنتُ طفلاً يحيا هناك، فقد أخاف من الذهاب لمدرسة أو أرى ممرضة بإرسالية. لأنها ستبدو كبيرة السن جداً أو ما شابه.

قالت أمه: إنَّ لداني وجهة نظرٍ مهمَّةً ومشوِّقة.

أكمل داني كلامه بعد أن شجَّعه إطراء أمه فقال: لقد كنت أفكِّر في أنه منزل مثل منزلنا، والناس يشعرون بالراحة حين يذهبون لزيارة منزل أحدهم.

قالت روزماري: ندعوه منزل ويلدوود على اسم الشارع الذي فيه المنزل.

واقترح هارولد: أو ربما منزل بيل(بمعنى جرس)، ف"بيل" هو اسم المالكين الأصليين للمنزل.

ضحك هربرت ساخراً: إنَّ للاسم رنَّةٌ خاصة. فضحك الجميع على تعلقيه.

قالت "في": تعجبني هذه الأفكار لكن ما هو رأيك يا داني؟ هل لديك فكرة؟

قال داني: كنتُ أقرأ قصتي الكتابية المفضَّلة.قصة السامري الصالح كما تذكُرين- ورأيتُ كيف أنَّه ساعدَ شخصاً آخر دون التفكير لنفسه؟ وهذا ما ستفعله الإرسالية، أليس كذلك؟

قالت "في" متأمِّلة: السامري الصالح.

أعجبت السيدة أوفلاهرتي في الحال بفكرة داني وقالت: منزل السامري، إنَّ له رنَّة جميلةً بحق الآن. وبدأ الجميع في التحدُّث حينها واتَّفقوا على أن "منزل السامري" اسم جيدٌ وجميلٌ جداً.

ذكَّرتهم إلسي في النهاية قائلة: لكن الاختيار الأخير يجب أن يكون ل"في". فاستدار الجميع نحو "في" لمعرفة رأيها، فرأوا أنَّ وجهها يبدوا عليه الجِّدية والتفكير معاً، ولعدة لحظات لم يصدر أحد صوتاً. حتى

الشُوك والملاعق لم يعُد لها صوتاً ، حتى روزماري توقّفت عن الأكل، وكل العائلة تنتظر جواب "في".

ثم أتت- الابتسامة ذات الغمازة الرائعة. وأعلنت "في": أرى أنه اسمٌ ممتازٌ. فبعد أن قصّ يسوع قصة السامري الصالح قال بأنْنذهب ونفعل هكذا مثله. وهذا ما ستكون الإرسالية عليه- اتّباع وصية الرب في محبة القريب كالنفس. سيكون منزلاً للمحبة والرجاء والمساعدة. لذا يجب أن يكون منزل السامري!.

لم يستطع داني أنْ يكتُمّ ضحكته العريضة، فقد كان يشعر بأنه بطريقةٍ ما مستبعدمن التخطيط للإرسالية. وقد أنصت للجميع يتحدّثون عنها لشهور، وأراد بقوة أن يشارك بها، لكن ما الذي يستطيعه صبي في التاسعة من عمره المشاركة به في مشروع للبالغين مثل هذا؟ ففكّر كثيراً في الموضوع أكثر من إدراك أيّ شخص، وأدرك أحد الأيام أنّ الإرسالية ليس لها اسم، وأنّ الجميع يقولون الإرسالية، لكن هذا لم يكن يوافق داني، فقد كانت الإرسالية بمثابة شخصٍ له، ولكلّ شخص اسم، ففكّر في الأمر كثيراً وجرّب العديد من الأفكار في رأسه. وأخيراً اختمرت الفكرة في رأسه اليوم وقالها، ولم يسخر أحد منه، بل أعجبت الفكرة الجميع، فمن ذلك الصبي الذي لا يبتسم ابتسامةً عريضةً من الفخر بعد أن وجد الطريقة التي يمكن بها أن يساعدغيره؟

أعلن هارولد: ثلاث هتافات لداني. واشترك معه الجميع في التهليل الفرِح لداني.

قالت "في": أشكرك يا داني، فلإرساليتنا اسم الآن، وفي كل مرة أقول فيها "منزل السامري" سأتذكّر الغرض الحقيقي لها. فهو اسمٌ على مسمًى. أليس كذلك؟ فمجرد نطقه يشعرني بأنه الاسم الصحيح.

أجاب داني: نعم هوبالفعل اسمٌ صحيح، وكأنّ الأمر كان مستحيلاً منه لذا فابتسامته ازدادتْ اتّساعاً.

عثُر إد على "في" والسيدة أوفلاهرتي ظهيرة ذلك اليوم تتمشّيان بالحديقة فطلب منهما الذهاب معه للمكتبة للتحدث قليلاً، وحين سألته "في" عن ماذا، قال إنّ عليها أن تكون صبورة، وحين دخلوا المكتبة كانت إلسي في انتظارهم، لكن حتى هي لم يكن عندها أدنى فكرة عن

هدف إد. وكان على السيدات الثلاث البقاء لعدة دقائق يتساءلن حول الأمر حتى أنضمّ لهم إد الذي قال:

لديَّ عرض، لكن أنتم فقط من يستطيع اتِّخاذ القرار. لقد وعدتُكم بالبحث عن رجل ليقوم بحراسة الإرسالية. وقد فكَّرت في عدة احتمالات، لقدفكرتُ حتى في توظيف رجل ممن تدرَّبوا في الشرطة أو ربما الجيش، ثم منذ يومين مضوا، كنت أعمل بالحقول حين ظهر الرجل المناسب الذى سلَّم عليَّ وقال "أهلاً بك".

ثمَّ توقَّف إد للحظة ليتسلَّى بإثارة المزيد من التَّشويق.

فقالت "في" أخيراً طالبة: من يكون؟

قال إد مبتسماً: شخص أثق به تماماً، لأنه أقوى شخص في موظفينا وواحد من أذكاهم.

عرفت "في" على الفور وهتفت قائلة: أنوك! أنوك ريف!

ابتسم إد قائلًا: لقد عرفته من أول تخمين يا أختي الصغيرة، فمن سيكون أصلح منه للمهمة؟ لقد تحدَّثنا عن حارس، لكن ما تحتاجينه بحق هو وكيل وناظر من الدرجة الأولي.

سألت إلسي باهتمام: لكن ماذا عن زوجة أنوك وطفله. فهو لن يقبل الابتعاد عن زوجته كريستين وطفله جاكوب.

أجاب إد: لا يا ماما، إننا نحن من سيبتعد عن كريستين وجاكوب، فعرضي هو انتقال آل ريف للإرسالية- لمنزل السامري. فسيكون هو ناظر وامرأته مدبرة منزل. فنحن نعلم قدرات كريستين جيدا. فقد كانت مربية رائعة لداني، وبخبرتها ستكون مساعدة ممتازة للتعامل مع الأطفال الصغار. أنا أعلم كم قيمتها لنا هنا، وكم سنفتقدها هي وأنوك وجاكوب، لكنني أعتقد أنها ستكون فرصة جيدة لجميعهم. مرتبٌ أعلى بالطبع، وحين ينتهي العمل من اسطبل العربة سيكون لهم منزلٌ خاص- أكبر من الذي يعيشون به الآن في مكان إقامة الخدم.

سألت إلسي: لكن هل ناقشت هذا الأمر مع أنوك؟.

قال إد: بالأمس، وقد أوضحت له تماماً أنَّ الأمر محتمل، لكنه كان مهتماً. وعلمت بعض الأشياء التي لم أكن أعرفها من قبل، فقد تبيَّن لي

أنه نشأ في خليج أنديانا. وغادرها في 1862م حين كان في السادسة عشر من عمره، وذهب للشمال حيث التحق بجيش الاتحاد. وكان واحد من الفرقة المكوّنة كلّها من السود- رجال شجعان لم يتلقّوا أبداً التكريم الذي يستحقونه. وأثناء إعادة البناء، عاد أنوك للمدينة، لكنه وجد كلّ عائلته إمّا أمواتاً أو رحلوا عنها. ففكّر في الذهاب للغرب، لكنه أراد أن يزرع نفسه هنا، حيث توجد جذوره، ثم سمع عن بابا فسعى للعمل في أيون.

قالت إلسي بابتسامةٍ حزينة: أذكُر حين أتى إلينا. منذ البدايةوسريعاً ماوثق إدوارد في أنوك تماماً. وسرّ والدك جداً حين بدأ أنوك في التودُّد لكريستين، وجميعنا يعلم كم سعادة أنوك وكريستين الآن، خصوصاً بعد ولادة جاكوب. أنت على حق فأنا سأفتقدهم جداً، لكن إذا وافقوا- ما رأيك يا "في"؟

قالت "في" مداعبةً: إنّ إد يمثل شطارة داني. فإذا رغب آل ريف في أن يكونوا جزء من الإرسالية، سيكون هذا رائعاً. متى يمكنك التحدث إليهم يا إد؟

أجاب إد: أول شيء غداً.

وأمام حماسها وفرحتها بالأمر نست "في" رغبتها الشديدة في الانتقال للعيش بالإرسالية في أقرب وقتٍ ممكن، لكنها تذكّرت وحينها تدلّى رأسها وقالت: هذا يعني عدم قدرتنا على الانتقال للعيش في الإرسالية قبل أن ينتهي العمل من المكان الخاص بالعربة حتى يستطيع أنوك وكريستين الانتقال للعيش به.

ربّتت إلسي على يد "في" قائلة: بالتأكيد هذه تضحيةٌ صغيرةٌ مقابل أن يكون آل ريف معك في منزل السامري.

أضاف إد: لقد وعد السيد أركيبلد بالإسراع في العمل في اسطبل العربة، وبالتالي لن يطول الانتظار.

هزّت "في" رأسها موافقة بالرغم من عدم قدرتها على التخلُّص تماماً من خيبة أملها. ومع هذا ، لم يكن هناك سؤالٌ حول قرارها، فإذا وافق آل ريف فسرعان ما ينضم أنوك وكريستين ريف وابنهما جاكوب لمشروعها. فتغيّر تعبير "في" لابتسامةٍ رائعةٍ وقالت: من الواضح أنّ الله يُعلمني بأنّ

للصبر مكافأة. ثم أكملت بإشراق: فما شهران آخران من الركوب المتعِب في الذهاب والإياب مقارنة بانضمام آل ريف لعائلة منزل السامري.

أشرق نهار اليوم التالي للأسبوع الجديد وأتت زوي لزيارة "في" بحجرة نومها ما إن أشرقت الشمس، فقد كانت ستعود لمزرعة أوكس باكراً جدا وأرادت أن تودِّع "في" قبل ذهابها.

قالت زوي: أنا ممزَّقة بين مساعدتك والعودة لدراستي، لكن العم هوراس يقول أنه إذا ذاكرتُ دروسي جيداً جداً في الأسبوعين القادمين، فأنه سيسمح لي بقضاء أسبوع آخر هنا والذهاب للإرسالية.

قالت "في" بابتسامةٍ فرحةٍ: سيكون هذا رائعاً. أعلم أنَّ جدي وجدتي افتقدا وجودك معهما في أوكس جدا. ويمكنني الاستغناء عنك لأسبوعين، إذا اضطررت لهذا. إنه حلٌ وسط جيدٌ أليس كذلك؟ فأنا أتعلم الكثير عن الحلول الوسط هذه الأيام؟

أجابت زوي: ما دُمت لا تساومين في مبادئك، فهذا جيدا. لقد حضرت مبكراً على أمل أن نشترك في الصلاة معاً هذا الصباح. وكنت أفكِّر في يوحنا 15، حين كان يسوع يتحدث لتلاميذه وعن دعوته لهم بأحباء ووصيته لهم بمحبة بعضهم البعض، كما يحبنا هو.

أمسكت "في" بكتابها المقدس وفتحته بسرعة على الإصحاح وقرأت بصوت عالٍ، ثم تناقش الاثنان حول معناه بالنسبة لهما، ثم قالت زوي برزانةٍ: إنه وعدٌ رائع. واقتبست الآيات القائلة:" اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضاً إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ.

قالت "في": كان يسوع يعدُّ تلاميذه لموته وقوّاهم لمواجهة ما سيأتي، كما كان يخبرهم عن محبته الأبدية لكل من يحبوه. أنا سعيدة لأنك اخترت هذا الإصحاح يا زوي، فهو يبدو حزين من على السطح لكن يا لَعُمق الرجاء والمحبة الذي يمنحهم لنا.

قالت زوي: هذا شعوري أيضاً. ووضعت يدها فوق يد "في" وأكملت: أنت تقبلين هذا التحدِّي، لكن حبيبنا السماوي سيكون معك مهما حدث. وأريدك أن تعرفي أنني سأكون كذلك. سأكون دائماً صديقتك ويمكنك الاعتماد على هذا.

رأت "في" الدموع تترقرق من عينيْ زوي، لكن سرعان ما استدارت زوي بعيداً وابتسمت قائلة: آه، لا تهتمّي بي، فأنا عاطفية فقط، فمن ذا الذي كان يظنُّ أنني سأستمتع بمسح وتنظيف الأرض لهذه الدرجة؟ ولكن بعد أيامي التى قضيتها بمنزل السامري، أخاف من صعوبة العودة لدراستي المعتادة.

ضحكت "في" بدفءٍ وقالت: وبعد أسبوعين اضطرُّ لإعادة تدريبك على النظافة مرة أخرى.فتضحك الفتاتان ضحكاً عالياً.

وأثناء ضحكهما سمعتا دقّاً على باب الحجرة ودخلت إلسي قائلة: حين وجدتُ باب حجرتك مفتوحاً خمّنت أنك هنا يا زوي. فلقد وصلتني إشارة من بابا الليلة الماضية، يقول فيها أنه سيرُسل العربة من أوكس لإرجاعك إليهم هذا الصباح. وقال أن أنبّه عليك بأنه يخطّط لدراسة التاريخ الأمريكي اليوم وأن أذكُر لك ماربري ضد ماديسون. فهل تفهمين المعنى؟

عند هذه اللحظة قفزت زوي من مكانها وهتفت قائلة: رئيس القضاة مارشال والمحكمة العليا! آه، إنه أهمُّ درس في التاريخ الأمريكي! هل تعلمين كم أباك مدرسٌ رائعٌ يا ابنة العم إلسي؟

ابتسمت إلسي وقالت: لقد كان معلمّي أيضاً، لكن للأسف لم يكن التاريخ أفضل المواد الدراسية لديّ. هيّاانتهيا يا بنات من ارتداء ملابسكن وتعاليْن لأسفل، لا تتوانيْن الآن، فالإفطار ينتظركُنّ.

لم تكن الساعة قد وصلت للتاسعة صباحاً حين حضرت العربة من مزرعة أوكس لتقِلّ زوي إليها، ثم بعدها استقلت "في" والسيدة أوفلاهرتي العربة الخفيفة المفتوحة للذهاب في رحلتهما اليومية للمدينة. فبالرغم من الصخور الموجودة بالطريق القديم إلاَّ أنَّ "في" كانت تستمتع بقيادة العربة الخفيفة بنفسها، كما كانت قد افتقدت زوي بالفعل بالرغم من قصر المدة، لكن كوْنها ممسكة بالمِقوّد رفع من روحها المعنوية وجدّد طاقتها.

وصلوا المدينة بعدها بساعة ووجّهت "في" العربة نحو الشارع الرئيسي وطريقهم الذي أصبح يومِيء نحو حي ويلدوود. فمرّوا بحي الأعمال التجارية بمحلاته ومباني الأعمال الكثيرة- محور الاهتمام التجاري لخليج

أنديانا. انحرفت المركبة جنوباً بمحاذاة محطة السكك الحديدية وعبر الشوارع التي توازي خطوط السكك الحديدية. حيث توجد داخل مجمعٍ سكنيٍّ واحد كل المباني التجارية الجديدة (بني معظمهم بعد الحرب الأهلية) ليحلوا محلّ المتهدّم والرثّ. كانت "في" دائماً تتضايق من التغير المفاجئ من المدنية الحديثة والنماء للفقر المُدقع، وكانت تسأل نفسها: كيف حدث هذا؟ وكالمعتاد، لم تستطع الحصول على جواب منطقي للتقسيم الحرفي- الذي يمثل حائط غير مرئي- القائم بين الناس في خليج أنديانا.

كان عددٌ لا بأس به من الناس في الشارع حين وصولهم لشارع ويلدوود، لكن كالمعتاد لم يعِر أحد المركبة المارة أو من بها اهتماماً، بل إنّ البعض أداروا ظهورهم لها عن عمدٍ. والقلة التي نظرت كانت عيونهم ممتلئة بنظراتٍ قاسيةٍ ومتشكّكةٍ. ففزعت "في" من هذا الجزء الأخير من المشوار- فقد كانت مشاعرهم تُسحق بهذه النظرات القاسية المتشكّكة.

أمسكت "في" بعنان الحصان وحوّلت هرولته لسيرٍ أمام أبواب المنزل حين وصلوا إليه. ومن طرف عينيْها لمحت نحو الرصيف المتهدّم أماً شابة ممسكةً بطفلةٍ صغيرة من يدها، والطفلة التي كانت بين الخامسة أو السادسة من العمر نظرت نحو العربة وبدأت تلوّح. أما الأم التي كان من المتوقّع أن تُسرع بإبعاد طفلتها، وقفت. ثم ابتسمت- ابتسامةً جميلةً رائعة، جلبت على الفور ابتسامة مماثلة دافئة وجميلة من "في". كانت السيدة أوفلاهرتي أيضاً قد لاحظت العائلة الصغيرة، فلوّحت هي أيضاً بفرح للطفلة الصغيرة.

قادت "في" الحصان لداخل أبواب منزل السامري، وانتهت اللحظة. لكنها حُفرت بذهن "في" وكانت تتذكّرها دائماً، الابتسامات المشرقة وتلويح الطفلة- أول ترحيبٍ حقيقيٍ من عالم شارع ويلدوود.

أتى واحد من عمال السيد أركيبلد ليأخذ العربة لخلف المنزل ويحُلّ الحصان.

كان قلب "في" يُخفق قليلاً حين دخلت مع السيدة أوفلاهرتي للمنزل، لذا أخذت نفساً عميقاً، وقالت لرفيقتها: على الأقلّ بدا شخصان سعيدان

برؤيتنا يا سيدة أوفلاهرتي، إنها بداية.

أجابت السيدة أوفلاهرتي : أول جيران لنا، إنها بالفعل بداية يا ابنتي "في".

فوجئت "في" حين عودتها عند الظهيرة مع السيدة أوفلاهرتي لأيون، برؤية مركبة أنيقة خفيفة مُقفلة تقف في الطريق الجانبي للمنزل، وسائق في بدلة كاملةٍ يقف بجانب المركبة الأنيقة ويتحدَّث مع سائس شاب. أخذ السائس العربة من "في" وانحنى سائق المركبة الأنيقة بأدب جمٍّ ل"في" والسيدة أوفلاهرتي وهن يصعدن السُّلام.

كانت سيدةٌ عجوز تجلس على أحد الكراسي في المدخل، فأسرعت "في" لاحتضان مربِّيتها وصديقتها العجوز، التي تجاوّبت بابتسامةٍ متقطِّعة، حين سألتها "في": كيف حالك يا عمة كلوي؟

لم يكن هذا سؤال عرضيٌ. فكلوي، التي كانت مع العائلة من قبل أن تولد إلسي دينسمور، أصبحت في الثمانينات من عمرها، وفقدت زوجها "جو" في العام الماضي، و أضعفتها وفاته، لا في الروح أو العقل وبالتأكيد ليس في الإيمان، بل في الجسد- الذي كان قوياً دائماً- والآن أصبح نحيلاًو هشاً. كانت كلوي لا تزال مُوقَّرة الحضور بين أهل البيت، لكن تم تقليص أنشطتها جداً، كما كان من المستحيل عدم القلق على حالتها الصحية أمَّاالآن فالأمريختلف.

قالت كلوي ل"في": أنا على ما يرام، فأنا أحب الجلوس على هذا الكرسي والإحساس بأشعة الشمس على وجهي، أتذكُرين كيف كان "جو" يجلس هنا في فترات الظهيرة، مترقِّباً عودة السيد إد من المدرسة وميسي من مشاويرها في المدينة؟ حسناً، والدتك طلبت مني إذا كنت لا أمانع أن أراقب حضورك أنت والسيدة أوفلاهرتي اليوم. لوجود ضيفةٍ مهمةٍ بالدار وأعتقد أنك ستسمعين بعض الأخبار، إلسي تقول لا تهتمِّي بأمر الاغتسال أولاً.

سألت "في" وهي تفكُّ قبّعتها: أية أخبار؟

ابتسمت كلوي ابتسامةً عريضة وقالت: ليس من حقي أن أخبرك، لكنه ليس خبراً سيئاًعلى الإطلاق، هيِّشي شعرك بعض الشيء وادخُلي.

فعلت "في" كما قيل لها ثم دخلت هي والسيدة أوفلاهرتي الدار.

إرسالية فيوليت الجريئة

كانت إلسي جالسة على الأريكة مع سيدة أكبر عرفتها "في" على الفور. كانت السيدة سيلاس لانسينج، زوجة أكثر جراحي خليج أنديانا احتراماً وشهرةً وصديق عزيز لكلِّ عائلة آل ترافيللا.

قالت السيدة لانسينج بفرح: ها هما، لقد حضرت لرؤيتكما يا "في"أنت والسيدة أوفلاهرتي، وقد رحَّبت بي والدتك جداً وسامرتني جيداً، لكن كلاكما موضوع زيارتي.

كانت إلسي تبتسم لصديقتها بحب كبيرٍ وقالت: نعومي جلبت لكما دعوة، اِجلسا ودعوني أقدِّم لكما الشاي حتى تقول لكما ما يدور في ذهنها.

جلست "في" والسيدة أوفلاهرتي على كراسي مقابلة للأريكة.

قالت السيدة لانسينج: كنتُ أودُّ أن نتحدَّث كثيراً لكن عليَّ العودة للمنزل بعد وقتٍ قليلٍ، لذا، سأبدأ على الفور في إتمام المهمة التي أتيت لها، فقد وجدت ثلاث مرشَّحات كفءٍ لعمل الممرضة بالإرسالية، ويمكنك مقابلتهم الأسبوع القادم إذا كنتِ في المدينة.

أجابت "في": سنذهب للمنزل كلَّ يوم الآن، ومادامت المقابلة ستتمُّ بالنهار فأيُّ يوم سيكون مناسب.

قالت السيدة لانسينج: رائع، إذا كان هذا مناسباً لك فإنني سأبدأ بإعطائهم المواعيد. وسأرسل لك غداً لأعلِمك بالأيام والمواعيد. أظنُّ أنهم يجب أن يحضروا للإرسالية لمقابلتك هناك.إنَّ الثلاث سيدات خبيرات في التمريض ولا شيءسيدهشهم، لكنهنَّ يحتجن لرؤية المنطقة والمنزل، وأيا كان اختيارك يجب أن تعلم ما هي مقبلةٌ عليه. فهل هذا مناسب ومقبول لديك؟

قالت "في" بسرعة: نعم يا سيدتي. فقد كانت تعشق سلوك السيدة لانسينج السريع، بالرغم من اضطرارها للإسراع من حركتها لتتواءم مع سرعة السيدة لانسينج.

ابتسمت السيدة لانسينج قائلة: بمعونة الرب، سيكون لديك ممرضة على نهاية الأسبوع. والآن نأتي لموضوع دعوَتي. فقد كتبت لي والدتك تُخبرني عن رغبتك في الانتقال للإقامة بالإرسالية. ويبدو معقول جداً بالنسبة لي عدم قيامك بمثل هذه الرحلة اليومية الطويلة والمتعبة.

لكن ليس مقبولاً أن تبقِي وحدك. لذا تناقشت مع د.لانسينج في الأمر ووافقني الرأي تماماً. فأنت تودِّين معرفة الناس الذين يقطنون بالحي وهذا رائع. لكنه ليس آمناً لك حتى يعرفوك ويعرفوا هدفك. وأنا فهمت أنه سيأتي زوجان للإقامة معكما لكن ليس قبل شهر.

اتَّسعت عينا "في" ونظرت لأمها التي قالت: إنه حقيقي يا "في"، لقد وافق أنوك وكريستين على أخذ الوظائف المعروضة عليهم.

كادت "في" أن تعبِّر عن فرحتها لكن السيدة لانسينج تحدَّثت أولاً قائلة: حتى يتمكَّن الزوجان من المجيء للإقامة معكما، أودُّ أن تأتي أنت والسيدة أوفلاهرتي للإقامة معنا، أنا ود.لانسينج، ويمكنكم العمل من شروق الشمس لغروبها إذا أحببتم، ثم تأتون لمنزلنا لتناول الطعام والنوم. فنحن لا ننوي أن نفرض عليكم حركاتكم. أنا أودُّ فقط أن يكون منزلنا المكان الآمن لكما حتى تصبح الإرسالية جاهزة. فما رأيك في هذا؟

أصيبت "في" بصدمة لم تستطع معها الكلام. فقد، كانت هذه فكرة والدتها التي لم تُفصح لها عنها!

نظرت "في" لوالدتها متسائلةً، فقالت إلسي: يبدو حلاً مثالياً لي، وكل ما أطلبه هو أن تكونا هنا في أيام الأحد.

استدارت "في" نحو السيدة أوفلاهرتي التي قالت: إنها دعوةٌ رائعة يا ابنتي، ويسرُّني أن أقبلها.

نظرت "في" مرة أخرى للسيدة لانسينج وهتفت قائلة: آوه، نعم! نحن نقبل! فهذا كرمٌ شديدٌ منك ومن د.لانسينج أن تدعونا. فقد كنتُ أصلِّي حتى أعثر على طريقة لتلك المشكلة.

أجابت السيدة لانسينج قائلة: حسناً لابد أنَّ ربنا الصالح وضع همس صلاتك بأذُني. فقد أرسلت لي والدتك تسألني إن كنت أعرف منزلاً خاصاً يمكنك الإقامة به لفترة مؤقَّتة. وأنا قرأت كلماتها وفكَّرت فيها، ووجدت أنني بالطبع أعرف، منزلنا! ود.لانسينج يرى أنها فكرة ممتازة،وهو دائماً يفاجأُ بالحسِّ العام الأنثوي الذي يعتبره ممتازاً. كما أنه مهتم جدا بمشروعك، كما تعلمين. ستحتاجين بالطبع لإعداد حقائبك. فهل سيكون يوم الخميس مبكراً عليكما لتنضمَّاا إلينا؟

قالت "في": سيكون يوم الخميس مناسباً تماماً.

قالت السيدة لانسينج: إذاً، رتّبوا للمجيء إلينامع الحادية عشر صباحاً. حتى يمكنكم إفراغ حقائبكم وتناول الغذاء مع د.لانسينج وأنا وستكون أمامكم فترة ما بعد الظهر كاملة للذهاب للإرسالية.

وقفت السيدة لانسينج قائلة: إنني متحمّسة جداً لهذا بحق، ثمّ حرّكت رأسها نحو كل من "في" والسيدة أوفلاهرتي لتتفحّصهما على ما يبدو وأكملت: إنّ ضيوف منزلنا عادة ما يكونون جراحين آخرين أو أساتذة في الطب- كلّهم عباقرة في مجالاتهم، على ما أعتقد. لكن في الحقيقة تكون تسلية أناس كل اهتمامهم الميكروبات والأمراض أمر صعبٌ جدا. أنتما الاثنين تقدّمان لي معروفاً، فسأستمتع بمرافقة سيدات ساحرات وذكياتٍ كتغيير.

ضحكت "في" واحتضنت السيدة لانسينج، وشكرتها السيدة أوفلاهرتي جزيلاً على كرمها وتصافحتا، ثم أخذت السيدة لانسينج حقيبة يدها وقبّعتها وقفّازها ومشت عبر الغرفة وإلسي خلفها.

قالت السيدة لانسينج: تذكّري البحث عن رسالتي غداً عن الممرضات. وسأنتظر كلاكما يوم الخميس. آه، نعم، إخبري أخيك الصغير أنه صبي ذكيٌ جدا. فاسم "المنزل السامري" اسم ممتاز.

لم تجد "في" كلمات تعبّر بها عن فرحتها. لأنّ عينيْها لا تزال متّسعتان من تلك المفاجئة السّارة، ونظرت للسيدة أوفلاهرتي التي قالت: بأنّ الرب بالتأكيد أعدّ هذا لنا، فحين رأيت الأم الشابة وطفلتها اليوم وابتسامتهما وكذلك تلويحهما لنا خامرني شعور بأنّ ريحاً جميلةً بطريقنا. والآن، لدينا دعوة السيدة لانسينج.و أنا أعجب بهذه السيدة الصالحة جدا، فبالرّغم من كلّ ثروات وممتلكات آل لانسينج إلا أنها متواضعة جداً جداً.

كانت إلسي قد عادت للدار حينها فقالت: لم يكن آل لانسينج أثرياء دائماً، فقد تزوجا حين كان د.لانسينج في كلية الطب، وقد أخبرتني هي أنّ أول سنين زواج لهما كانت كفاحاً مستمرًا. وواحد من أسباب منحها الكثير من نفسها لقضايا الفقراء هو أنها لم تنسَ أبداً شعور المحتاج.

جلست إلسي مرة أخرى وأعادت ملء أكوابهم بالشاي وقالت: سيكون علينا إعداد بعض الحقائب، لكن أولاً، استمتعا بالشاي وأخبراني

عن يومكما في "منزل السامري".

استأنفت "في" والسيدة أوفلاهرتي مجلسهما ووصفت "في" الرحلة لخليج أنديانا والأم والطفلة اللاتي رأوْهُنّ بالشارع.

قالت إلسي حين انتهت "في": إنها بداية مطمئنة، ثم اقتبست من إنجيل متى، يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَزَرَعَهَا فِي حَقْلِهِ وَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزُورِ. وَلَكِنْ مَتَى نَمَتْ فَهِيَ أَكْبَرُ الْبُقُولِ وَتَصِيرُ شَجَرَةً حَتَّى إِنَّ طُيُورَ السَّمَاءِ تَأْتِي وَتَتَآوَى فِي أَغْصَانِهَا".

أخذت إلسي رشفةً من فنجانها ثم أكملت: كنت دائماً أحب هذا المثل، فيسوع يخبرنا المرة تِلوَ المرة بوجوب أن يكون لنا إيمان- فالإيمان الصغير الذي بمثل حبة الخردل يمكنه تحريك الجبال.و يجب أن تحفظي هذا جيداً في قلبك يا عزيزتي "في". فعملك الحقيقي لم يبدأ بعد. فترميم المنزل وإعادته لحالته الأولى كى يصبح مناسباً كإرسالية سيكون لا شيء بالمقارنة بالمهام التي أمامك. كماأنّ الناس الذين تأملين في مساعدتهم قد لا يرحّبون بجهودك. فربما يكونوا قد رأوا أناساً آخرين، بما فيهم مسيحيين ذوي نوايا حسنة، يأتون ويذهبون. ومن المؤسف، أنهم أصيبوا بخيبة الأمل كثيراً من عروض المساعدة التي فشلت في تحقيق مقصدها. وبعض الناس لن يثقوا بك أو بإرساليتك أبداً، مهما عملتِ وعليك الاستعداد لهذا جيّداً.

تحوّلت تعبيرات "في" للجديّة أثناء حديث والدتها وقالت: أنا أفكّر في هذا كثيراً يا ماما، وأعلم بوجوب أن أكون واقعيةً في توقُّعاتي، فالقس كاربنتر قال لي هذا ود.فرايزرقالته بأكثر إصراراً. ففي أحد المرات حين كنت بعيادتها، جلبت سيدة والدها الذي بدا عجوزاً جداً بالنسبة لي، لكن د.فرايزر قالت لي أنه لم يبلغ الخمسين من عمره بعد. وأنه مصاباً بالسرطان ولا يمكن إنقاذه منه. استطعت رؤية كم كانت حالته تُحزن د.فرايزر، فكلُّ ما كانت تستطيع القيام به هو منحه بعض الأدوية التي تساعده على تحمُّل الألم الرهيب بتسكينه قليلاً. وحين سألتها كيف تحافظين على روحك المعنوية مرتفعةً قالت "عن طريق الثقة في الله" وأخبرتني أنها عندما قبِلت الرب يسوع بحق كمثال ونموذج لحياتها. استطاعت رؤية عدم قدرتها على تقرير ما هو فشل وما هو نجاح. فقد كان واجبها أن تستخدم المواهب التي منحها لها الله بكلّ قوتها وتسلّم

النتيجة له.

قالت إلسي: أتمنّى أن أقابل د.فرايزر في وقت ما. فمن حديثك عنها، أراها امرأةً ذات حكمةٍ تفوقُ سنوات عمرها.

قالت "في" بحب: نعم، حكمة وخبرة. لقد تعلمت الكثير منها، فقد قالت لي أنَّ على الناس الذين يساعدون الفقراء تذكُّر أنه على الرغم من كوْن ظروفهم في الحياة أفضل ممّن يساعدونهم، إلا أنهم هم شخصياً ليسوا أفضل. وأتمنّى من كلّ قلبي أن يعي الناس الذين بويلدوود أنني أؤمن بحق بأنَّ كل الناس مُتساوين أمام الله ولهم نفس القيمة.

أجابت إلسي: سنصلّي لذلك.

مرّت لحظة بين السيدات، ثم قالت إلسي متأمّلة: د.فرايزر ودينا والقس كاربنتر والسيدة أوفلاهرتي - لقد كان لك معلمون كثيرون مهرةً وصالحين يا "في". فالرب يرشدنا دائماً لأناس يستطيعون مساعدتنا ونحن نزرع حبة الخردل الصغيرة ونعتني بها حتى تصبح شجرة كبيرة.

ثم قالت إلسي بعد أن نظرت لساعتها الصغيرة المعلّقة ببلوزتها: تخبرني ساعتي أننا قد تأخّرنا، ولم تسنح الفرصة لكلاكما حتى بغسل وجوهكما من التراب.

وقفت كلٌّ من إلسي والسيدة أوفلاهرتي ، لكن استمرّت "في" جالسة. فسألتها إلسي: هل يوجد شيءٌ آخر يا عزيزتي "في"؟

نظرت "في" لأعلى، وقد ملأ وجهها تعبيرٌ غريبٌ وكثيف وقالت: لقد خطر على بالي شيء حالاً، السيدة وطفلتها اليوم- أنهما من زرعتا حبة الخردل اليوم. إيمانهما هو الذي مكّنهما من تحيّتنا كما لم يفعل أيٌّ شخصٍ آخر بشارع ويلدوود من قبل. إنَّ إرساليتنا بدأت بحق اليوم- بسببهما. كنت أفكّر بكيفية مساعدة الآخرين، لكني كنت منْ يحتاج للمساعدة. إنَّ الإرسالية بحق ليست مجرد مكان. أليس كذلك؟ فالإرسالية كانت تنمو هناك طول الوقت بقلب الأم وطفلتها، ومن يعلم مَنْ غيرها أيضاً.

أشرق وجهها بابتسامةٍ وهي تضيف: أنا لا أعرف أسماءهم، لكن يجب أن أضيفهم لقائمة معلميّ. فلديَّ الكثير جداً لأتعلّمه.

الفصل

٤

الشخص المناسب تماما؟



إِنَّمَا لِلّٰهِ انْتَظِرِي يَا نَفْسِي لأَنَّ مِنْ قِبَلِهِ
رَجَائِي.

مزمور ٦٢: ٥



وسريعاً ما تمّ الانتهاء من ترتيبات انتقال "في" والسيدة أوفلاهرتي للإقامة مع آل لانسينج في الموعد المحدّد، بسبب ما قامت به إلسي والسيدة أوفلاهرتي من اتّخاذ اللازم نحو ذلك، حيث كانت "في" مشغولة بمقابلة واختيار الممرضة المناسبة للعيادة. فقد وضعت السيدة لانسينج ثلاث مواعيد للمقابلات كما وعدت، وعنداللحظة الأخيرة أضافت اسماً رابعاً لأسماء المرشّحات للوظيفة.

قابلت "في" سيدتان يوم الأربعاء وواحدة يوم الخميس صباحاً. كنَّ جميعاً مؤهّلين وكفء كما قالت السيدة لانسينج بالضبط. فقد كان لكلٍّ منهن سنوات عديدة من الخبرة وخطابات توصية من مرؤوسيهم السابقين، وواحدة منهن اعتنت بالجنود أثناء الحرب. والأخرى قضت العديد من السنين كممرضة إرسالية في آسيا، والثالثة تقاعدت أخيراً كرئيسة ممرّضات في مستشفى كبير في ولاية مجاورة.

أمضت "في" عدة ساعاتٍ مع كلّ واحدة من المرشحات. وشرحت لهن هدف الإرسالية وحفّزت عقول السيدات، وأرتهم المنزل والأرض المحيطة به وتناقشوا حول ماهية العمل في "منزل السامري". لكن بعد كلّ اجتماع، كانت "في" تجد نفسها في حالة من الشكّ وعدم الارتياح. وازداد قلقها لبقاء مرشّحة واحدة فقط لتقابلها وبعدها ستضطرّ للبدء في عملية البحث من جديد.

حين وصلت "في" إلى منزل آل لانسينج بعد الحادية عشر بعدة دقائق في صباح يوم الخميس. كانت مُدركة تماماً لاحتياجها للنصيحة، لذا سُرّت جداً لرؤيتها العربة الكبيرة من أيون واقفة تحت مدخل آل لانسينج حين اقتربت بعربتها الصغيرة للمنزل.

جرت روزماري لتقابلها على الباب قائلة بسرعةٍ شديدةٍ: سمحت لي ماما بالمجيء معها اليوم. وسنظل على زيارتنا لآل لانسينج حتى موعد انتهاء مدرسة التوأم.وعند مجيء"بن" قالت له "في" أنْ يضع كلّ حقائبه

للداخل والسيدة أوفلاهرتي ستقوم بإفراغهم كماأنَّ لديه غرفة جميلة هنا. وسنتناول غذاءنا حين يأتي د.لانسينج و...

رفعت "في" يدها ضاحكةً وقالت: دعيني فقط أضع قدمي على الأرض يا أختي، فأنت تتحدَّثين مثل القطار السريع.

أجابت روزماري بتأففٍ خفيفٍ قائلة: آسفة، لكن لديَّ الكثير لأخبرك إياه، إنَّ السيدة لانسينج قالت أن نربُط الحصان بالقائم المعدني الموجود هناك. وأشارت لحاجز حديدي مزخرف، ثم أكملت: وسيأتي أحدهم للعناية به.

قالت "في": سأربط المِقود بإحكام في العمود، رغم اعتقادى بأنَّي لستُ قويةً بما يكفي لربط حصان بنفسي.

أكملت روزماري كلامها قائلةً: عليَّ الآن أن أرشدك لداخل الدار.

كان الجميع منتظرين حين دخلت روزماري و"في". التي حيَّت والدتها والسيدة لانسينج والسيدة أوفلاهرتي ثم بدءوا العمل مباشرة. سألت السيدة لانسينج "في" عن كيفية سيْر المقابلات.

تجهَّمت "في" قليلاً ثم قالت: لست متأكِّدة من أني أعرف، فكل السيدات جيدات جداً وأكثر من مؤهلات، لكن...وتردَّدت وهي غير متأكِّدة مما ستقول بعد ذلك.

قالت السيدة لانسينج بابتسامةٍ متفهِّمة: أعتقد أنَّ السيدة بلاك تبدو نحيلةٌ جداً، والآنسة فاين شديدة القلق لدرجة يصعُب إرضاؤها. وماترون جونس ربما تكون شديدة التصميم على أداء الأمور بطريقتها.

نظرت إليها "في" بتعجب وسألت: إذاً، أنا لا أتخيَّل المشاكل المحتملة؟

أجابت السيدة لانسينج: لا يا عزيزتي، أنت فقط تواجهين المشاكل التي على كل صاحب عمل أن يواجهها ويتعامل معها.إنَّ كلَّ السيدات اللاتي قابلتيهم رئيسات ممرضات وجيدات جدا، لكن هذا لا يعني أنهم الاختيار الأمثل للإرسالية. فأيٌّ منهن تستطيع القيام بالعمل المطلوب في الإرسالية بكفاءةٍ شديدةٍ لكن هل أمزِجَتُهن تناسب مشروعك أم لا، فهذا أمرٌ مختلفٌ تماماً. أعتقد، مع هذا، أنَّ تلك المقابلات منحتك فكرة عمَّا تريديه بالممرضة التي ستوظفينها.

هزّت "في" رأسها موافقة وقالت: هذا حقيقي.

قالت السيدة لانسينج: لازال أمامك مرشّحة أخرى ستقابلينها غداً، وإذا لم تكن الشخص الذي تبحثين عنه، سنرتّب حينها للمزيد من المقابلات. فلديّ قائمة طويلة من الأسماء، وأنا متأكّدة من أنّ ممرضتك من بينهن. لا تقلقي. يجب أن تثقي بغريزتك يا "في" والرب سيعدُّ ويقدِّم في حينه.

قالت "في" بضحكةٍ خفيفةٍ: أنا أثق به تماماً لكني غير متأكّدة من غرائزي.

أجابت السيدة لانسينج: دعينا نتحدّث عن مواضيع أخرى الآن، فقد كنت أنا ووالدتك والسيدة أوفلاهرتي نتناقش في موضوع التمويل المادي لمنزل السامري، ولدينا بعض الأفكار، التي أعتقد أنها مشوِّقة بحق.

تحدّثت السيدات حول طرق لجمع الأموال وبناء تعضيدٍ مجتمعيٍّ للإرسالية أثناء انتظارهم لحضور د.لانسينج. وكانت تلك الأفكار مشوِّقة بحق وحاولت "في" أن تنتبه لكل كلمة تُقال، لكن بالرغم من نصح السيدة لانسينج لها بعدم القلق إلاّ أنّ مشكلة العثور على ممرضة لم تترك عقلها، وسألت نفسها: ما هو الذي أبحث عنه حقيقة؟ وهل لدي الحكمة الكافية لإدراكه حين يأتي؟

استقرّت "في" والسيدة أوفلاهرتي فوراً بمنزلهما الموقّت مع آل لانسينج. وقدكان د.لانسينج وزوجته النشيطة القادرة مضيفان طيِّبا المعاشرة بشكلٍ مدهشٍ-فهما غير نمطيِّين على الإطلاق كما يمكن أن يُتوقَّع من شخصين مشهورين جداً وقياديِّين في مجتمع خليج أنديانا. وكان باقي أفراد المنزل يتّبعون قيادة أصحابه، لذا على نهاية اليوم الأول كانت "في" تشعر بالراحة فيه وكأنها في منزلها في أيون.

كانت قداستيقظت من نومها بعد أول ليلة لها في حجرة ضيافة نوم آل لانسينج الفسيحة متحمسةً بشكل غير عادي. فجدول اليوم مشحوناً "بمنزل السامري". فالمهندس المعماري كان سيأتي لتفحُّص مدى تقدُّم البناء، وعاملي الطلاء سيكونون هناك رافعين السلالم ليبدءوا طلاءاً خارج المنزل. وخطّطت "في" والسيدة أوفلاهرتي للانتهاء من نظافة الدور الثالث حيث تبقّت حجرة واحدة فيه. وبعد الظهر ستقابل "في"

المرشحة الرابعة للسيدة لانسينج لتكون ممرضة.

كان ذهن"في" يدور وهي تلبس ثوباً بسيطاً مناسباً ليوم العمل الشاق الذي أمامها. وفكَّرت في أخذ فستانٍ أنيق لتلبسه لمقابلة الممرضة الرابعة لكنها قرَّرت عدم القيام بهذا، وقرَّرت أنه سيكون من الأفضل أن ترى الآنسة كلايتون- اسم الممرضة- الحياة الحقيقية في الإرسالية.

تناولت "في" والسيدة أوفلاهرتي إفطارهم مع آل لانسينج الذين كانوا ممَّن يستيقظون مبكِّرا وانضمُّوا إليهم في صلاتهم الصباحية. وكانت العربة الصغيرة في انتظارهم عند الباب، ووصلوا للإرسالية في وقت معقول جدا، بعد السيد أركيبلد وعماله بقليل.

تحدَّثوا مع رئيس النجارين حول خطط عمل اليوم. ثم قال لهم السيد أركيبلد شيئاً قد يكون مزعجاً بحق لو لم تكن "في" تمتلك روحاً معنوية عالية.

قال السيد أركيبلد: أنا لا أريد أن أزعجك، لكني أعتقد وجود شخص ما في المنزل. في المطبخ. فحين أتيت هذا الصباح وجدت بعض الأشياء في غير مكانها. كما وجدت طبقاً معدنياً قديماً على المائدة به فضلات خبز، ويبدو أنَّ أحدهم أوقد نار المدفأة، فقد وجدتُ قطع خشب نصف محروقة وقطعاً ممزقةً من الورق. ظننتُ أنه ربما يكون أحد الرجال قد ترك هذه الأشياء بالأمس. لكنهم يقولون أنَّ المطبخ كان نظيفاً وفارغاً حين انتهوا من عملهم ولم يحرق أحدهم شيئاً أكثر من ثقاب- الذي لا يمكن أن يترك مثل هذا الكم من النشارة حوله.

سألت السيدة أوفلاهرتي : هل نقُص شيء؟

أجاب السيد أركيبلد: ليس على حد علمي، لقد فتَّشتُ الأدوار السفلية والدور الثاني؛ ولم أجد شيئاً مفقوداً.

قالت السيدة أوفلاهرتي بشدَّة: كيف يمكن لأحد أن يدخل؟

أجاب السيد أركيبلد وهو يهزُّ رأسه محبطاً: لقد أغلقت جيداً قبل أن نرحل بالأمس. لكن كان أحد نوافذ المطبخ غير مغلق بإحكام، إنَّهاالنافذة التي وضعنا لها اللوح الزجاجي حديثاً، أعتقد أنني نسيت تفحُّصها. أنا آسف جداً لهذا.

ركَّزت "في" لعدة لحظات ثم قالت: بما أنه لم يفقد شيء فربما كان أحدهم يبحث عن مأوى. فقد لاحظت أنَّ الجو كان بارداً الليلة الماضية.

ربما أراد أحدهم أن يمكث بالداخل فقط، أنا لست قلقة يا سيد أركيبلد، وعلى أي حال،هذا المنزل مصمَّم لخدمة المحتاجين.

أجاب السيد أركيبلد: في الغالب لم يكن لصاً، لكن في نفس الوقت الأمر خطير. فهذا الحريق يضايقني، فمنزل قديم مثل هذا-حسناً، أنا لا أريد أن يذهب كلّ العمل الذي نقوم به في النار، وأودّ أن أضع مغاليقاً جديدة يا آنسة ترافيللا على الأبواب والنوافذ. فأنا أشعر بأنه من الأفضل أن نضع مغاليقاً قويةً على كلّ شيء.

منحته "في" موافقتها ووعد هو بالقيام بوضع كل المغاليق في نفس اليوم.

حين استأذن السيد اركيبلد وتركهم، ذهبت السيدة أوفلاهرتي على الفور لصعود السلالم لرغبتها في الاطمئنان على الأدوار العلويّة، عسى أن توجد أي علامة تدعو للقلق.

سألتها "في": أنت لست قلقة بحق أليس كذلك؟

قالت السيدة أوفلاهرتي: لن يضِيرنا أن نبحث. فمن الأفضل الاطمئنان على كل شىءياابنتى "في".

صعدت السيدة أوفلاهرتى السلالم، في حين ذهبت "في" للمطبخ حيث وجدت العديد من الرجال الذين حيُّوها يعملون هناك، لكن كل العلامات التى تدلُّل على وجود دخيلٍ كانت قد أُزيلت تماماً. فقد نُظِّف الفرن ومائدة المطبخ القديمة مكوَّم عليها الآن عدد وأدوات النجارة المختلفة.

فكَّرت "في" في الأمر بأكثر عمقاً وهي ذاهبة لتنضمّ للسيدة أوفلاهرتي.

وضعت "في" مقشّتها وقطع النظافة جانباً قبل الثالثة بقليل تحسُّباً لبدء المقابلة في موعدها مع الممرضة، وغسلت وجهها ويديها وارتدت مريلةً نظيفةً وذهبت لتنتظر حضور الآنسة كليتون.

وفي الثالثة تماماً سمعت دقّاً على الباب. ففتحته "في" لتجد أمامها شابة في بذلة مزركشة زرقاء غامق وقبعة صغيرة أنيقة من القشّ.

سألت الشابة: الآنسة ترافيللا؟

أجابت "في": نعم، وأنت لابد أن تكوني الآنسة كليتون، تفضّلي. فكما تريْن لازلنا تحت الإنشاء. لكن أهلاً ومرحباً بك في "منزل السامري".

دخلت الآنسة كليتون وهي تنظر في للمنزل يميناً وشمالاً. حاولت

"في" أن تقرأ تعبيرات وجهها لكن وجهها المنبسط الشاحب بلا جدال لم يُنْبِئ عن شيء وهي تتفحَّص داخل الدار والغرف التي تليها بعينيها. وتبعت "في" للرَّدهة القديمة حيث تم وضع كرسيان ومائدة صغيرة بجانب النافذة الأمامية.

شرحت "في": ستكون هذه حجرة الاجتماعات والطعام.

فجأة جاء صوت فرقعة عالية من آخر المنزل.

قالت "في": إن النجارين يعملون في المطبخ الجديد، لذا قد نقاطع بين الحين والحين بالدَّق والطرق. أرجو ألا يكون هذا مشوِّشا لك.

أجابت الآنسة كليتون بسرور: لا، على الإطلاق.

أشارت "في" للكرسيَّين وجلستا، ومدَّت الآنسة كليتون يدها في حقيبة يدها التي تعتبر كبيرة بعض الشيء وأخرجت منها مظروفاً قدَّمته ل"في".

وقالت: مسوِّغات تعييني، كما هي.

أخرجت "في" ورقة من المظروف وبدأت تقرأ. فلم تلاحظ عيني الآنسة كليتون التي كانت تتفحَّص كلَّ تفصيلةٍ في المكان.

لم تكن مسوِّغات تعيين الآنسة كليتون كثيرةً مثل الثلاث اللاتي سبقنها، لكن لاحظت "في" وجود اسم عرفته على الفور، فسألت: هل تدرَّبت في مستشفى المداواة للداء في بيتسبرج.

أجابت الآنسة كليتون: نعم، لم أكن أستطيع طلب من هي أفضل منها، لكني مندهشةٌ لمعرفتك بها.

قالت "في": لديَّ اثنان من أبناء عمومتي درسوا الطب في فيلادلفيا وتحدَّثوا عنها كواحدة من المستشفيات الرائدة في بنسلفانيا، وأعتقد أنها تخدُم العديد من الفقراء هناك.

أكَّدت الآنسة كليتون وتعبيرها يُشرق قليلاً نعم، كلاً من الأوساط الفقيرة والعمالية. لأنها بمكانٍ يزيد فيه علاج إصابات العمل وحوادثه عن الأمراض.

سألت "في" بحدَّة: هل ضايقك هذا؟

اتَّسعت عينا الآنسة كليتون لجزء من الثانية وقالت: ضايقني؟ ثم أكملت: يضايقني أنَّ الرجال والسيدات والأطفال العاملين كثيراً ما يُشوَّهوا نتيجة لحوادث وإصابات عمل يمكن ببساطة تجنُّبها. أما إذا كنت تسألين عن ما إذا كنت متضايقة من التَّعامل وعلاج الفقراء

والعاملين، فستكون إجابتي حينها بلا. لأنه كثيراً ما يستنفذ كلّ طاقتي ويرهقني جداً، وربما يكون محبطاً أحياناً. لكن كانت مساعدة الناس الذين واجهوا مصاعب وسوء حظ بثبات وجلد يفوق كلّ تخيُّلي أمرا ملهماً ويدعوني للتواضع.

سألت "في": إذاً، لماذا تركت المكان؟

قالت الآنسة كليتون وهي تُخفض رأسها قليلاً: بسبب صحتي، فكما ترين بالأوراق أنني عملت بالمستشفى سنتين بعد أن أنهيت تدريبي، وكنت مستمتعةٌ جدا بالعناية بالصحة العامة، وكان عندي طموح بأن ألتحق بخدمة الصحة العامة. لكن مناخ المدينة أرهقنى في النهاية. فهواء المدينة شديد الكثافة وممتلئ بالسحب السوداء الخارجة من الأفران العملاقة للمتفجرات التي أصبحت عذاباً لتنفُّسي. ونصحني الأطباء بالابتعاد والانتقال من المدينة قبل أن تتدهوَر صحتي ويستحيل علاجها. وعلى هذافقدطلبت مني خالة تحيا هنا في خليج أنديانا أن آتي وأعيش معها. ولي عدة شهور هنا- أتعافى كما أمرني أطباء بيتسبرج. وتم شفائي الآن،وأنا متشوِّقة جداً للعودة للتمريض. كانت أمامي عدة عروض لوظائف خاصة، لكن حين أخبرتني السيدة لانسينج عن إرساليتك واحتياجك لممرضة، أحسستُ حينها بوجوب التقدُّم لشغل هذه الوظيفة. أعلم أني أقلّ سناً وربما أقلّ خبرة بكثير عن المرشحات الأخريات، لكن هذا هو نوع العمل الذي أودُّ أن أقوم به يا آنسة ترافيللا. فالأثرياء يمكنهم الحصول دائماً على الرعاية المطلوبة حين يمرضون، لكنهم لن يحضروا لهنا، هل سيأتون؟ إنَّ الناس الذين سيأتون لهنا يحتاجون لكلّ لحظة رعاية وعناية مثل من يدفعون ثمنها.

قالت الآنسة كليتون هذه الكلمات بنبرةٍ متوازنةٍ لكن استطاعت "في" أن تسمع الحب والحنان المتدفِّق تحت ثباتها.

قالت "في": إنَّ التمريض الخاص سيكون أسهل على ما أعتقد.

وافقت الآنسة كليتون قائلةً: قد يكون، لكن ما قمت به لم يكن مشبعاً لي.

ثم ابتسمت للمرة الأولى وقالت: إنني أنانية يا آنسة ترافيللا، فأنا أريد أن أكون سعيدة، وأسعد لحظات حياتي تكون في العمل الشّاق. كما أحتاج للإيمان بأني جزء من هدف أعظم- خدمة قضية أكبر من نفسي.

هل سفرٌ للجامعة مألوفٌ لديك؟

هزّت "في" موافقة.

قالت الآنسة كليتون: إذن تعرفين هذه الكلمات " كُلُّ مَا تَجِدُهُ يَدُكَ لِتَفْعَلَهُ فَافْعَلْهُ بِقُوَّتِكَ" ويداي جيدتان في التمريض. وأحتاج أن أجعلهما تعملان. يمكنني رؤية ما تفعليه هنا، ولأول مرة منذ تركت بيتسبرج. أشعر أني في مكان يمكنني العمل فيه بكلّ قوّتي.

قالت "في": كثيراً ما سيتطلّب العمل هنا قضاء ساعاتٍ طوال، فماذا عن صحتك؟

قالت الآنسة كليتون: لقد شُفيت، لكني أتفهّم اهتمامك. من فضلك، تحدّثي لد.لانسينج في الأمر، فهو والسيدة لانسينج أصدقاء لخالتي كما كان طبيبي منذ حضرت لهنا. ولديه تصريح مني بالتحدث بصراحة إليك.

قالت "في" وهي تطبّق الورقة وتضعها في جيبها: أعلم ما سيقوله لي، لكني مضطّرة للسؤال. ثم سألت: هل لديك وقتاً لأخذ جولةٍ في المنزل؟ تلك فرصةٌ لإخبارك عن خططنا كما يوجد شخص أودُّ أن تقابليها.

وقفت الآنسة كليتون في الحال وقالت: أودُّ هذا جداً. ثم تفحّصت عيناها الثاقبتان الردهة مرة أخرى، وقالت بنبرة ناعمة: لابد أنه كان منزلاً جميلاً جداً في شبابه، هل لديك فكرة عن تاريخه؟

شعرت "في" بأنها أكثر سعادة بهذا السؤال، لأنَّ أيّ واحدةٍ من المرشحات الأخريات لم تُبدِ أدنى اهتمام بالمنزل، وأدركت "في" حينها أن هذا التّجاهل منهن خيّب أملها. فقد وصلت لاعتبار أنَّ هذا المنزل يرمُز لهدفها على مدى شهور الترميم والإصلاح- شيء جميل أهمل وتُرك للخراب. لكنه أنقذ الآن ومُنح هدفاً جديداً. فأوضح اهتمام الآنسة كليتون البسيط أنها، هي أيضاً لديها إحساس بالمكان، وكانت هذه بداية رابطة بينهما.

استمرت هذه الجولة لفترة أطول من المرشحات السابقات، لأن الآنسة كليتون كان لديها العديد من الأسئلة- بدت كلها ل"في" شديدة الذكاء. ومشوا في الحديقة وأرتها "في" مرأب العربة. وشرحت "في" أثناء عودتهما للمنزل الاستخدامات التي ستكون لكل غرفة، واستغرقوا وقتاً طويلاً في الدور الثاني حيث ستكون العيادة. قدّمت الآنسة كليتون عدّة

اقتراحات قيِّمة جداً، ثم سألت سؤالاً لم يسأله أحد من قبل.

فقالت: ماذا ستعملين مع الناس الذين لن يستطيعوا صعود السلم؟ أعتقد أنَّ هذا الجزء من المدينة به الكثير من العجائز وذوي العاهات، بما فيهم المحاربين القدامى. وليس من السهل عليهم أبداً التجوُّل.

وضعت "في" يدها على فمها قائلة: آوه! لم أفكِّر أبداً في هذا الأمر! أنت على حق يا آنسة كليتون. أنا لا أستطيع تخيُّل كم كنا غير مُراعين لهذا الأمر.

قالت الآنسة كليتون بنبرتها المتوازنة: إنه لا يوجد شيءٌ لا يمكن اصلاحه يا آنسة ترافيللا، يمكنني أن أعطيك بعض الأفكار- ترتيبات تم القيام بها في المستشفيات ومراكز التأهيل.أبداً ليس من الضروري تغيير خططك.فقد توجد طريقة يمكن بها فتح عيادتك للجميع.

أجابت "في" بابتسامة: من الواضح يا آنسة كليتون أنني في احتياج لمساعدتك. أودُّ أن أتحدث في هذا الأمر أكثر، لكن حان الآن وقت مقابلتك للسيدة أوفلاهرتي. ودون المزيد من التوضيح، قادت "في" الشابة من منطقة العيادة للطابق الثالث، حيث كانت السيدة أوفلاهرتي في الصالة تقف على سلمٍ صغيرٍ وتلمِّع زجاج المداخن ولمبات الغاز الجديدة. فاستدارت حين سمعت صوت الشابتين يقترب فنزلت بعناية من على السلم- كاشفة الحذاء العالي الساق والجوارب النظيفة البراقة التي ترتديهم دائماً حين تعمل.

قالت "في": أودُّ أن أقدِّم لك الآنسة كليتون، فلقد قدَّمت طلباً للالتحاق بوظيفة ممرضة.

قدمت الآنسة كليتون يدها وأمسكت بها السيدة أوفلاهرتي بقوة.

ثم أضافت "في": أن الآنسة كليتون تساعدنا بالفعل، فلديها اهتمام من نحو العيادة وأريدها أن تشرحه لك. إذا كان لديك الوقت يا آنسة كليتون، هل ممكن أن تخبري السيدة أوفلاهرتي بالأفكار التي شاركتني بها؟ يمكننا العودة لحجرة العيادة، حتى تشيري لهذه الأشياء كما تحدثنا.

في الحقيقة، كانت الآنسة كليتون محتارة بعض الشيء فيمن تكون هذه السيدة أوفلاهرتي التي ترتدي ملابس خادمة منزل وجورب أخضر برَّاق!. لكنها كانت أكثر من سعيدة لمناقشة أمر العيادة، ليس فقط لأنها قدمت للعمل هناك بل لأنها تشرَّبت برؤية "في" وتكريسها

لخدمة الفقراء أثناء جولتها معها في الحديقة والمنزل لدرجة أنستها تقريباً أهدافها الخاصة. فقد كانت "في" تناضل للقيام بما كانت الآنسة كليتون تناضل للقيام به:إنه التصرُّف بناءاً على إيمانها المسيحي وعيش حياتها مثلما أوصى يسوع. فبدون تردد وافقت على البقاء والتحدث عن العيادة.

تبِعت "في" والسيدة أوفلاهرتي للعودة للحجرة الفارغة البيضاء التي سرعان ما ستُفتتح للمحتاجين. كانت لدى الآنسة كليتون فكرة أخرى. فقد أرادت أن تكون جزء من الإرسالية سواء عُيِّنت بها أم لا.

وكانت لدى "في" نفس الفكرة دون علم منها.

قالت "في" وهي تدخل ردهة منزل آل لانسينج مع السيدة أوفلاهرتي حيث كان د. لانسينج وسيدته يجلسان بها: آسفة على تأخيرنا، فقد أوصلنا الآنسة كليتون لمنزل خالتها، لأنَّ الدنيا كانت قد بدأت تظلم حين انتهينا من مقابلاتنا.

أجابت السيدة لانسينج: لن يكون العشاء جاهز قبل ساعة، كما أننا قلنا لك أننا لا نتوقَّع منك أن تتَّبعي جدولنا. لكن هل تأخَّرت الآنسة كليتون؟ كنت أعتقد أنَّ موعد المقابلة في الثالثة. أي من أربع ساعات تقريباً.

قالت "في": لقد وصلت في الموعد المحدَّد بالضبط، ونحن مَن أخَّرها هكذا.

ابتسم د.لانسينج وقال: هل يمكنني افتراض أنها أعجبتك؟

قالت السيدة أوفلاهرتي : أعتقد أن "في" قد وجدت ممرضتنا.

قال الطبيب مستعلماً: هل أخبرتك عن حالتها الصحية.

قالت "في": أنها قالت لي أنَّ عليَّ أن أسألك حول حالتها الصحية.

وضع الطبيب الجريدة التي كان يقرأها جانباً وقال: ليست لديها أي حالات في الوقت الحالي سوى الصحة الجيدة، فهواء بيتسبرج سبَّب لها مشكلة، لكنها تعافت تماماً في خلال الشهور التي قضتها هنا. لأنها شابة قوية جداً وتأمل بشغفٍ العودة لمهنتها.

قالت "في" بتنهيدةٍ سعيدة: حسناً، لقد قلت يا سيدة لانسينج أن الرب سيمنح ويرتِّب ممرضة وقد قام بالفعل بهذا. سأكتب للآنسة كليتون الليلة وأمنحها الوظيفة، لكني كنت أتساءل حول شيء ما. هل

كان هناك سببٌ لرؤيتي لها بعد الأخريات؟

ابتسمت السيدة لانسينج بخبث وقالت: لقد فكّرت بأنك ستستفيدين من المقارنة بين كل الفرص المتاحة. فالآنسة كليتون ليست شابة تهتم بالمظاهر فهي تبدو عند أول لقاء عادية بعض الشيء في كلّ من المظهر والحديث. لذا قلت أنه إذا قبلتها أولاً فقد تميلين لعدم تعيينها معتقدة أن خبرتها غير كافية. ففكّرت ببساطة أنه أكثر عدلاً لك وللآنسة كليتون أن تقابليها بعد مقابلة السيدات الأكبر سناً أولاً. وبهذه الطريقة سيكون لك إحساس وفكرة أفضل عما تريدين في ممرضة الإرسالية. أما إذا كنت قد اخترت واحدة من الأخريات، فلا تزال لديّ بعض الأفكار التي تناسب الآنسة كليتون.

ضحك د.لانسينج بصوتٍ عالٍ وقال: زوجتي الماهرة لديها دائماً أسبابها، وقد تعلّمت ألاّ أشك فى تلك الأسباب أو أقلّل منها.

قالت "في": حسناً، لقد كنت على حق يا سيدة لانسينج، فأنا ليست لدي خبرة في تعيين أحد، وربما لو لم أكن قد قضيت كلّ هذا الوقت مع الآنسة كليتون لم أكن لأوظّفها حين رأيتها في المقابلة فقط. فهي لم تكن ما كان يدور في ذهني حين تصوّرت ممرضة للإرسالية. لكنها ما نحتاج إليه بالضبط. وما ينقصها من خبرة تستطيع تعويضه عن طريق الحس السليم والتصميم. والآن بعد أن قابلتها، لا يمكنني تخيّل شخص آخر للعمل بمنزل السامري. آه، هل تعتقدون أنها ستوافق؟.

قالت السيدة لانسينج: أنا شبه متأكّدة من أنه على مساء غد فى نفس هذا الموعد سيكون منزل السامري قد حصل على ممرضته.

فأعلن د.لانسينج بضحكة أخرى مرحة قائلاً: وهذه نُبوءةٌ يمكنك أخذها للبنك كما يقول أصدقائي من رجال الأعمال.

الفصل

٥

أيام الانتقال



وَيَسْكُنُ شَعْبِي فِي مَسْكَنِ السَّلاَمِ وَفِي مَسَاكِنَ مُطْمَئِنَّةٍ وَفِي مَحَلاَّتٍ أَمِينَةٍ.

أشعياء ٣٢: ١٨



الوقت يطير والعمل في المنزل وهناك قد انتهى وتحويل مرأب العربة "الاسطبل"لمنزل لآل ريف يسبق جدوله- والشكر في هذا للمناخ الجميل الصافي الذي منح السيد أركيبلد وعماله القدرة على العمل دون انقطاع. أكملت "في" والسيدة أوفلاهرتي وزوي، التي أتت في أسبوع راحتها من الدراسة، والتوأم الذين كانوا يحضرون يومياً بعد المدرسة للمساعدةوهكذا تمَّ تنظيف المنزل. ووُضعت السجاجيد وعلِّقت الستائر وبدأ الأثاث الجديد في الوصول. وأصبح إد يزور الإرسالية عدة مرات كل أسبوع الآن، وكثيراً ما اختلى مع "في" بالمكتب ليطلبوا المعدات والأدوات المطلوبة ويضعوا سجلّ البيانات الخاص بالعمل في الإرسالية. أتت روزماري أيضا عدة مرات لتعمل بنشاط وحماس ثمَّ تُدهش الجميع بتعليقاتها، فقدسألت أحد الأيام وهي تُصقل المكاتب الجديدة بالشمع: لماذا لا تعيِّنون شخصاً ليقوم بكلِّ هذا؟

قالت السيدة أوفلاهرتي : لأنَّ لدينا أنت يا ابنتي.

استاءت روزماري من الرد وقالت: هذا ليس مرحاً يا سيدة أوفلاهرتي.

أجابت السيدة أوفلاهرتي: كنتُ أقصده كمديح، فأنت عاملة جيدة وحين ينتهي كلُّ شيء، سيكون لديك الإحساس بالرضا لمعرفة أنك شاركت وساهمت في إعداد الإرسالية، يمكنك أن تفخري بهذا.

سألت روزماري: لكن التفاخر خطيئة، أليس كذلك؟

قالت السيدة أوفلاهرتي : التفاخر الكاذب والمتغطرس خطيئة، لكن تذكَّري ما قاله الرسول بولس في رسالته لأهل غلاطية "لَكِنْ لِيَمْتَحِنْ كُلُّ وَاحِدٍ عَمَلَهُ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ لَهُ الْفَخْرُ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهِ فَقَطْ، لاَ مِنْ جِهَةِ غَيْرِهِ. لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ سَيَحْمِلُ حِمْلَ نَفْسِهِ". إنَّ الله لا يُنكر علينا الإحساس بالفخر حين نستحقه.

قالت روزماري وهي تنظِّف بأكثر قوة: حسناً،سأكون راضية حين أنتهي من العمل في هذه المكاتب.فبابا كان معتاداً على إغاظتي حين كنت صغيرة حول إرسالي للمحل لأجل تدليك مرفقي ودهنِه لأنِّي كنت

أشتكي وأتبرّم من رفع لعبي من على الأرض أو ترتيب سريري. وكنت أؤمن بحق بوجود مثل هذا المحل حيث يمكنك شراء دهاناًللمرفق. فلو كان هناك مِثلُ هذا المحل لذهبت واشتريت منه الآن.

قالت السيدة أوفلاهرتي بابتسامةٍ عريضة: يوجد وعاء شمع النحل يمكنك استخدامه بدلاً من ذلك الدهان ، لكن بنشاطك الشبابي لا توجد حاجة لتضييع النقود على دهانٍ لمرفقك.أمّا بالنسبة للآنسة أميلى كليتون فقد:

قبلت العمل كممرضة بالإرسالية سريعاً كما توقّعت السيدة لانسينج وأصبح وجودها بالإرسالية يومياً. لكن بعد أسبوع، لاحظت "في" تغييراً بزميلتها الجديدة، مما أقلقها بالبداية وظنّت أنّ السبب آتٍ من أنّ أميلي تعمل أكثر من اللازم أو أنها مريضة، فوجه الشابة فقد شحوبه وخداها تدفقتا بالاحمرار وعيناها الرماديتان الزرق الصافيتان تتّقدان تقريباً، وبدأت الممرضة الشابة كمن لديه حُمّى.

عبّرت "في" عن مخاوفها للسيدة أوفلاهرتي على انفراد،لكنها أكّدت لها قائلة: إنها ليست مريضة، لأنها سعيدة بعملها واحمرار خديها ولمعان عينيها آتٍ من السعادة التي تشعر بها. لقد ذهبت بالأمس للعيادة لأترك صندوقاً من الكتان حيث كانت أميلي هناك تغسل كابينة الأدوية الكبيرة، وهل تعلمين ما كانت تعمل أيضا؟ لقد كانت تصفّر. ولا أظنّ أنها كانت واعية بالأمر، كان صفيراً رقيقاً لكنني عرفت اللحن،و الناس لا يصفرون حين يكونون مرضى يا "في". إنّ هذه الشابة سعيدة لكوْنها هنا، ولا يوجد شكّ فى هذا.

وأخيراً، أتى اليوم الذي أعلن فيه السيد أركيبلد أن مرأب العربة جاهزٌ لسكانه الجدد. وكان يشع بالبهجة حين دخل المكتب حيث كان إد و"في" منكبّان فوق مجموعة من الفواتير. وقال: لقد انتهى العمل، إنّ مرأب العربة القديم هذا سيكون مكانًا سكنيًّا رائعاً لمن سيسكنه، لدينا بضعة أيام أخرى لننتهي من العمل بسقيفة المخزن الجديدة ثم سنلملم أدواتنا ونرحل. يجب أن أقول أنني سأفتقد المجيء لهنا. فلن تسنح لي الفرص كثيراً لأشارك في إنقاذ واحد من هذه الأماكن الجميلة القديمة- ولأجل سبب نبيل مثل هذا.

قال إد: إنه عمل يمكنك أن تفتخر به. ثم قام من على مقعده وذهب ليصافح يد السيد أركيبلد.

قالت "في": لا أصدِّق أننا وصلنا لهذا اليوم. فهو لم يكن سيحدث دونك يا سيد أركيبلد. كنت أعتقد أننا لن نتمكَّن من الانتقال هنا قبل نوفمبر. لكنك أنهيت العمل قبل الموعد المحدَّد بشهرٍ.

احمرَّ وجه الرجل من الفرح وقال: نحن نعلم كم أنت متلهِّفة للانتقال هنا ولم يمانع رجالي في أن يضغطوا على أنفسهم في العمل لأجلك. يجب أن أخبرك بأني لم أكن مسروراً بالعمل في هذا الحي بالبداية، وبعض من رجالي كانوا متخوِّفين من قصص الأشباح التي سمعوها عن أنَّ هذا المكان "بيت للأشباح". ففي العادة نعمل بالمكاتب الجديدة ونبني المنازل الكبيرة التي يبنيها أثرياء القوم بالحي الغربي. لكن هذا العمل- ، كان خاصاً جداً. كل الرجال يقولون كم هم سعداء لكوْنهم جزءاً منه.

قال إد: أودُّ أن ألقِي نظرة على مرآب العربة، هل لديك وقت لتفحُّص سريعٍ يا سيد أركيبلد؟

أجاب السيد أركيبلد بحماس: نعم يا سيدي لدي وقت. أنني أود أن أريك كيف عملنا السقف بحيث تظهر عوارض البلوط القديمة.

سأل إد: هل ستأتي يا "في"؟

هزَّت "في" رأسها وقالت: سألحق بكما بعد قليل. لذا رحل الرجلان وهما يتحدَّثان عن العوارض والدعامات وغيرها.

جلست "في" على مقعدها وببطء أدركت كمَ الهدوء الذي أصبح عليه المكان، فقد أصبحت معتادة على أصوات البناء لدرجة أصبح معها عدم وجود أصوات الدُق والخياطة غريبٌ وربما شديد الغرابة.

قالت "في" بصوت عالٍ: لقد انتهى العمل في المنزل، والآن يبدأ العمل الحقيقي.

ملأها إحساس بالوخزِ الخفيف وبدأت يداها تبردان وترتعشان، وبالرغم من أنها كانت جالسة إلا أنها شعرت بأنَّ قدميْها ضعيفتين، وكادت تلهث. وتساءلت: ما هذا الشعور؟ إثارة، فرح، و-خوف. وفكَّرت في نفسها:العمل الحقيقي.

إرسالية فيوليت الجريئة

خلعت نظارتها وأغمضت عينيها بقوة، ثم صلّت بصوت عالٍ بكل قلبها: أبي العزيز في السماء، أشكرك على المجيء بنا لهذا اليوم. أشكرك على إرشاد السيد أركيبلد ومعاونيه وكلّ الناس الذين بنوا هذا المنزل لخدمتك، لكن يا أبانا نحتاجك أكثر من كل ما مضى. لقد انتهى العمل في المنزل ويجب الآن أن نملأه بالمحبة والرجاء والمساعدة. علينا اكتساب ثقة شعب ويلدوود، أعلم أن الوقت القادم لن يكون سهلاً، لذا من فضلك قوّني يا رب، لكيلا أخف من المخاطرة بالمضيّ قدُماً في طريقك. اجعلني قوية وساعدني على معرفة ما هو صواب، أرجوك امنحني قلباً متواضعاً وعقلاً مفتوحاً. من فضلك، ارفعني حين أتعثّرونوّر لي طريقي حين أرتكب أخطاءاً، لأني أعلم أني سأفعل هذا. وإذا كانت هذه مشيئتك، ساعدنا على جعل "منزل السامري" بيتاً للجميع، حيث لا توجد حواجز بين الغني والفقير، الكبير والصغير، والمريض والصحيح- جميعهم بشرٌ يساعدون بعضهم البعض ويشاركون كلّ البركات التي تُنعم بها علينا. بارك هذا المنزل، يا رب، بمحبتك وفهمك، وارشد خطانا ونحن نتّبع خطاك.

جلست "في" ثابتة جداً وعينيها لا تزال مغلقتين. وشعُرت بالوخز يذهب- ويحلّ محله شعور آخر. فقد ارتخت عضلاتها، وانتظم تنفّسها، وعادت لها قوتها، وشعرت بالدفء مرة أخرى وبالسلام.

فوقفت وذهبت لتفتح النافذة. كانت الأشجار في أبهى جمالها في أول ألوان الخريف- منيرةٌ في شمس الظهيرة. ونظرت "في" للخارج وأدركت بدهشة أنها أُخذت بالعمل في المنزل لدرجة أنها لم تكد تلاحظ تغير الفصول. ومع ذلك كان الله يعمل معجزاته في كل ما حولها. فالصيف انتهى والخريف بدأ. وواحد قاد الآخر كما يحدث دائماً، مثلما ستقود أول خطوة في "منزل السامري" طبيعياً للخطوة التي تليها.

لمست نسمة خفيفة وجهها وهي تحملق في الحديقة، وتلك النسمة أمسكت بالأوراق الذهبية والخضراء للأشجار وجعلتهم يتحرُكون ويهتزّون في رقصةٍ منظّمة، راقبت "في" منظر الأوراق تتلوّى وتتساقط وترقص مع تحرك الضوء وابتسمت دون وعي منها. وكأنّ الأوراق المشغولة تذكّرها بالاحتفال بما تم تحقيقه حتى أنها كانت تتطلّع لما هو آتٍ.

وفكَّرت في نفسها قائلة:أشكرك يا رب على تذكيري بأنه يوجد وقت لكل شيء، وعلى مساعدتي في طرح مخاوفي جانباً. حان الوقت الآن أن ابتهج وأسبِّح اسمك.

أمَّا عن أنوك وكريستين وابنهما جاكوب فقد أصبح "مرأب العربة" بيتاً جميلاً لأن ينتقلا إلى المدينة وإلى منزلهما الجديد بعد عدة أيام من رحيل العمال. وفي اليوم التالي مباشرة، ودَّعت "في" والسيدة أوفلاهرتي عائلة آل لانسينج وانتقلتا للإقامة في "منزل السامري". وأتى كلٌّ من إلسي وإد لمعاونتهما في الانتقال وللاطمئنان على سلامتهما وأن لديهم كل ما يحتاجون إليه في المنزل، وجلبت إلسي معها سلةً ضخمة من الطعام أعدَّته كلوي وكريستال.

ضحكت "في" وإد يرفع السلة الثقيلة ويدخلها ليضعها بمائدةالمطبخ قائلة: هل هذا لغذائنا؟

أجاب إد: أعتقد أنهم صنعوا غذاء شهر.

شرحت إلسي قائلة: لقد قلقت العمة كلوي جداً عليك حين سمعت عن فرنك الجديد، فهي لا تتخيَّل كيف يمكن أن يعمل، لذا أرادت أن يكون لديكم فائض من الطعام حين لا تتمكَّنوا من الطبخ لأنفسكم. أعتقد أني سأطلب منها المجيء معي حين آتيكم المرة القادمة. كي ترى المنزل وتطمئن إلى أنك مرتاحة وفي أمان.

هتفت"في": سيكون هذا رائع يا ماما!

قالت إلسي:يمكنك أن تقدمي لها الدعوة بنفسك حين تأتين للمنزل الأحد القادم. فسيكون للدعوة معناً خاصاً وقوياً عند العمة كلوي حين تأتي منك.

قالت "في": أتدركين أنَّ لديَّ منزلين الآن؟ أيون والسامري الصالح.

قال إد: ستعاملين معاملة الضيوف حين تأتي لأيون في نهاية هذا الأسبوع. لحضور ضيف لي سيقيم معنا لعدة أسابيع.

كانت "في" قد أخذت حقيبة تفاح من السلة وقسَّمتهاعلى وعاءين فقالت دون وعي: ضيف، من يكون؟

قال إد: بروفسور ريموند عالم الآثار القديمة، أظنُّ أنك ستجدينه خلاباً.

تصوّرته "في" رجلاً عجوزاً مُترباً يعلم مادة قديمة مُتربة، ولكنّهاسُرّت لأن أخيها سيكون له رفيق،بالرغم من أنّ أفكارها كانت موجّهةً تماماً للمستقبل لدرجة لم تسمح لها بالتفكير في ضيف إد.

قالت "في": أنا متطلعة للقائه. وأخذت فطيرتيْ فاكهة من على المائدة ووضعتهما فوق واحد من أوعية التفاح. ثم قدّمتهم لأخيها وقالت: هل من الممكن أن تأخذ هذه لكريستين؟ لقد أعدّت العمة كلوي وكريستال أكلاً يكفي جيشاً صغيراً.

أخذ إد الوعاء والفطيرتين وخرج وهو محبط بعض الشيء لعدم اهتمام أخته بأخباره، ومع هذا كان يبتسم لنفسه وهو يسير نحو مرأب العربة.

كانت "في" وإلسي قد قاربتا على الانتهاء من وضع الطعام في حجرة المؤن حين دخلت السيدة أوفلاهرتي المطبخ وقالت: حسناً، أنوك بدأ أول مهامه كوكيل وحارس للمنزل. فالنافذة القريبة من منحدر الفحم في البدروم مكسورة. لقد وجدتها حين كنت أسير في الحديقة، وأنوك دعّمها بلوحٍ خشبى حتى يمنع دخول المخلوقات الفضولية الصغيرة إلى أن يغيّر زجاجها غداً.

قالت إلسي: كيف تم كسرها يا تُرى؟ قالتها بنبرة من القلق في صوتها.

أجابت السيدة أوفلاهرتي: مما لاشك فيه أثناء العمل أو ربما حين تم تسليم الفحم، أنا متأكّدة من أنّ العمال نسوا ببساطة أن يصلحوها.

قالت إلسي: ومع هذا، أعتقد أنه من الحكمة وضع حواجز حديد، ربما على كل نوافذ البدروم والدور الأرضي. فقد يكون هذا المكان هدفاً مغرياً للصوص.

قالت "في" وهي تضع يدها حول وسط والدتها: آه يا ماما، إنك تقلقين كثيراً، لن يجرؤ أيّ لصٍ على الدخول ما إن يروا أنوك. غبي فقط من يتصوّر أنه يمكن أن يتحدّى مثل هذا الحجم والقوة. هذا بجانب، أنّ هذا المنزل يجب أن يكون مفتوحاً إذا أردنا أن يشعر كل الناس الذين سيأتون إليه للراحة.

ابتسمت إلسي لابنتها وقالت: أنت على حق، ولكنّى أمّاً شديدة الحذر،ولقد أقنعتنى يا"في" بالأحواجز "بمنزل السامري". ولندع الجميع

يدخلون أبوابه بالحمد والتسبيح. أضافتها مقتبسة لها من مزمور 100.

غادر إد وإلسي بعد الغذاء وذهبت كلٌ من "في" والسيدة أوفلاهرتي لإفراغ حقائب ملابسهما والإقامة لأول ليلة كسكان لمنزل السامري، وتحت إلحاح كريستين تناولوا عشاءهم مع آل ريف في مرأب العربة مستمتعين بوجبة ممتازة وصحبة ممتازة أيضاً. كانت كريستين قد تبرّعت بإعداد الطعام إلى أن يتم تعيين طباخ وتبدأ الإرسالية تقديم الغذاء لكل من يحتاجون للأكل.

دُهشت "في" لإحساسها الشديد بالإرهاق وهي تعود للمنزل مع السيدة أوفلاهرتي بعد تناول وجبة العشاء في حوالي الثامنة مساءاً، ولم تستطع ببساطة أن تكتم تثاؤبها.

قالت السيدة أوفلاهرتي: إنه نوع من الإرهاق، يأتي حين يكمل المرء إتمام مهمة صعبة جداً وأخرى على وشك البدء. أنا أشعر به أيضا. والنوم المبكّر سيفيد كِلانا.

لذا ذهبتا معاً عبر المنزل ليفقّدوا كلّ الأبواب والنوافذللاطمئنان على إغلاقهم جيداً كما أطفأوا اللمبات الغازية التي منحت المنزل دفئاًوتوهجاً ذهبياً.

ذهبت السيدة أوفلاهرتي لحجرة نومها في الدور الثالث بعد أن تبادلتاهي و"في" تحية المساء على كل منهما وذهبت "في" أيضا لحجرة نومها المقابلة لحجرة السيدة أوفلاهرتي والمعلّق بها لوحة الشاب والفتاةعلى المدفأة.تلك التى انشدّت لها "في" لدرجة أنها أخذت وقتاً من صلاتها، ولكن كان قلبها مليء جداً بالفرح. فقرأت كتابها المقدس لفترة ثم تلتْ صلاتها. و لم يُخامرها هذه الليلة أي شك فيما يقع أمامها وكانت صلاتها صلاة امتنانٍ وتسبيح لأبيها السماوي.

وخطر ببالها أثناء إطفائها للنور آية من مزمور 84 والقائلة: اخْتَرْتُ الْوُقُوفَ عَلَى الْعَتَبَةِ فِي بَيْتِ إِلَهِي عَلَى السُّكْنِ فِي خِيَامِ الأَشْرَارِ. فابتسمت لنفسها في الظلام ثمّ قالت قبل أن تنام مباشرة:هذا هو حالي، فأنا بوابة على منزل إلهي. وغداً سنفتح الأبواب ونبدأ دعوة من يحتاجون للمجيء.

استيقظت "في" لسماعهاصوتاً ، كان الظلام لا يزال باقٍ. ولم يكن لديها فكرة عن الوقت. وتساءلت وهي مترنّحة من النوم عن سبب استيقاظها

وفكّرت وهي تحاول العودة للنوم مرة أخرى ربما مجرد صرير من المنزل، ثم عدلت وسادتها وقالت: أو الريح.

لكن ما إن أغلقت عينيْها حتى أيقظها تماماً صوت مكتوم لوقوع شيء، فجلست على سريرها وأنصتت.

ها! الصوت ثانية. صوت وقوع شيء أو ارتطام بدا آتياً من فوق رأسها. هل يمكن أن يكون واحد من مخلوقات السيدة أوفلاهرتي الفضولية دخل العلية؟ فأر أو راكون ؟ أتى الصوت مرة أخرى مصحوباً هذه المرة ببكاء منخفض يمكن أن يكون لحيوان، لكنه بدا أكثر شبهاً بصوت إنسان.

خرجت "في" من سريرها في ثوانٍ باحثة عن عود ثقاب لتُنير لمبتها، فسمعت صوتاً آخر، لكنه مختلف، فقفزت من الخوف حين فتح باب حجرتها.

سألت السيدة أوفلاهرتي هامسة وهي تدخل الحجرة: هل سمعت شيئاً؟

لم تكن لدى "في" فرصة للإجابة فقد سمعوا صوت بكاء منخفض مرة أخرى- آتٍ بالتأكيد من العلية.

قالت السيدة أوفلاهرتي برفق: أعتقد أنه حيوان، تسلّق شجرة البلوط الكبيرة ومنها للسقف ثم دخل من خلال الهواية.

استطاعت "في" أخيراً إضاءة لمبتها الزيتية ويديْها ترتعشين وسألت: هل يجب أن نذهب لإحضار أنوك. وهي تحاول الإبقاء على صوتها ثابت، لتذكُّرها ما قالته والدتها عن اللصوص وملاحظة السيد أركيبلد حول دخول أحدهم المنزل وفكّرت أيضا في القصص الغريبة التي تدور عن الأصوات الغريبة الآتية في الليل من المنزل - قصص منزل الأشباح التي أبعدت الناس للعديد من السنين عن المنزل، فمرّت قشعريرة عبر جسدها كله حتى وهي تقول لنفسها بوجوب ألاّ تكون مغفلةً وسخيفة.

قالت السيدة أوفلاهرتي وهما تسمعان البكاء مرة أخرى: أنا متأكدة من أنه مجرد حيوان. ربما قطة، وفي الغالب مصابة، أعتقد أنّ علينا محاولة العثور عليها. هيا يا "في" امسكي بيدي.

قدّمت "في" اللمبة للسيدة أوفلاهرتي وأمسكت بيدها وتبعتها في الصالة متّجهتين لباب العلية المغلق. وفتحته السيدة أوفلاهرتي دون أن

تُحدث صوتاً.

كانتا تاركتين لمبة غازية مُضاءة بضوء ضعيف في الصالة، لكن مع هذا كانت سلالم العلية سوداء حالكةِ السواد وبالكاد اخترق نور لمبة "في" الظلام. وصعدتا السلالم على أطراف أصابعهن- و السيدة أوفلاهرتي في المقدمة.

كانت العلية قد نظِّفت وأفرِغت من كل ما فيها من بقايا أثاث وصناديق ومن كل الأشياء وتبدَّل حالها عن ما كانت عليه في أسابيع قليلة سابقة. لكنها تبدو الآن كغار في الضوء الضعيف للمبة الصغيرة. كان الأثاث والصناديق المتبقية فيها قد وضعت بجوار الحوائط ومغطاة بملاءات لتمنع الأتربة. وبدوا الآن ل"في" كنذير شؤم، أكوام مُبهمة كراسي وصناديق لا تعرفهم جيداً. حركت السيدة أوفلاهرتي ببطء اللمبة في حركة نصف دائرية عبر الغرفة من أحد جوانبها للجانب الآخر، لكنهن لم تريا شيئاً.

أدركت "في" أنها ترتعش، لكنها لم تستطع التَّحقق من سببه هل هو من برودة الليل أم الخوف. وأمسكت بقوة بيد السيدة أوفلاهرتي وهُن تتقدَّمن للأمام، استمرت السيدة أوفلاهرتي في تحريك اللمبة على شكل قوسٍ ببطء من جانب لآخر باحثةً عن أيِّ علامة على الحركة.

ثم فجأة توقفتا عن بحثهما، فقد تحدَّث صوت من النهاية البعيدة للحجرة الطويلة- صوت صغير عالٍ بدا وكأنه يقول: النجدة.

تبعه على الفور صوت مُواءٍ هزيل. تجمَّدت "في" بمكانها تماماً، لكن السيدة أوفلاهرتي سحبتها للأمام،وأوضح الضوء عينين غامقتين تم ظهورهما وهنَّ يقترِبن، وبعدها ظهر الوجه الصغير. وجه لفتاة صغيرة جالسة على سرير رضيع قديم تم تحريكه للحائط البعيد وعلى السرير أكوام مختلطة من الأغطية والبطاطين.

سألت "في" وهي بالكاد تدرك أنها تتحدث: من؟.

قالت الفتاة:انجدينى من فضلك. ماريجولد مريضة جداً، حينها فقط تحركت الكومة الموجودة على السرير وأصدرت مواءها. أسقطت السيدة أوفلاهرتي يد "في"، وهرعت كلتاهما للسرير. ركعت "في" على قدميها أمام الفتاة وسألتها: من أنت؟

قالت الفتاة بفتور: تانسي، أختي مريضة جدا، وأنا خائفة من أنها قد تموت. بدأت الدموع تنساب غزيرة من عينيها الواسعتين عند هذه النقطة مثل نقط الندى أمام ضوء اللمبة. لكن صوتها ظلّ ناعماًوفاتراً وأكملت: يمكنكم أخذي للسجن لكن أرجوكم عالجوا ماريجولد، فأنا لا أعلم ماذا أفعل.

مدّت "في" يدها وأمسكت بيد تانسي التي بدت كأخفّ من الريشة.

كانت السيدة أوفلاهرتي قد سحبت كرسياً بقرب سرير الرضيع ووضعت عليه اللمبة لتعتني بالكومة التي على السرير،وقالت: هذه الطفلة حرارتها مرتفعة جداً، يجب أن نأخذها لأسفل ونرسل في طلب طبيب.

ورفعت الكومة الصغيرة وقالت آمرة: احضري الضوء والطفلة الأخرى يا"في".

وقفت "في" دون أن تترك يد الطفلة وأخذت اللمبة، وحين بدت تانسي تتراجع قالت لها "في" بصوت مطمئن: سنساعد أختك، أعدك بهذا، لكننا نحتاج أن تخبرينا بما حدث. تعالي معنا ونحن سنحصل على المساعدة المطلوبة لها، امسكي بقميص نومي ولا تتركيه.

هزّت الطفلة رأسها ووقفت، وأمسكت بقميص نوم "في" لكنها لم تقُل شيئاً.

أضاءت "في" الطريق للسيدة أوفلاهرتي وفي خلال دقيقة كانوا قد نزلوا السلالم حيث قالت "في": للسيدة أوفلاهرتي بأن تحمل الطفلة المريضة وسريعاًدخلت بها لحجرة نوم "في" ووضعتها بسريرها وبكل رفق ورقّةٍ أزالت الأغطية المتربة من على الطفلة وألقتهم على الأرض، وأسرعت "في" لإضاءة الحجرة- ظلت الطفلة الأكبر ممسكة بقميص نومها وتتبعها في كل خطوة. سكبت السيدة أوفلاهرتي ماءاً من أبريق ماء "في" بطبق وضعته على المائدة المجاورة للسرير وبلّلت فوطة وبدأت برفق مسح وجه وعنق الطفلة المريضة.

وقالت: سيكون عليك يا ابنتي "في" أن تُيقظي أنوك وترسليه لطلب د.لانسينج.

أخذت "في" روبها الموضوع على حافة السرير وبدأت ترتديه لكن

كانت الطفلة الكبيرة ممسكة بقوة بقميص نومها، فأمسكت "في" باليد الصغيرة مرة أخرى وقالت: علي الذهاب لطلب المساعدة الآن. وعليك أن تنتظري هنا مع أختك والسيدة أوفلاهرتي.

رفعت الفتاة رأسها لأعلى وسألت بصوتها الناعم الفاتر: ثم ستأخذينني للسجن؟

احتضنت "في" الفتاة في الحال وقالت: آوه، لا يا حبيبتي! أنت ستبقي هنا معنا وتساعدينا في جعل صحة أختك تتحسّن. ابقي هنا مع السيدة أوفلاهرتي وأنا سأعود سريعاً جداً.

تركت "في" الفتاة وأحضرت كرسيّاً من التسريحة ووضعته بقرب السرير وأجلست الطفلة عليه وقالت لها: ابقي هنا حيث يمكنك رؤية أختك والتحدث مع السيدة أوفلاهرتي.

جلست الفتاة وحوّلت عينيْها للجسد الصغير الموضوع تحت الأغطية ولم تقُل شيئاً آخر.

وضعت "في" حذاءها وسحبت اللمبة مرة أخرى وهرُعت خارجة، وجرت نازلةً سلالم الطابقين ووصلت من خلال المنزل المظلم للمطبخ حيث فتّشت في أحد الأدراج لتجد المفاتيح وفتحت الباب الخلفي وهرُعت عبر الطريق الجانبي وسرعان ما كانت تطرُق باب مرآب العربة الذي كان مفتوحاً ورأت "في" أنوك لابساً وواضحٌ أنه مستيقظ تماماً، فقالت بدهشة: أنت مستيقظ؟

أجاب أنوك بصوته الأجشّ العميق: نعم يا سيدتي، فأنا أستيقظ دائماً في الساعة الرابعة.

شرحت له "في" بأسرع طريقة ممكنة ما تحتاجه، فجلب أنوك سترته وقال: سآخذ العربة الخفيفة حتى أستطيع إحضار الطبيب معي، هل تودّين أن تذهب كريستين للمنزل؟

أجابت "في": ليس الآن، لكننا سنحتاج لمساعدتها في إحضار وجبة الإفطار. فأنا لا أعلم متى كانت آخر مرة أكلت فيها الطفلتين المسكينتين

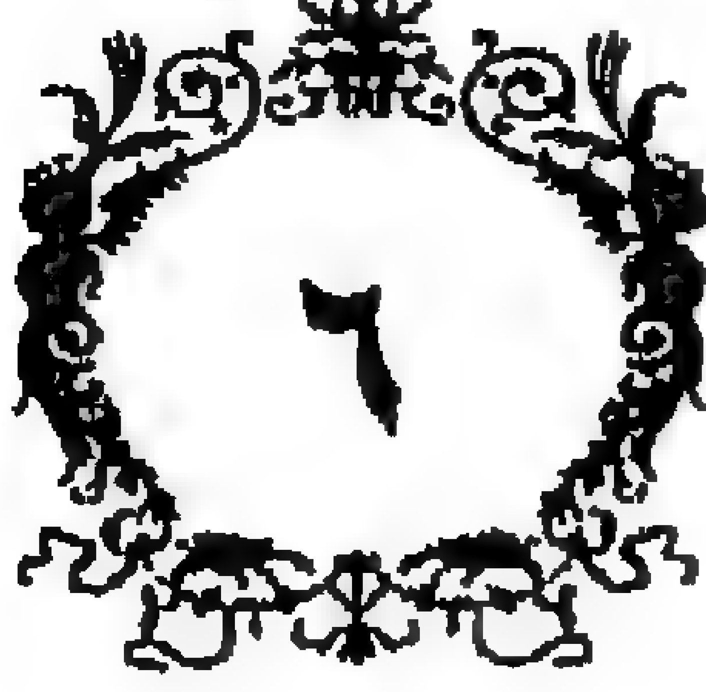
.

اختفى أنوك بالمنزل مرة أخرى واستطاعت "في" سماعه يتحدث لزوجته، ثم عاد للظهور قائلاً: اذهبي للمنزل الآن يا آنسة ترافيللا، وأنا

سأحضر الطبيب في أسرع وقت ممكن. وأسرع ذاهباً للإسطبل. وعادت "في" للمنزل، وبالمطبخ أوقدت نار الفرن وملأت أبريقاً بالماء ووضعته على النار، وأعدّت صينية طعام من سلة كلوي- بعض من خبز الذرة البارد وفاكهة محفوظة وثلاث شرائح من الفطير، ثم وضعت شاياً في أبريق كبير وملأت أبريقاً صغيراً باللبن وحملت الصينية وصعدت بها لأعلى

وفكرت وهي صاعدة السلالم: لم أكن أتوقّع هذا يا رب، لم أكن أتوقع أنّ أول أصدقاء جدد لنا هنا طفلتان صغيرتان ضائعتان.

الفصل



٦

قصة غريبة



بِذِرَاعِهِ يَجْمَعُ الْحُمْلاَنَ وَفِي حِضْنِهِ يَحْمِلُهَا

أشعياء ٤٠: ١١



لم يحضر د.لانسينج كما توقَّعت "في" بل أرسل بدلاً عنه د.بومان مساعده وتابعه،ربما لأنه الجراح الأكبر، أو ربما لأنه الشاب الجذاب صاحب الروح المرحة والمشرقة وهذا يُحجب أحياناً التزامه العميق بمهنته.

فحص الطبيب الطفلة بعناية وشخَّص الحالة وقال ل"في" والسيدة أوفلاهرتي: إنها ضعيفة جداً، لكني أعتقد أن أسوء درجات حرارة ارتفاعاً قد مرَّت، إنها مصابة بالتهاب في الأذن لكنه يبدو وكأنه يُعالج نفسه. يجب أن تعود حرارتها الطبيعية خلال يوم أو يومين، وأودُّ أن أظل على تفحُّصِها حتى أتأكَّد من خلاصها من المرض. وعلى الجانب الآخر،فإنها وأختها تعانيان من نقص تغذية حاد. والطعام الجيد والراحة التامة سيعتنيان بهذا، قد لا تستطيعان أكل الكثير في البداية، لذا أطعماهما حين تجوعان وستعودان للوجبات الطبيعية بسرعة، أنهما طفلتان محظوظتان لعثورهما على مثل هذا المكان ، وظني أنَّ الشوارع ليست منزلهما الحقيقي، هل تعلمان من أين أتيتا؟

قالت "في": لا، لم نُرد أن نسأل تانسي وهي شديدة القلق هكذا على أختها، كما أنها لم تبعد عينيها عن أختها حتى جئت. والسيدة أوفلاهرتي تعتني بنظافتها الآن، فهل من الممكن أن تُطمئِنها على حالة أختها من فضلك؟.

ابتسم د.بومان وقال: بالتأكيد، فأنا جيد جداً مع الأطفال، إذا أمكنني قول هذا عن نفسي.

قالت "في": هذا لأنك تحبهم. ثم أضافت: أنا آسفة لأننا أيقظناك مبكراً هكذا.

أجاب د.بومان: لا توجد مشكلة على الإطلاق، لقد كنت مستيقظاً أعمل في بحث سيقدِّمه د.لانسينج لمجلة طبية، وهذا سبب وجودي بمنزله، فقد عملنا معا لساعة متأخرة الليلة الماضية وأنا استمريْت في العمل بعد أن ذهب هو للنوم. بصراحة، كنت مسروراً بالطلب. على فكرة، سمعت أنك عيَّنت ممرضة، أحب أن أقابلها وأمنحها بعض

التعليمات بخصوص الصغيرة ماريجولد.

نظرت "في" لساعتها وقالت: ستكون الآنسة كليتون هنا في خلال ساعة، وستسرُّ بأن يكون لديها أول مريضة.

أخرج د.بومان كارتاً من جيبه وقدمه ل"في" قائلاً: إنَّ وقتي ليس ملكاً لي تماماً يا آنسة ترافيللا، لكني أحب أن أساعدك بين الحين والحين، ربما يمكننا ترتيب نصف يوم يمكنني الحضور فيه للعمل هنا- متطوّع تماماً، بالطبع. فأنا مبهور بما تفعليه وقد أخذت نظرة سريعة على العيادة وهي مجهزة تماماً ورائعة.

ابتسمت "في" وقالت: هذا عمل الآنسة كليتون بالكامل.

قال الطبيب وهو يدقُّ على كعبيه: حسنا، حسنا، من الواضح أن ممرضتك هذه تعرف عملها جيداً.

قالت "في": سيسرُّها جداً سماع رأيك يا د.بومان.

ظهرت بتلك اللحظة السيدة أوفلاهرتي ومعها تانسي. ابتسم الطبيب للفتاة وهي ردَّت على ابتسامته بابتسامة- أول ابتسامة تراها "في" والسيدة أوفلاهرتي لهما. وتحدث إليها بأسلوب رقيق ولطيف وشرح لها د.بومان حالة ماريجولد، و قبلت الفتاة بوضوح كلامه وسألت بعض الأسئلة التي سرَّ بها الطبيب فقال لها وهو يقودها للسرير الذي كانت أختها تنام فيه بسلام تحت الأغطية: أترين كيف نامت أختك الصغيرة، يجب عليك الآن أن تفعلي مثلها، لا يجب أن تقلقي على ماريجولد. فالآنسة ترافيللا والسيدة أوفلاهرتي ستعتنيان بها جداً وفي بضع دقائق ستحضر ممرضة ماهرة جدا تعرف بالضبط ما يجب أن تفعل لتتحسَّن صحة أختك الصغيرة.

سألت تانسي: هل يمكن أن أنام هنا على الأرض بجوار أختي.

أجاب الطبيب: يمكنك، لكني أعتقد أنك تفضِّلين فراشاً مريحاً بوسادة ناعمة.

قالت "في": يمكنك أن تنامي في الحجرة المجاورة، إنها مريحة جداً وعلى بعد خطوات قليلة من ماريجولد، هل تحبين هذا؟

هزَّت الفتاة رأسها موافقة وقالت: نعم يا سيدتي سيكون هذا لطيف.

ربما كان مجرد ذكر النوم أو ربما الإحساس بالأمان الذي شعرت به من الثلاث الكبار في الغرفة، لكن على أي الأحوال فإنّ شيئاً ما جعل تانسي تتثاءب بملء فمها في تلك اللحظة، فوضعت يدها على فمها وقالت: سامحوني! كانت هذه وقاحة.

قال الطبيب: ليست وقاحة على الإطلاق يا آنسة تانسي، لأنها طريقة جسدك في إخبارك بأنه يريد أن يستلقي على سرير مريح.

أتت السيدة أوفلاهرتي للفتاة الصغيرة ووضعت ذراعها حول كتف الفتاة النحيف وقالت: أعتقد أنني يمكنني العثور على قميص نوم يناسبك،ثمَّ أخذت بيد الفتاة وقادتها لحجرتها.

علّق الطبيب لنفسه تقريباً: هذا مثير للفضول.

سألت "في": ما هو؟

أجاب الطبيب: هذه الطفلة ذات تربية عالية، ملابس أختها بالية وممزقة لكنها مصنوعة جيداً، إنهن لسن فتيات شارع بالتأكيد. يا ترى من أين أتين؟، وهل لديهن والدين في مكان ما؟.

لم تخطر هذه الفكرة على بال "في" بسبب قلقها على الطفلتين.

فقالت "في": يا إلهي، إذا كان لهما والدين فمن المؤكد أنهما سيموتان من القلق على الفتيات، يجب أن نتحدث مع تانسي لنعرف مكان منزلهما.

قال د.بومان محذّراً: نعم، لكن يجب أن تتركيها تنام أولاً، فأيّاً كانت قصتها، فإنها تحتاج للنوم قبل أن ترويها.

نامت تانسي حتى ما بعد الظهر، وأخذت كل من "في" والسيدة أوفلاهرتي وأميلي كلايتون دورهن في ملاحظة كلّ من الطفلتين. حيث استيقظت ماريجولد أولاً مندهشة تماماً لوجودها في سرير كبير وفي حجرة جميلة، كانت أميلي معها وشرحت لها ببساطة ما حدث وأن أختها نائمة في الحجرة المجاورة. قبلت ماريجولد الأخبار بهدوء، وأخبرت أميلي بعلمها أنهم سيكونون بخير. فقالت الصغيرة بهدوء تام: أختي كانت خائفة، لكني كنت أعلم أن يسوع يعتني بنا، فهو دائماً يعتني بنا. حتى حين آلمتني أذني جداً، كنت أعلم أنه سيساعدنا.

أجابت أميلي وقلبها قد فتح للفتاة: لقد أتى بك هنا يا صغيرتي حيث ستكونين في أمان وسلام، لأنه يحبك دائماً.

قالت ماريجولد: أعلم، وأنا أحبه أيضاً.

كانت ماريجولد قد أكلت طبقاً من شربة الدجاج أعدته كريستين وشريحة خبز وزبد وشربت كوباً دافئاً من الشاي المحلى.كما أنَّ أميلي ساعدتها على الاستحمام وألبستها قميصَ نومٍ نظيفٍ وغيَّرت فرش السرير حين استيقظت تانسي وأتت لتراها جالسةًفوق السرير مُنصتةً لقصة تقرأها لها أميلي وكانت "في" خلفها مباشرة.

جرت تانسي للسرير واحتضنت أختها قائلة: أنت بخير، جاء طبيب لطيفٌ هنا وقال أنك ستكونين بخير.

قالت ماريجولد: يسوع اعتنى بي.

قالت أميلي الممرضة المراقبة دائماً لتانسي: لقد تناولت أختك وجبةً شهيةً، وأنا متأكدة من أنك جائعة. يمكنني الذهاب للمطبخ وإحضار صينية طعام لك إذا أردت.

أجابت تانسي بأدب: نعم يا سيدتي من فضلك، سيكون هذا حسنا ًجداً.

همست تانسي في أذن ماريجولد حين غادرت أميلي: من هذه السيدة؟.

قالت ماريجولد وعيناها تتَّسعان: إنها الممرضة، وهى ممرضةٌ بحق لأنَّها تعلم كيف تُشعر الناس بأنهم ليسوا مرضى، أنا معجبةٌ جداً بها.

قالت تانسي: إذاً، أنا معجبةٌ بها أيضاً.

وجلست على السرير مُدلدِلةً قدميها وأخذت "في" كرسياً ووضعته بجوار السرير وقالت: أعلم أنك ماريجولد وهذه تانسي، أنا اسمي فيوليت ترافيللا واسم ممرضتك أميلي كليتون، أما صديقتي الأخرى فاسمها السيدة أوفلاهرتي. ونحن سعداء جداً لوجودكما معنا، لكن أخبراني هل لكما اسم أخير؟

قالت ماريجولد: أيفانز.

ابتسمت "في" قائلة: يعجبني هذا الاسم. والآن كيف أتيتما هنا، لابد

قصة غريبة

أنها قصة مشوِّقة.

ألقت تانسي نظرةً على أختها التي قالت: أخبريها أنت يا أختي فأنا متعبةٌ جداً.

لذا بدأت تانسي بتلاوة القصة التي كانت أكثر تشويقاً بكثير مما تخيَّلت "في"

أتت الفتاتان لخليج أنديانا من مكان في جنوب كارولينا على بعد مئات الأميال في الجنوب.

شرحت تانسي: جدتي كانت أمة، وأمي أيضاً، حين كانت فتاةً صغيرة، وكانوا يعيشون في مزرعة كبيرة تملكها سيدة صالحة تدعى السيدة جرير. وبعد التحرير، استمرت جدتي ووالدتي في العيش مع السيدة جرير. وتزوَّجت أمي من أبي السيد أيفانز. لكن جدتي ووالدي ماتا من الحمى قبل ولادة ماريجولد مباشرة، وترعرعنا في المزرعة، بالرغم من أنها لم تكن جيدة أبداً بعد وفاة السيدة جرير العام الماضي، فقد تولَّى ابنها مسئولية إدارة المزرعة وهو رجل قاسٍ ووضيع. قالت أمي يبدو أنه غير عالمٍ بعدم وجود العبيدّ لأنه كان يعامل العمال وكأنه يمتلكهم، أرادت أمي أن تبتعد بنا، لكن لم يكن معها ما يكفي من المال، ثم مرضت وكتبت لعائلة والدي سائلةً إن كان من الممكن أن نأتي ونحيا معهم، وهم وافقوا وأرسلوا لنا بعض المال، وكان لدى أمي القليل من المال أيضاً، فدفعت لرجلٍ تعرفه ليأخذنا معه أنا وماريجولد في عربته. وكانت هي ستلحق بنا بعد أن تتحسَّن حالتها الصحية.

سألت "في": هل تعرفون أين تعيش عائلة والدكم؟

قالت تانسي: في الشمال، لكننا لا نعلم أين. كان لديَّ خطاب مكتوب عليه عنوانهم، لكن أحدهم سرق حقيبتي حين أتينا هنا. أعلم أن الخطاب كان من بنسلفانيا حيث ترعرع والدي، لكن لا يمكنني تذكُّر المكان.

قالت "في": لا بأس.

قالت ماريجولد بصوتها الرفيع: أخبريها كيف أتينا هنا يا أختي. لأنه كان من الواضح أنها تستمتع بسماع قصة مغامرتهم.

قالت تانسي: حسناً، الرجل الذي أخذنا تركنا في مدينة لم نسمع عنها

أبداً، ولم نعرف ماذا نفعل، لكني تذكرت ما قالته جدتي عن السكك الحديدية التي تحت الأرض وكيف كان العبيد يسافرون فيه. وبالتالي عثرنا على محطة سكك حديدية وأخبرنا أحدهم أنَّ القطار مسافر للشمال، لم نستطع شراء تذاكر لأن الرجل أخذ مالنا. لكننا ركبنا القطار ولم يبدُ أنَّ أحداً لاحظنا، واختبأنا في دولاب صغير، لكنَّ رجلاً يلبس زيّاً وجدنا وقال إنه الحمّال. جنَّ جنونه في البداية ، لكن حين سمع قصتنا أصبح لطيفاً معنا وسمح لنا بالبقاء بالقطار حتى وصل هنا، ثم منحنا بعض المال وخطاباً لقس كنيسة، وقال لنا أين تكون الكنيسة، لكننا تُهْنا، مشينا في كل مكان لمدة يومين ثم عثرنا على هذا المنزل، كان الناس هنا أثناء النهار، لكنه كان فارغاً في الليل وكنا ندخل من خلال النافذة لننام ونغادر قبل أن يأتي أحد في الصباح. لم نكن نعلم أنه منزلك يا آنسة فيوليت، صدقيني. قالتها وصوتها يعلو من القلق.

قالت "في" وهي تضع يدها برفق على يد تانسي: أنا مسرورة بمجيئكم. هذا ليس بيتي، إنه مكان للناس الذين يحتاجون للمساعدة، ونحن ندعوه "منزل السامري".

سألت ماريجولد: مثل السامري الصالح؟

قالت"في" بابتسامة واسعة: بالضبط، فالناس هنا يريدون أن يكونوا مثل السامري الصالح ويساعدوا الآخرين.

قالت تانسي: لكن لم يكن من الواجب أن نأتي هنا دون أن نستأذن، كما لم يكن من الواجب أن نكسر زجاج النافذة التي في البدروم بعد أن أحكم إغلاق الآخرين، كان هذا خطأ واعتقدت أننا لابد سنعاقب، مثل الذهاب للسجن.

أجابت "في" بحزم: حسناً اخرجي هذه الفكرة من عقلك تماماً، لا يوجد أحد يُعاقب هنا، أنتم الآن ضيوفي وأرجو أن نصبح كلنا أصدقاء.

قالت ماريجولد على الفور: أحب هذا.

وافقت تانسي قائلة: وأنا أيضا. بالرغم من الخجل الذي كان يعلو صوتها.

عادت أميلي بصينية طعام تانسي- وكوب من عصير التفاح لماريجولد. وحكت لها "في" جزء من قصة البنات أثناء تناول تانسي لطعامها.

قالت أميلي بجدية ظاهرية: لكن لازال يوجد شيء مهم جداً لم نعرفه.

سألت ماريجولد بفضول: شيء مهم؟

أجابت أميلي بنبرةٍ أكثر مرحاً عمّا سمعته "في" من قبل: أعياد ميلادكم! يجب أن نعرف أيام عيد ميلادكم وكم تبلغون من العمر؟ فالأصدقاء المقربون يعرفون هذا دائماً.

صفّقت ماريجولد بيديها وهتفت: عيد ميلادي سيكون في يناير وسأبلغ السادسة من عمري!

وضعت تانسي ملعقتها جانباً وقالت مثل سيدة: عيد ميلادي في التاسع عشر من يونيو وسأبلغ أحد عشر عاماً وأربعة أشهر.

ضحكت "في" وقالت: إنّ عيد ميلادي في يونيو أيضاً، وقريب جداً من عيد ميلادك، واثنان من أخوتي ولدوا في فبراير بالقرب من عيد ميلاد ماريجولد، إنهما توأم ويبلغان السابعة عشر من عمرهما.

سألت ماريجولد: كم عمرك يا آنسة فيوليت.

تجهّمت تانسي وقالت: هذا سؤال وقحٌ يا ماريجولد.

أجابت "في": ليس وقحاً بين الأصدقاء، أنا في العشرين وأربعة أشهر من عمري.

اتّسعت عينا ماريجولد مرة أخرى وقالت: أووووه...أنت كبيرة جداً، أليس كذلك؟

قالت أميلي بمرح: وأنا أكبر، فأنا في الرابعة والعشرين، وبهذا أكون كبيرة جداً جداً.

كانت ماريجولد تضحك بجلجلة بالفعل وأصبح جميعهم يضحكون معاً الآن. لم تكن النكتة هي المرحة والمسبّبة لكلّ هذا الضحك لكنه كان بوضوح مرور وقتٍ طويلٍ على بنات آل أيفانز لم يشعُرن فيه بالحرية في الضحك والسعادة مثل أي طفل في سنهم، بجانب الإحساس بالأمان والطمأنينة في "منزل السامري"، وفارت سعادتهم وتدفّقت بأصوات الفرح والمرح.

بدأت "في" تشعر بالرجاء من نحو حالة البنات بالرغم من معرفتها الآن لسوء حظّهم الشديد، وكانت متأكّدة من قدرتها فى العثور على

والدتهم وعائلتهم ببنسلفانيا وإعادة البنات لأحبائهن. وتخيّلت مخاوف أمّهم لذا أصرّت على البدء باحثةً عنها في الصباح التالي، معتقدة أنّ الأمر بالتأكيد لن يأخذ وقتاً حتى تتّحد العائلة معاً مرة أخرى؛ .

تعافت ماريجولد بسرعة تحت رعاية د.بومان وسيدات "منزل السامري". وسرعان ما كانت الفتاتان تأكلان جيداً وتبدوان أكثر صحة، واتّضح أنهم كانوا في الشوارع لمدة ثلاث أسابيع وعاشوا على أكل منحهم إيّاه أصحاب المحلات و(لدهشة "في" الشديدة) طباخي الحانات.

قالت "في" لد.بومان يوم أعلن شفاء ماريجولد واستعدادها لمغادرة الفراش: كنت أظن أنّ الطقس الجيد عطية الله لمنزل السامري، لكن ربما كان أبانا السماوي يضع الحمّلان الضائعان الصغيران في الاعتبار حين باركنا بأيامٍ كثيرةٍ مشمسةٍ وصافيةٍ، لا يمكنني تخيّل كيف كانتا ستتصرّفان في الأيام العاصفة والممطرة.

قال الطبيب متأمّلاً: حقيقي، لقد وضع عينيه على هاتين العصفورتين الصغيرتين بالرغم من عدم تغذيتهم بالشكل المناسب، إلاّ أنّ كلتاهما في حالة صحية جيدة، ربما تكون تانسي تنقصها التغذية أكثر من أختها، وأتوقّع أنها كانت تضحّي بطعامها، الذى يُعطى لهما، لأجل ماريجولد. على فكرة يا آنسة ترافيللا، هل عرفت شيئاً عن أمّهم؟

أجابت "في": ليس بعد، فبناء على ما قالته لنا البنات عن السيد جرير لم أرِد الاتصال به، وكتبت السيدة لانسينج خطاباً لأحد أصدقائها في كولومبيا الغير بعيدة عن مزرعة جرير. إنه محامٍ وطلبت منه السيدة لانسينج أن يقوم ببحثه بسرية، ونأمل أن يتمكّن من مساعدتنا للوصول لوالدة البنات، وأنا أيضا كتبت لعمة لي بفيلادلفيا طالبة منها أن تحاول العثور على عائلة أيفانز في بنسلفانيا، لكنى أخاف من أن تكون تلك مهمةٌ صعبةٌ، لكن عمتي أدلليد وزوجها لديهم اتصالات ومعارف ممتازين. أمّا في الوقت الحالي ستمكُث البنات هنا بالطبع حتى يتم العثور على والدتهم وعائلتهم. والسيد والسيدة ريف الوكيل والحارس ومدبرة المنزل قد تبنّياهم عملياً بالفعل مثل الآنسة كليتون.

سعُل الطبيب سعلةً خفيفةً وبدأ يتّقد وجهه ثم قال: إنّ الآنسة كليتون ممرضةٌ ممتازةٌ، ممتازةٌ بحق. لقد رتّبنا معاً لأن أجيء صباح كل

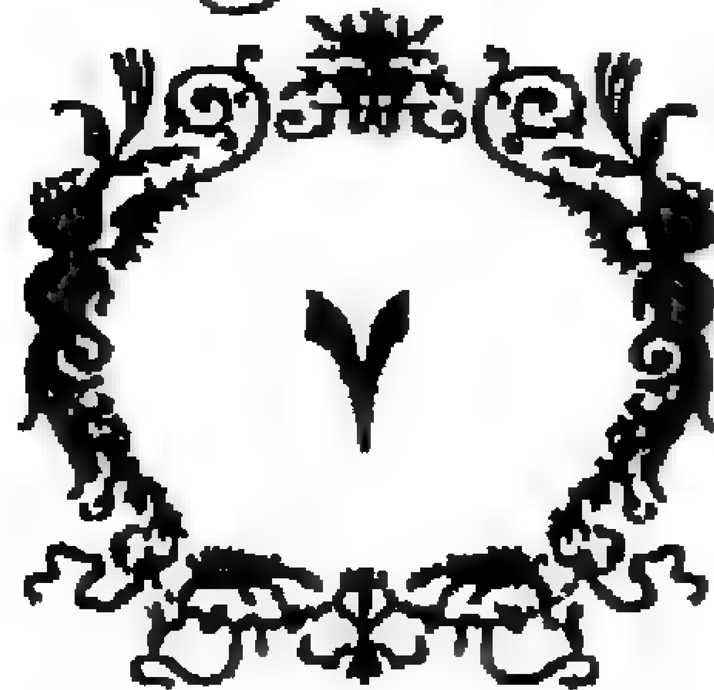
يوم جمعة من الآن ودوماً، إذا كان هذا يناسبك.

قالت "في" بفرح: بالطبع يناسبني جداً، إنه كرمٌ شديدٌ منك، لكن ربما لا يوجد لدينا مرضى لتفحصهم.

أجاب الطبيب الشاب: هذا لا يحدث فرقاً. وسعُل مرةً أخرى وطأطأ رأسه قليلاً حتى نزل شعره للأمام على جبينه وأكمل: إن الآنسة كليتون وأنا لدينا بعض الأمور التي ينبغي أن نناقشها عن أسلوب العمل وطريقته- ترتيب الأمور، كما تعلمين. لذا سيكون لديَّ الكثير لأقوم به وأنا أنتظر المرضى.

شكرته "في" مرة أخرى لكنها لم تقُل شيئاً عن ذلك السؤال الصغير جداً الذي يدور بعقلها.

الفصل



ضيف إد



فَاقْبَلُوهُ فِي الرَّبِّ بِكُلِّ فَرَحٍ

فيلبي ٢: ٢٩



استيقظتْ "في" مبكرةً يوم الأحد وأخذت عربتها الخفيفة المكشوفة لتذهب لكنيسة القرية بقرب أيون وتنضمّ لعائلتها في حضور الخدمة والعبادة وقضاء باقي اليوم معهم بالبيت ثم تعود للمدينة في صباح اليوم التالي.كانت السيدة أوفلاهرتي قد قرَّرت البقاء بمنزل السامري لتراعي الفتاتين الصغيرتين ولتكون متاحةً حالَ مجيء أيِّ شخص من الجيران الجُدد للإرسالية.

كان صباحٌ دافئٌ من أواخر أيام شهر أكتوبر، وكانت السماء صافيةً والشمس ساطعةً فتطلَّعت "في" لرحلتها في مثل هذا الجو الرائع، ولكونها وحدها بالعربة شدَّت رأس الحصان لترفعها مرة واحدة وما أن وصلت للطريق المفتوح حتى جعلت الحصان يسير بكلِّ سرعته وكأنه في سباق، وبعيداً عن مناظر المدينة وروائحها. أخذت "في" خلال الطريق أنفاساً عميقة من الهواء النقيِّ المُنعِش للخريف وأشبعت عينيها من مناظر الريف الرائعة حيث بدت الطبيعة مزيَّنةً بالأشجار التي في أبهى صورها لهذا الفصل من السنة. وحين وصلت "في" للكنيسة كانت وجنتاها حمراء وعيونها تتلألأ.

رأت "في" عربة آل ترافيللا تصِل حين كانت هي تتَّخذ مكاناً لعربتها الخفيفة. كان الجميع موجودين عدا إد، فقد قالت لها والدتها بسرعة حين كانوا يدخلون الكنيسة أنه ذهب لخليج أنديانا ليستقبل ضيفه البروفسور عند محطة القطار. كانت "في" قد نست تماماً أمر هذا الضيف، ولكن مرَّ ببالها خاطر فقالت: أتمنَّى ألاَّ يكون هذا البروفسور مملٌّ وفاترٌ،ولكنها لامت نفسها على الفور لعدم لُطفها وطلبت الغفران وجلست في مقعد العائلة- مصمِّمةً على تكريس كلُّ فكرها لدرس اليوم.

لم يكن إد قد عاد حين عادت العائلة من الكنيسة.لكنهم تناولوا وجبة الغذاء لأنَّ إلسي لم ترغب في إتعاب الخدم أو مضايقتهم بتأخير موعده. وما إن انتهوا حتى وصل إد أخيراً مع ضيفه وصديقه.

شرح إد أثناء دخوله حجرة الطعام يتبعه صديقه، الذي لم يكن على

الإطلاق ما تخيلته "في"، قائلاً:لقد تأخّر القطار ساعة.

كان صديقه طويلاً، أطول عدة بوصات من إد الذي يبلغ طوله حوالي ست أقدام وأصغر بكثير عن معظم أساتذة الجامعة- خمّنت "في" أنه في حوالي الثلاثين من العمر. وكان تحت شعره البني المصفرّ القصير وجهاً دقيقاً جداً يجعل عينيْه الزرق تبدُوان وكأنهماتلمعان تقريباً. كما وجدت خطوطاً تشعُّ من جوانب عينيه آتيةً من مضيٍّ كثير من الوقت في الشمس، كان فكُّه مربعاً ويربي شارباً كثيفاً لم يُخفِ أبداً ابتسامته المائلة بعض الشيء. اعتبرته "في" مقبول الشكل بالرغم من أنه حسِناًبعض الشيء ، لكنه ليس مثل كلّ أساتذة الجامعات الذين قابلتهم أثناء زيارتها لإد حين كان بالجامعة.

بدأ إد التعارف ببهجة قائلاً: عائلة ترافيللا، أودُّ أن أقدِّم لكم صديقي البروفسور ماركوس داريوس ريموند.

هزَّ الرجل رأسه وابتسم أثناء تقديم كلّ فرد من أفراد العائلة له بعد ذلك.

حين وصل إد لداني، قال الولد: كيف حالك يا بروفسور ريموند؟ هل أنت الرجل الذي يدرس العظام القديمة؟

أجاب البروفسور: ليس بالضبط، فموضوع دراستي هو الحضارات القديمة وأحاول أن أتعلّم كيف كان الناس يحيون منذ مئات وآلاف السنين. يمكنك القول بأني أدرس العظام التي مضى عليها وقتٌ طويلٌ- لكن ليس العظام التي تعنيها.

قال داني: آوه. بلمحةٍ من خيبة الأمل، لاهتمامه الشديد مؤخّراً بالعلم الجديد لدراسة الديناصورات.

دقّت إلسي الجرس الصغير فظهرت خادمة. فطلبت منها إلسي أن يحضروا الطعام للرجال ثم اقترحت أن تذهب العائلة للصالة أثناء تناول إد وضيفه لطعامهم.

استأذنت "في" من والدتها لأن تذهب للتمشية حول البُحيرة بدلاً من انتظار أخيها وضيفه، قائلة: إنه يوم رائع، وأنا لم أرَ بقعتي المفضلة منذ عدة أسابيع.

سألت روزماري: هل يمكنني المجيء معك يا "في"؟

قالت إلسي: يمكن لكلاكُما الذهاب، لكن لا تتأخّرا، فلدينا ضيف وسيكون من غير اللائق أن نتركه وحده.

وعدت "في" بالعودة خلال ساعة، وأسرعت هي وروزماري لإحضار سترتهما.

كانت البحيرة التي صمّمها والدها بعد الحرب الأهلية مباشرة بمنخفضٍ صغيرٍ غير بعيد عن المنزل، تتغذّى من ينابيعٍ عميقةٍ باردةٍ بالأرض، لذا لم تجف أبداً حتى في أوقات الجفاف. وعبر السنين نمت الشجيرات التي زرعها إدوارد ترافيللا حول شاطئها وترعرعت. ووُجد في النهاية القصوى للبحيرة مكاناً لركن المراكب والزّوارق الطويلة وشاطئ من الحصى علّم فيه إدوارد كلّ أبنائه السباحة.

وُجِدَ على الجانب القريب من البحيرة رصيفاً للسفن خشبياً ممتداً بالماء وكان هذا مقصِد "في".

هتفت روزماري وهنّ تمشين عبر الحقل الكثير النمو المنحدر للبحيرة قائلة: أوف! آه، كم أكره هذه النباتات الشائكة! لأنها تجرح ذراعي وتلتصق بملابسي.

ضحكت "في" قائلة: إذاً دُوري حولهم ولا تمشيْ بداخلهم. ثم نظرت لأعلى ورأت الماء من خلال مجموعة من الأشجار على حدود الحقل. فجَرتْ قشعريرةُ فرحٍ صغيرةٍ بذراعيها وكتفيْها وقالت بنعومة:آه، إنني أنسى دائماً مدى جمال البحيرة في الخريف.

سألت روزماري: ماذا؟

قالت "في": انظري كم جميلة. فالماء مثل مرآة فضيةٍ- أزرق. انظري كيف تعكس الأشجار- أشجاراً ذهبية بمرآةٍ فضيةٍ. إنني أنسى من سنة لأخرى مدى جمالها الخلاب، وأجدها جديدة في كلّ مرة أراها- عطية جديدة من الأب السماوي.

قالت روزماري: أنت تأتين هنا أكثر من أيّ واحدٍ فينا.لماذا؟

لم تُجِبْ "في" حتى وصلوا لنهاية الأشجار التي امتدّت خلفها تماما الحشائش الخضراء التي تصل لحرف المياه. وكان الرصيف يمتدُّ من هذاالشاطئ ولمسافة خمس وعشرين قدم في الماء. وظهر بالجو الرمادي كطريقٍ ضيق يطفو على مياه تتموّج برفق.

قالت "في" أخيراً: إنه هادئ ومسالم، آتي هنا لأكون وحدي لأفكّر وأرسم. ولأنه يذكّرني ببابا، فحين كنت صغيرة كان الرصيف جديداً وكان بابا يأتي بي لهذا المكان لنجلس ونصطاد معاً، فلديّ صنارةٌ صغيرة صنعها بابا خصّيصاً لي. وأول مرة اصطدتُ سمكة جعلها بابا تُطبخ لنتناولهاعلى العشاء، بالرغم من أنّ حجمها لم يكن ليملأ فماً. فلم أكن اصطاد شيئاًعادة، لكن لم يكن هذا يهمّ لأني كنت مع بابا. فقد كان يحكي لي قصصًا عن أيون وكيف تربّى بها وعن والدته وماما حين كانت فتاة. كم كنت أتمنى أن نعرف جدتنا ترافيللا لأنه من المؤكّد أنها كانت امرأة مُدهشة، فقد أدارت أيون بنفسها ووحدها بعد أن توفى زوجها كما ربّت بابا وحدها أيضاً.

قالت روزماري بهدوء: كنت أتمنّى أن يظل بابا معنا.

وصلتا حينها للنهاية القصوى للرصيف ومشيتا على سطحه الخشبي مُستدفئتين بالشمس.

قالت "في": إنه لا يزال كما هو. فنحن لدينا ذكريات جميلة عنه ومعه.

أجابت روزماري: لكن ليس لديّ الكثير من الذكريات مثلك، وداني بالكاد يذكره، وأحيانا أشعر بأني خُدعت- لأنّ بابا مات قبل أن أستطيع معرفته بحق.

قالت "في" برقّةٍ: أتفّهم هذا. فنحن جميعاً نفتقده جداً، لكن انظري حولك، فهذا المكان أحد الأشياء التي صنعها لأجلنا، وأيون مليئة به، وبالنسبة لي، ستظل أيون دائماً مصدر قوة وتشجيع لأنه لا يوجد فيها ركن أو مكان لا يذكّرني ببابا. قد لا يكون لديك ذكريات كثيرة مثلي لكن ألا تقدّريهم وتتعلّمي منهم؟

قالت روزماري بِبُطءٍ: أعتقد هذا، ففي كلُ مرة أذهب لركوب حصاني أتذكّر بابا وهو يرفعني لأمتطي أول مهر لي ويسير بي إسطبل ترويض الخيول ويقول لي ألاّ أخاف، وأذكره وهو يقرأ لي عند النوم ويساعدني على تعلّم الكلمات، وأذكر كم كان مرِحاً وكيف كان يجعلني أضحك مهما كنتُ غاضبةً.

قالت "في": إنّ الذكريات عطيّةٌ أخرى من عطايا الله لنا، لأنهامعنا

كلّما احتجنا إليها لتذكّرنا كم أحبّنا بابا.

أضافت روزماري بنبرةٍ مشرقةٍ: وكم كنا نحبه،وأظنّ أنّ ما يهمّ- أننا نحب بعضنا البعض، وأنّ الله يحبنا.

تقدّمت "في" وبدأت بحرص تنزع بعض من العُلّيق الذي أمسك بجوْرب روزماري. وقالت: أشعر بأني قريبة جداً من الله في كلّ مرةأجيء فيها لهذا المكان ، فهنا بمثابة كنيسة لي- البحيرة والأشجار والسماء فوقنا، إنه محراب بالنسبة لي.

قالت روزماري وهي تنظر حولها: إنه يعجبني أيضاً،و ربما يمكنني المجيء هنا أكثر.

ثم سألت روزماري "في" عن منزل السامري، وبدأت "في" تخبرها عن تانسي وماريجولد، لكن حديثهما قُطع عن طريق صوت عالٍ ينادي على أسمائهما. كان صوت إد فذهبت إليه البنات لتجدا البروفسور بجانبه.

لوّحت له "في" وأسرعت هي وروزماري في الذهاب إليهما، وعند اقتراب الرجلين إليهما قالت روزماري بهمسةٍ مسرعةٍ: يذكُرني البروفسور بالزرافة.

هشّت "في" أختها، لكنها لم تستطع كتمان ابتسامتها. فقد كان يشبه الزرافة بحق-لأنه طويلٌ ورفيع مع وقفةٍ مستقيمة ويمشي بخطى واسعة مثل التي للحيوانات التي رأتها في حديقة الحيوان بِنيويورك.

قال إد: ماما أرسلتنا لنرافقكم في العودة للمنزل وأنا فكُرت فى أنّ مارك ستعجبه البحيرة.

قال البروفسور وهو يتفحّص المنطقة بعينيه: إنها ساحرة بحق، مكان جميل للرياضات المائية.

لم تشعر "في" بالارتياح لسماعها "ساحرة وجميل" - وكأنه يصف قبّعة امرأة.

كان إد يخبر صديقه عن كيف بَنى والده البحيرة لكلّ صغار آل ترافيللا حتى يستطيعوا السباحة والصيد وركوب المراكب.

سأل البروفسور بنبرة مندهشةٍ: كلُكم؟ البنات مثل الأولاد؟

قال إد: بالطبع، كان مهمّاً له جدا أن نكون جميعاً ماهرين في

السباحة، إنَّ أختي الكبرى أنقذت مرة شخصاً من الغرق هنا في البحيرة.

قال البروفسور مستبعداً: إنها ليست عميقة على ما أعتقد.

أجابت "في" بحدةٍ: عميقة لدرجة تسمح بغرق أحدهم، وباردة جداً، أبرد من قدرة تحمُّل معظم الناس.

قال البروفسور: نعم، بالطبع. وهو يدرك أنَّ ملاحظته لا تأتي من شخصٍ ذكيٍّ.

شعرت "في" بحرارة الغضب في وجهها، فسحبت روزماري من يدها وقالت: يجب أن نعود للمنزل- الآن!

لم يبدُ أنَّ إد سمع الحدَّةَ بصوتها لكن روزماري سمعتها، وتساءلت عن سبب التغير المفاجئ لمزاج "في"، فقد كانت تعلم أنَّ أختها قد تغضب لكن ليس كثيراً ودائماً ما يكون غضبها لسبب وجيهٍ، وكانت مروَّعةً لدرجة سمحت بأن تسحبها "في" بعيداً.

نادى إد على أختيْه اللاتي كنَّ يجرين تقريباًووصلن للشاطئ قائلاً: انتظرونا.

توقَّفت "في" على نهاية الرصيف لكنها لم تترك يد أختها- ضاغطة عليها دون وعي لدرجة أنَّ روزماري تأوَّهت وقالت:أوه! فتركت "في" يدها.

عاودت "في" المسير عندما سمعت صوت خطوات إد والبروفسور وراءها، وابتعدت عن البحيرة وخطواتها أكثر اتساعاً. ولكن روزماري تخلَّفت قليلاً وبدأت تتحدث مع إد والضيف، لكن "في" كانت مصرَّةً على المضيِّ قبلهم دون أن تقول شيئاً .

سألت روزماري: قال إد أنَّ اسمك داريوس فهل هذا آتٍ من داريوس ملك فارس؟

أجاب البروفسور: يوجد ثلاث ملوك فُرس باسم داريوس فى الحقيقة، وأدَّعي بأني سُميت على اسم الأول الذي كان فاتحاً عظيماً ومانحاً للحقوق عظيم أيضاً. كان والدي دارساً للتاريخ القديم وكانت أسمائي من اختياره.

سألت روزماري: إذن ماركوس على مارك انطونيو؟

قال البروفسور: لا ليس بهذا القِدم، فاسمي الأول تكريمٌ لمرسل

وطبيب أمريكي يُدعى ماركوس ويتمان. سافر غرباً عام 1830م وخدم الهنود الحمر الذين على المحيط الهادي بالشمال الغربي. كان فعلاً رائداً وليس فاتحاً. قابله والدي عدة مرات وأسماني على اسمه تكريماً لعمله.

رفع تعليق البروفسور من فضولية "في"، فأبطأت من خُطاها لتنضمّ للمجموعة.

قال البروفسور ريموند: ونحن نتحدث عن الأسماء، يعتبر اختيار أيون كاسمٍ لمزرعتكم مشوّق جداً، هل تعلم أصل التسمية يا إد؟.

قال إد: سماها جدي ترافيللا الذي توفي قبل ولادتي بكثير. قالها إد بنبرة بدت لأذنيْ "في" كنبرة تلميذٍ أكثر منها رجل ناضج وسيكون صاحب مزرعة كبيرة في يوم ما.

أكمل إد: أعتقد أنه آتٍ من المنطقة اليونانية القديمة أيونيا، فأعمدة الرّواق بالتأكيد أيونية التصميم.

لم تستطع "في" التوقُّف عن الكلام حينها فقالت ساخرةً: من المفروض أن يكون أيون ملكاً قديم لأثينا. كان في علم الأساطير حفيد لهيلين الجدة العليا لليونانية القديمة والثقافة الهيلانية.

قال البروفسور بضحكة خافتة: لقد علّمك أحدهم جيدا يا آنسة. أنه بالفعل واحد من الأساطير حول أيون. وهل تعلمين علاقة اسمك بأيون؟

نظرت "في" إليه بفضول. غير مكترثةٍ بالسُّؤال،وأثناء ذلك

توقَّف البروفسور عن المشي وبدا يحملق في المنزل الذي أصبح في الإمكان رؤيته بالكامل من على قمة المرتفع. توقف الجميع أيضا بصمت- منتظرين لما سيقوله.

اقتبس البروفسور ريموند شيئا باليونانية وهو لا يزال يحملق في المنزل.

أدركت "في" اللغة لكنها لم تتمكّن من معرفة المعنى.

سأل البروفسور ريموند إد: هل تذكر هذه الكلمات يا إد؟

تردَّد إد للحظات ثم قال: ليس تماماً. هل يجب أن أعرفهم.

أجاب البروفسور بنبرةٍ ظنتها "في" متلاطفة بوضوح: ربما لا، لأنها من مسرحية عظيمة لأرسطو، جملةٌ تستخدم في وصف النبلاء الأثينيين - مدينة التاج البنفسجي (فيوليت= بنفسج).

ثم استدار نحو "في" وقال بابتسامة: أيون تعني بنفسج في اليونانية القديمة، فإنَّ أيون الأسطورية توّجت ملك الأثينيين، وبالتالي كانت مدينته متوّجة بالتاج البنفسجي. ألا تظنين أنها صلة مشوّقة يا آنسة ترافيللا؟

فكّرت "في" :كوْنهامشوّقة بالفعل، لكن قبل أن تستطيع الكلام غنّت روزماري عالياً قائلة: إنه ساحر! بحق يا أستاذ، ساحر بحق! ترى هل كان بابا يعلم هذه القصة. ربما يكون هذا سبب تسميتك بفيوليت.

سأل البروفسور: هل كان أبيك يقرأ اليونانية؟

أجاب إد: نعم، يجب أن أريك المكتبة. كان لدى أبي مجموعة جيدة جدا من الكتب والنصوص اليونانية واللاتينية.

استكمل الآخرين مشيهم نحو المنزل، لكن "في" لم تتحرك لبعض اللحظات، فقد كانت تفكّر ولكن أىّ فكرٍ هذا الذى جلب لوجهها الكثير من التّجهم والعبوس.

دعتها روزماري قائلة: تعالي يا "في".

تطلّعت "في" لأعلى وقد زال تجهُّمها وهي تتوجّه نحو المنزل.

ما إن وصلوا للمنزل حتى توجّه إد وصديقه للمكتبة مباشرة، وبحثت "في" وروزماري عن والدتهما التي كانت تجلس في حجرة الجلوس مع العمة كلوي.

حكت لهما روزماري عن المعلومة التي قالها لهم البروفسور التي وجدتها إلسي معلومة مثيرةً للاهتمام جداً أيضاً.

قالت العمة كلوي: إن هذا البروفسور رجل ذكي.

أجابت روزماي بطريقة جادة: آه، ذكي جدا. إنه يدرس الحضارات القديمة يا عمة كلوي، ليكتشف كيف كان الناس يعيشون حينها.

قالت كلوي بابتسامة: أنا أعلم عنها عن طريق دراسة الكتاب المقدس، فهو يعود لبداية الكون.

قالت إلسي: بناءاً على كلام إد، كان أول اهتمام للبروفسور ريموند هو الكتابات الكلاسيكية لليونانية والرومانية، وقد سافر لليونان ومصر وعبر الأراضي المقدسة، وأثناء سفره هذا غيّر مجاله للحضارات القديمة.

هتفت كلوي: الأراضي المقدسة! تقولين أنه مشى على نفس الأرض الذي مشى عليها ربنا ومخلصنا يسوع؟

أجابت إلسي: نعم، لقد زار أورشليم نفسها.

قالت كلوي بعجب: يا إلهي!

سألت روزماري: ترى هل رأى الأهرامات في مصر؟

أجابت إلسي: أعتقد هذا، لكن يجب أن تسأليه يا عزيزتي.

جلست "في" صامتة خلال المناقشة تفكّر في أنه ربما يكون البروفسور شخصٌ مشوّق جدا. لكن كان هناك شيئا ما حوله...

قاطعت إلسي أفكار "في" بسؤالها: علمت أن السيدة لانسينج تودُّ أن تقيم حفلةً لأجل "منزل السامري". فهي تقول أنها ستكون طريقةً جيدةً لتقديمه وتقديم ما يقوم به لقادة ورجال الأعمال والسياسة في خليج أنديانا. وأعتقد أنها فكرةٌ جيدةٌ، لكنها تريدك أن تلقي خطبة.

قالت روزماري بحماس: يمكنك القيام بهذا يا "في"، لأنه لا يوجد أحد يمكنه التحدث عن "منزل السامري" أفضل منك.

ضحكت "في" قائلة: يمكنني أن آكل آذان الناس من كثرة حديثي عن منزل السامري، لكن هذا يختلف عن إلقاء خطبة، فمجرد التفكير فيها يجعل ركبتيّ ترتعشتيْن.

قالت إلسي: حسنا يا عزيزتي، سنقوم جميعنا بمساعدتك. فقد كتبت لي نعومي تخبرني عن أنها تفكّر في إقامة حفلاً راقصاً صغيراً بمنزلها لا يزيد عدد الضيوف فيه عن مئةِضيف للرقص وتناول وجبة العشاء، وتودُّ أن تقيمها في أوائل شهر ديسمبر حتى يكون لديك فسحة من الوقت لإعدادخطبتك.

لم تسنح ل"في" فرصةً للرد لأن روزماري قفزت من على كرسيُها وهتفت: حفلاراقصاً آه يا ماما، هل يمكن أن أذهب؟ فأنا لم تسنح لي الفرصة أبداً للذهاب لحفل راقص خصوصاً وأني أعلم أنه سيكون رائع لأن السيدة لانسينج هي التي ستنظمه.

قالت إلسي بابتسامة: أعتقد أنه يجب أن تذهبي، فقد نظفت النوافذ ومسحت الأرض في منزل السامري. وتستحقين الذهاب لهذا الحفل.

إرسالية فيوليت الجريئة

سألت روزماري: هل هذا يوافقك يا "في"؟

ابتسمت "في" قائلة: بالطبع. يجب أن تكوني هناك.

صفّقت روزماري وبدأت في رقص رقصة الفالس حول الغرفة لفرحتها بحضور أول حفل للكبار ولم تسمع "في" تقول: ربما يجب أن تلقي أنت الخطبة يا أختي الصغيرة، كم أودّ أن أشاركك فرحتك وإثارتك.

لكن إلسي سمعت الملاحظة فمالت نحو "في" وقالت: لا تقلقي يا حبيبتي، ركّزي فقط على الموضوع في ذهنك- منزل السامري. وبالتالي ستخدم خطبتك منزل السامري وأهداف ربنا.

ابتسمت "في" لوالدتها وقالت: أعلم يا ماما، دعينا الآن ننسى الخطب لأنني أريد أن أخبرك عن كل شيء عن المقيمين الجدد به.

كانت وجبة العشاء مشوّقة جدا ذلك المساء فقد جعل البروفسور ريموند الجميع غير قادرين على الكلام من الدّهشة بقصصه الكثيرة عن زياراته الاستكشافية لطروادة القديمة القريبة من الساحل التركي. كانت روزماري مسرورةً جدا لمعرفتها أنه قد رأى الأهرامات في مصر بالفعل وأنه أخذ رحلة نيلية في نهر النيل، وأخبرهم أيضا عن رحلاته الأخرى للأراضي المقدسة ورسم لهم بكلماته صورة مفعمة بالحيوية والإشراق عن المناظر الطبيعية للأراضي القاحلة للمنطقة.

فهمت "في" أثناء استماعها له سبب كونه واحد من أكثر الأساتذة تفضيلاً لدي إد. لأنها استطاعت أن ترى الطرق المتربة وقرى الأراضي المقدسة أثناء حديثه.

كان لدى الآخرين أسئلة كثيرة لضيفهم لكن حين وصلت الحلوى، سأل البروفسور قائلا: سامحوني لقد تحدثت تقريباً طوال فترة العشاء. لكن على قدر استمتاعي بالتحدث، أتعلّم من خلال الإنصات. أخبريني يا آنسة فيوليت عن مشروعك- الإرسالية التي ذكرها أخيك.

فاجأ سؤاله "في" ولم تستطع تخيُّل سبب اهتمامه لكنها ردّت بأدب واصفة منزل السامري وهدفه.

علّق البروفسور حين انتهت قائلاً: أنت أيضا مستكشفة بشكل ما يا آنسة.

سألت "في": ماذا تعني؟

أجاب: أنت تستكشفين طرق الحياة والناس الجدد عليك، وتستخدمين مصادرك للتنقيب عن الكنوز حيث لا يرى معظم الناس شيء سوى الفقر والخراب.

قالت "في": هذه طريقة رومانسية لوضع الأمور. وهي غير واثقة إن كانت ملاحظتها قصد بها أن تكون إطراء أم لا.

قالت إلسي له: يجب أن ترى منزل السامري أثناء وجودك هنا.

أجاب البروفسور ريموند: أودُّ هذا يا سيدة ترافيللا، إذا لم يكن هذا مزعجاً للآنسة فيوليت.

قالت "في": أبوابنا مفتوحة للجميع دائماً.

فتح باب حجرة الطعام في نفس اللحظة وكأنهم في انتظار كلمتها، ودخل هوراس دينسمور وزوجته روز وزوي.

حيَّتهم العائلة بحرارة وسرعان ما اجتمع الجميع في الصالة، كانت المحادثة حية ومشوِّقة بحق ليلتها. واستمتع هوراس بشكلٍ خاصٍ بحديثه مع البروفسور الشاب عن رحلاته وعمله. ولكونه مؤرِّخ مكرَّس اهتم بالتحديد بالعمل في طروادة التي أخرجت حديثاً من حيِّز الأساطير للواقع التاريخي كنتيجةٍ للتنقيب الذي قام به رجل الأعمال الألماني الأصل هنريك سكليمان.

فاجأت زوي الجميع بما فيهم البروفسور بقولها أنها قابلت السيد سكليمان مرة حين زار السفارة الأمريكية في باريس. كان لقاء يحب والدها دائماً أن يتحدث عنه. سألها البروفسور ريموند عما تذكره عن الرجل الشهير فبذلت زوي أقصى جهدها لتذكُّر كلَّ شيء لكنها كانت في الحادية عشر حينها ولم يكن السيد سكليمان المستكشف الشهير حينها.

ذكرت إلسي في النهاية أبناءا الصغار والتوأ بقرب مجيء موعد نومهم وأصرَّت بحزم على أن يذهبوا ليناموا، ولملاحظة هوراس وروز وزوي تأخُّر الوقت استأذنوا للذهاب لمنزلهم هم أيضاً، لكنهم لم يرحلوا قبل أن يحصل هوراس على وعد ابنته وحفيده والبروفسور بتناول وجبة العشاء في اليوم التالي في روزلاندز.

استأذنت "في" للذهاب لتذكُّرها بعدم دعوة العمة كلوي حتى الآن لزيارة منزل السامري وأنها ربما لن تراها قبل أن تغادر في صباح اليوم التالي. قبلت العمة كلوي الدعوة بامتنان وبعد أن قبَّلت "في" مربيتها العجوز ذهبت لتُلقي تحية المساء على والدتها ثم ذهبت لحجرة نومها وهي مندهشة لإحساسها الشديد بالإعياء لأنه كان يوم أجازة. ففكرت في نفسها أثناء أخذها كتابها المقدس من على الطاولة المجاورة لسريرها وتأمّلت في بعض إصحاحات قصيرة فيه:ربما يكون جو الخريف المنعش هو الذي يشجّعني على النوم. وما أن استقرّت جيدا على وسادتها حتى سمعت طرقاًخفيفاًعلى باب حجرتها ودخلت روزماري.

سألت "في" مداعبة: أليس من المفروض أن تكوني في فراشك ومستغرقة في نومك الآن؟

قالت روزماري وهي تقترب من أختها فيما يشبه الهمس: كان علي أن أطلب منك شيئا على انفراد.

جلست "في" وقالت: ما هو؟ هل تحتاجين لمساعدتي في شيء؟

أخفضت روزماري رأسها ووجهته للناحية الأخرى وقالت: أني أريد فقط أن أعرف ما الذي أغضبك بعد ظهر اليوم عند البحيرة. هل كان شيئاً بخصوص البروفوسير؟

قطّبت "في" حاجبيها فى تجهُّم ساخرٍ قالت: آه، إنك شديدة الملاحظة يا فتاة وفضولية جدا أيضاً. أجابت روزماري باستياء: حسنا لقد كنت شديدة الغضب وجذبتنى بعيداً وضغطت على يديَّ لدرجة أنها تورَّمت تقريباً، فلم يكن أمامي شيءٌ سوى أن ألاحظ. ووضعت يديها على ركبتيْهاوهذه عادة تقوم بها فى كلُّ مرة تكون مصمِّمةالحصول على ما تريد- واستمرَّت في القول: أنا لم أفعل شيئاً ولا إد فعل شيئاً فخمَّنت أنه لابد أن يكون البروفسور. ألا يعجبك يا "في"؟ ألا تعتقدين أنه أكثر الأشخاص سحراً؟

تنهّدت "في" ثم ابتسمت قائلة: أعتقد أنه ممتع جدا.

قالت روزماري: إذاً لماذا هربت؟ وهي تجلس على السرير.

لم تكن هذه نوع المحادثة التي تودُّ "في" التكلُّم فيها لذا قالت: لم أكن أهرب، لقد وعدت ماما بأننا سنعود بعد ساعة وكان قد حان موعد

رجوعنا.

سألت روزماري بعناد وإصرارٍ شديدَيْن: لكن البروفسور لا يعجبك يا "في". أليس كذلك؟

هتفت "في": أنني بالكاد أعرفه! أعتقد أنه ممتع، وأعتقد فقط أنه لا يجب أن يتحدث إلينا وكأننا تلاميذه. هذا كل ما في الأمر يا روزماري. فأنا لا أحب أن يحاضرني أحد، لكنه بروفسور بالجامعة ومعتاد على المحاضرة،وأعتقد أنه في الغالب لا يتمكّن من أن يكون غير هذا. إنه صديق إد وهذا كل ما يجب أن يهمّني في الأمر.

أمالت روزماري رأسها مرة أخرى وحملقت في أختها وقالت بعد عدة لحظات: هذا كل ما يهمني، هذا وحقيقة أنّ البروفسور ريموند يبدو ودوداً وساحراً للغاية.

أجابت "في" بنبرة باردة إذا لقد قلتها بالفعل. وأخذت كتابها المقدس وأضافت:أنا أحتاج بحق للقيام بقراءاتي وأنام. فأنا سأغادر مبكُرا جداً غدا كما تعلمين.

قفزت روزماري من على الفراش واتّجهت نحو الباب وسألت بطريقةٍ أنيقة: ماذا ستقرئين؟

قالت "في": لم أقرّر بعد.

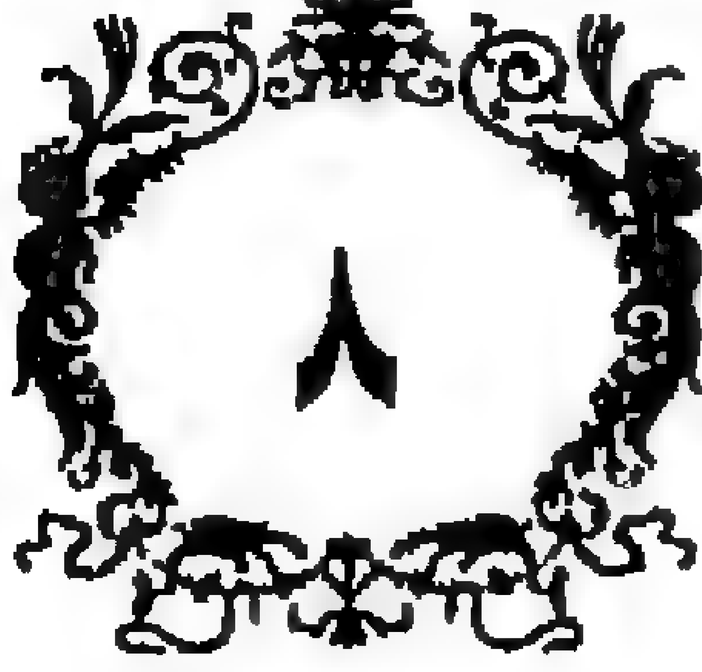
اتّجهت روزماري نحو الباب لكنها عادت لتقول: جربي قراءة يوحنا7: 24. وأضافت: أنت تعرفينها أليس كذلك؟ وهي تختفي عن عيني "في" وتغلق الباب خلفها.

قالت "في" لنفسها في الغرفة الفارغة: أنا أعرفها. ثم اقتبستها لنفسها: " لاَ تَحْكُمُوا حَسَبَ الظَّاهِرِ بَلِ احْكُمُوا حُكْماً عَادِلاً".

وبدأت تضحك على دعابة روزماري الصغيرة، لكن سرعان ما تحوّلت تعبيراتها للهدوء. وقالت في نفسها: ربما تكونين أكثر حكمة مما تبدين عليه يا أختي الصغيرة. يجب أن أحاول التعرف على البروفسور بطريقة أفضل إذا أردت أن أحكم حكماً عادلاً.ويجب أن أحاول أن أعجب به لأجل خاطر إد على الأقل.

وعادت ليوحنا 7 وهذا في مخيلتها وقرأت الإصحاح كلّه وفكّرت وتأمّلت بعناية فيما يعنيه بالنسبة لها.

الفصل



تعريف



إنّي أقومُ وأطوفُ في المَدِينَةِ في الأسوَاقِ وَفِي الشَّوارِعِ

نشيد الأنشاد ٣: ٢



وضعت "في" بتصميم كلّ فكرٍ حول البروفسور وسلوكياته جانباً على وقت وصولها لمنزل السامري في صباح اليوم التالي. وركّزت تفكيرها على الإرسالية وما تعتبره الآن المرحلة التالية لعملها. فسألت السيدة أوفلاهرتي وأميلي أثناء جلوسهن معا في مكتب الإرسالية: كيف نشجّع الناس على المجيء لهنا؟

كانت السيدة أوفلاهرتي قد أعدّت القهوة ورائحتها تملأ الغرفة. وكانت كريستين في الخارج تعلم تانسي وماريجولد لعبة الوثب التي كانت البنات سعيدات بها وضحكاتهن تصل لغرفة المكتب من خلال نافذته المفتوحة. وكانت "في" في رِفقة أصدقائها تفكّر في كم تودُّ أن تشارك مشاعر الصداقة هذه مع الآخرين.

قالت السيدة أوفلاهرتي: هذا أهم سؤالٍ يجب أن نجيب عليه، فنحن لسنا محل ملابس في شارع كبير يعرض ملابسه الأنيقة في نافذة العرض ولا نحن مكان يلفت النظر عن طريق إعلانات الجرائد. نحن نعلم أنه يوجد أناس سيستفيدون من خدماتنا لكننا لا نعلم ناس ويلدوود. لقد رأونا لكنهم حتى الآن لم يبدِ أيٌّ اهتمام بما نقوم به.

قالت "في": إذن، يجب أن نقدِّم أنفسنا.

قالت أميلي: كنت أفكّر في هذا الأمر، وناقشته أيضا مع خالتي، فقد عاشت في خليج أنديانا كلّ حياتها، وقالت لي الكثير عن تاريخ الكنيسة. وهي تقول يوجد قادة لكلّ جماعة من الناس وأننا يجب أن نجعل من قادة ويلدوود حلفاءآلنا.

سألت "في": ما الذي تعنيه بقادة؟

قالت السيدة أوفلاهرتي: إحساسي يخبرني بأن قادة ويلدوود ليسوا من الناس الذين يمكن أن يرغبوا في مساعدتنا، فممّا قيل لي يأتي الحكم في هذه المنطقة من أصحاب الحانات وصالات القمار- رجال سيستاءون ويبغضون وجودنا بالتأكيد. لأنهم سيفترضون- وهم على حق في هذا تماماً- بأنّ عملنا سيأخذ منهم زبائنهم. ومما لا شك فيه أن هؤلاء الرجال

يعتبروننا بمثابة تهديد للمكاسب التي يكسبونها من زبائنهم التائهين عن الله.

أجابت أميلي: هذا حقيقي. لكن خالتي تقول أنه يوجد جانبٌ آخر للجماعة وهي تقترح وجوب أن نبدأ بالكنائس لأنّ تعضيدهم لنا مهمٌ وحيويٌ جدا. وحكت لي عن جهود كثيرة سابقة لفتح إرساليات في ويلدوود فشلت جميعها في رأي خالتي لأنها لم تنجح في كسب ودّ وصداقة سكان الحي. وكان هناك دائماً صراع بين السكان المقيمين بالفعل والوافدين الجدد. وتذكُر على سبيل المثال أحد القسس الذي أتى لهنا وقرّر إقامة اجتماعات في صباح الأحد وانخفض حضور الكنائس المحلية- حتى غادر ويلدوود لسبب ما مجهول. وتقول الخالة اريكا أنه إذا أردنا النجاح فعلينا إدراك أننا أغراب ونمشى بخطىً حسيسةٍ لئلاّ نغضب من نحتاج لتعضيدهم.

قالت السيدة أوفلاهرتي: يبدو أن خالتك اريكا تمتاز بحسٍّ سليم يفوق العادي.

وافقت أميلي قائلة: إنها كذلك. فعائلتها- عائلة أمي كلها- كانت من ضمن السكان الأصليين للمدينة. وكان زوج خالتي الراحل مستشار المدينة لسنوات طويلة وهي تفهم جيدا في سياسة المدينة.

تنهّدت "في" بثقلٍ وقالت بنبرةٍ محبطة: سياسة. لو كان الساسة قد أدوا واجبهم جيدا، لما وجدت أماكن مثل ويلدوود.

قالت السيدة أوفلاهرتي: لا يهتم كلُّ الساسة بالفقراء، لكن فكرة زيارة الكنائس فكرةٌ جيدة جدا. فنحن يمكننا الذهاب لزيارة قسس ورعاة الكنائس الذين يخدمون هذا الحي.

أضافت أميلي: وزوجاتهم، فخالتي اريكا تقول أن زوجات القسس كثيرا ما يعرفن أكثر عن الناس من أيّ شخصٍ آخر.

قالت "في" وصوتها يستعيد نشاطه: إذاً سنقوم بالزيارات. وأنا متأكّدة من السيدة لانسينج تستطيع منحنا أسماء القادة الدينين الذين يجب أن نراهم. من أيضا يجب أن نقدم أنفسنا لهم؟

قالت السيدة أوفلاهرتي مبتسمة: لقد بدأ أنوك وكريستين بالفعل.

استدارت "في" نحوها متسائلة فأجابت السيدة أوفلاهرتي شارحةً:

تذهب كريستين كلّ يوم للشوارع للتسوّق. وقد عثرت على مورد محلي للبن والبيض. وقابلت أيضا سيدة تقوم بالغسيل وأخرى تخبز الخبز. وأنوك فتح لنا حساب للإرسالية في مخزن الحبوب والأغذية. إنهمالم يستقرّا هنا لأكثر من أسبوع وقابلوا بالفعل أناساًأكثر ممن قابلتهم أنا، وعلِما عن أعمال ويلدوود أكثر مما يمكنني تعلّمه في شهر.

قالت "في": كان يجب أن يكونوا معنا الآن. لقد طلبت منهم هذا، لكن أنوك لديه مهمّة عليه القيام بها وكريستين وعدت ماريجولد وتانسي باللعب معهمامن قبل.

ثم هتفت بعدذكر اسم البنات الصغيرات وقالت: آوه، لقد نسيت تماماً. لقد أرسلت أمي هدايا لتانسي وماريجولد وأنا تركت الصندوق في المطبخ حين وصلت. وحين أتت البنات لتناول إفطارهن سررتُ برؤيتهم جداً لدرجة أنستني الصندوق.

سألت السيدة أوفلاهرتي: ما الذي أرسلته إلسي؟

ابتسمت "في" قائلة: ملابس معظمها مما كبرت أنا وروزماري عليه لكنها في حالة ممتازة. وماما والعمة كلوي تقومان بالفعل بحياكة ملابسٍ جديدةٍ للبنات.

قالت السيدة أوفلاهرتي: ستسرُّ البنات بهذا، لقد اشترينا لهنَّ الأساسيات لكن إذا كانتاستبقيان معنالفترة فإنهن ستحتاجان للمزيد من ملابس الخروج. هل سمعت شيئاًعن عائلتهن يا "في"؟

أجابت "في" بالنفي لكنها تمنّت أن تحصل السيدة لانسينج على أخبار من جنوب كارولينا سريعاً.

استمرّت السيدات في مناقشة أعمال الإرسالية لفترة وحين سمعن أصوات آتية من المطبخ أنهين اجتماعهم. كانت كريستين تبدأ في إعداد وجبة الغذاء بينما تلعب البنات مع جاكوب الصغير. وحين دخلت "في" والسيدة أوفلاهرتي وأميلي بدأت البنات في إخبارهن عن الألعاب الجديدة التي تعلموها. ثم أخبرتهم "في" عن الصندوق الذي جلبته معها من أيون فأصاب البنات الفضول الشديد جدا عن محتوياته.

قالت "في" وهي تشير للركن حيث يقبع الصندوق مهملاً.

سألت تانسي: أوه، هل يمكننا؟

أجابت "في" بفرح: بالتأكيد، إنه من ماما وهي طلبت مني إخباركم بأنها تأمل في أن ترى كلاكما سريعاً جداً.

ذهبت البنات للصندوق وفكّت تانسي رباطه وبعناية رفعت غطاءه وطبّقت الورقة الموضوعة لتغطية محتوياته ورفعت أول شيء- فستاناً من الموصلين الوردي بحزام أخضر تفاحي.

همست ماريجولد بروعة: أوووه. إنه رائع الجمال.

سألت تانسي: هل هذا فستانك يا آنسة فيوليت. وهي تمسك بالفستان لأعلى لتعلو به عن الأرض.

ضحكت "في" قائلة: لا يا حبيبتي، إنه فستانك، كلُّ ما في هذا الصندوق أصبح ملكك وملك ماريجولد.

قالت كريستين: ضعيه على كتفيك يا تانسي. نعم، أنه يبدو مناسباً تماماً.

كانت السيدة أوفلاهرتي قد أخرجت فستان آخر من الصندوق يُشبه الأول تماماً لكنه أصفر اللون وبحزام أبيض. وقالت: يبدو هذا مناسباً لماريجولد.

هتفت الصغيرة من الفرح قائلة: إنه مقاسي! مقاسي بالضبط يا سيدة أوفلاهرتي!

قالت السيدة أوفلاهرتي: إذاً، لابد أنه لك.

سرعان ما أخرجوا باقي الملابس من الصندوق الكبير وبصحبة خروج أي شيء مجموعة من الآهات والتأوُّهات والضحكات المجلجلة من البنات. كان الصندوق يحوي العديد من الفساتين من الموصلين والصوف الخفيف وسترات ومرايل وملابس داخلية بيضاء من أنعم قطن وجوارب وقمصان للنوم وروب لكلِّ بنت ومجموعة من الأحزمة وشرائط الشعر الملوَّنة.

قالت أميلي: أعتقد أنَّ لدينا الوقت الكافي لنضعَ كل هذا بحجراتكم قبل الغذاء. وجمعت معظم الأشياء بين ذراعيها وقسَّمت الفتاتين الباقي بينهما.

قال تانسي ل"في": لابد وأنَّ والدتك سيدةٌ طيبة جدا. ونحن نودُّ أن

نشكرها. هل تعتقدين أن بإمكاننا أن نكتب إليها خطاباًلنشكرها يا آنسة فيوليت؟

قالت "في": هذه فكرة رائعة. أعلم أنَّ ماما ستسرُّ كثيراً بالحصول على هذا الخطاب منكم. لماذا لا تفكّري أنتِ وماريجولد فيما تودَّان قوله ثم نكتب خطابكماالليلة بعد العشاء ونرسله أول شيء صباح غد. والآن خذا حاجاتكم لأعلى والآنسة أميلي ستساعدكم على وضعها في أماكنها.

قالت تانسي: حاضر يا آنسة فيوليت.

وقالت ماريجولد: شكراً يا آنسة فيوليت.

وتبعوا أميلي خارج الباب، وتانسي تمشي معتدلةً ورافعةً رأسها مثل سيدة راقية وأختها تثب وتقفز خلفها.

قرّرت "في" والسيدة أوفلاهرتي في فترة الظهيرة وجوب التمشية في الجوار، بعد أن أقنعوا البنات بأخذ قيلولتهم. كانت "في" والسيدة أوفلاهرتي قد قامتا بهذا من قبل لكن كان سيرهُم لويلدوود في معظم الأوقات إما في العربة الخفيفة المكشوفة أو العادية وليس على الأقدام.

قررتا الذهاب إلى المنطقة التجارية الأساسية المكونة من مجمعين للمباني من المحال الكبيرة والصغيرة والفنادق والبعيدة كلّ البعد عن المنطقة التجارية لوسط المدينة، لأنَّ تسوق أهل ويلدوود كان ينبع من الضرورة وليس للتسلية والموضة.

كانت الشوارع واسعة بالمقارنة بما رأته "في" فى الأحياء الفقيرة جدا لمدينة نيويورك لكنها ليست أفضل منها حالاً. كانت شوارع ويلدوود مرصوفة بالحجر- بقايا الأيام الخوالي الأفضل- لكن معظم الشوارع الجانبية المتفرّعة من الشارع الرئيسي ليست أكثر من دروب ترابية يمكن أن تتحوَّل لطين كثيف في المطر. ولا توجد أرصفة بالرغم من إقامة بعض السكان لمنصّات خشبية ليسيروا عليها في بعض الأماكن.

كان الطقس دافئاًوالنسيم منعش لكنه لا يمنح سوى القليل من الراحة لأنَّ الخريف كان جافاً مما جعل التراب يغطِّي كلَّ شيء، مانحاً المباني لوناًبنيّاًباهتاً وتسبُّب هبوب الرياح الخفيفة في تحريك الأتربة والمخلفات المكدَّسة في كل ركن وزاوية وشقّ.

كانت منطقة المحلات ممتلئة بالناس، بالرغم من إدراك "في" بعدها

بقليل أنهم لم يكونوا يتسوّقون. مجموعة من الرجال من كلّ الأعمار يقفون خارج الفنادق وفي الأزقّة المظلمة بين بعض المباني الأقدم وكانوا يترنّحون وكأنّهم غير قادرين على المشي بخطىً ثابتة ولم يفسحوا حتى حين يحاول أي شخص العبور، لذا كان على من يحاول الذهاب لمقصده أن يسير في الشارع ويبتعد عنهم حتى يتمكّن من العبور. رأت "في" مجموعة من السيدات أيضا خارج محل البقالة والجزارة ومجتمعات حول عربات بائعي الشارع. كانت السيدات اللاتي في الغالب معهن أطفال أكثر نشاطاً وتصدر منهن صيحات استهجان ضاحكةٍ بين الحين والحين.

كان المكان يعجُّ بالضجيج والضوضاء من ضحكات السيدات ونبرات الرجال الرتيبة مختلطة مع ضوضاء الشارع- صياحٌ وهتافٌ الأطفال وصياح ونباح الكلاب وقرع حوافر الخيل وقعقعة العربات المارة وصفيرٍ وهديرٍ بعيدٍ من قطارات مغادرة المدينة متّجهة للجنوب. كلّ هذا مختلط مع صوت موسيقي لبيانو عالي النغمة آتٍ من الحانة. حاولت "في" معرفة اللّحن لكنها لم تكن قد سمعته من قبل.

قرّرت "في" والسيدة أوفلاهرتي الدخول لمحلّ بيع الأقمشة والملبوسات الموجود في مقابل أكثر فندق وحانات الحي رداءة في السمعة. فقد أرادت السيدة أوفلاهرتي أن تبتاع بعض الإبر والخيط والدبابيس لأجل صندوق حياكتها. كان المحل مليئاًبشكل مقبول وتقدّم رجلٌ لتقديم المساعدة ماأن رأى السيدات تدخُلن. كان الرجل في منتصف العمر قصيراً وقوياً وممتلئاًووجهه مدوّر وعيناه مُشرقة.

سأل الرجل بلطف: هل يمكنني مساعدتكم؟

أخبرته السيدة أوفلاهرتي عمّا تريد وبسرعة عثُر لها على كلّ ما ترغب ووضعه على النُّضد وسأل وهو يغلّف الأشياء في ورقٍ بنيٍّ ويربط اللفة الصغيرة بخيط: هل أنتم سكانٌ جدد في ويلدوود يا سيداتي؟

أجابت "في": نعم، لقد انتقلنا للتوّ للعيش في منزل "بل" القديم.

توقّف الرجل للحظة صغيرة ثم قال: سمعنا أنه سيصبح إرسالية.

قالت "في": نعم. هذا صحيح. ويُدعى الآن منزل السامري ونأمل أن يصبح مكان ملجأومساعدة لكلّ محتاج.

ثم قدَّمت نفسها والسيدة أوفلاهرتي وعرف الرجل نفسه بالسيد نلسون وأنه صاحب المحل.

وسأل: هل لي أن أسأل عن طبيعة الخدمات التي ستقدمونها؟

قالت "في": لدينا عيادة بها ممرضة كلَّ الوقت وطبيب يأتي مرة واحدة في الأسبوع ونخطِّط لبدء مدرسة للأطفال. فنحن نرغب في مساعدة العائلات وأيِّ شخص آخر بحق.

قال السيد نلسون باهتمام: مدرسة؟. يوجد احتياج شديد لها هنا. ليس لديَّ أطفال لكني أؤمن بأهمية التعليم.

قالت السيدة أوفلاهرتي: ونحن أيضا. ربما يكون بعضٌ من زبائنك مهتمين بأمر مدرستنا. فنحن نأمل في أن يكون لدينا فصلٌ كاملٌ على يناير.

قال السيد نلسون: يوجد الكثير من الأطفال في ويلدوود لكني غير متأكِّد من مدى اهتمام والديهم بالأمر. ثم مال للأمام قليلاً فوق النضد وقال بما يشبه الهمس: إن الناس هنا يميلون للارتياب من التعليم. أنهم يرتابون من أشياء كثيرة في ويلدوود وخصوصاً الغرباء.

قالت السيدة أوفلاهرتي خافضةً صوتها ليتماشى مع صوته: حسنا، يمكننا تفهُّم هذا يا سيد نلسون. فالجميع يستاءون من الناس الذين يطالبونهم بفعل ما هو أفضل ويحاولون التحكم وإخبار الآخرين بكيفية وجوب أن يعيشوا. يمكنني رؤية أنَّ لديك معرفة كبيرة بالحي يا سيد نلسون فربما تكون مستعداًبأن تنصحنا في وقت ما.

وقف السيد نلسون معتدلاً وقد امتلأ سروراً: سيكون هذا شرفٌ عظيمٌ لنا أنا وزوجتي الصالحة أن نقدِّم لكما النصيحة. فهي كثيراً ما تكون معي في المحل وسنسرُّ جدا بمساعدتكم يا سيداتي بأيِّ طريقة ممكنة.

قالت السيدة أوفلاهرتي بأكثر ابتسامتها امتناناً: نشكرك شكراً جزيلاً يا سيد نلسون. ونحن نتطلَّع لمقابلة زوجتك. أوه، نعم. وأضافت وكأنها فكَّرت فكرةً ثانيةً: لقد لاحظت قطعة جميلة من شريط الزينة هناك. وأشارت لواحد من الرفوف وقالت: أعتقد أنه يجب أن ابتاعه هو أيضا.

أسرع السيد نلسون لإحضار الشريط ولفَّه لها وجمع ما اشترته على ورقةٍ صغيرة ودفعت السيدة أوفلاهرتي الثمن وهي تعد بالعودة قريباً

وودّعت هي و"في" السيد نلسون بطريقة لطيفة.

ورافقهم هو للباب منحنياً انحناءةً خفيفةً عند خروجهم. وفكّر قائلاً كانت بيعة لطيفةً بحق مع الشريط وأخبر نفسه بأنه أقام للتوّ علاقةً طيبةً جدا. وبالكاد انتظر ليخبر زوجته عن لقائه الجديد مع السيدات اللاتي اشترين منزل الأشباح.

سألت "في" رفيقتها أثناء عودتهن لمنزل السامري قائلة: هل تحتاجين بحق لهذا الشريط؟

قالت السيدة أوفلاهرتي: آه، نعم. إنه شريطٌ جميلٌ وسيكون ياقة جميلة لأحد فساتين البنات، لكن عليّ أن أعترف أنني أردت أن أترك انطباعاً جيداً على السيد نلسون.

تساءلت "في" قائلة: هل لديك سببٌ محدّد؟ هل تعتقدين أنه أحد قادة ويلدوود؟

قالت السيدة أوفلاهرتي: لا، في الغالب لا. لكني لن أفاجأ إذا كان من مروّجي الإشاعات وأودّه أن يتحدّث جيدا عنا لزبائنه. كما أنه يبدو رجلاطيباً فلا توجد لدينا جريدة منذ حضورنا لويلدوود ونحتاج لأصدقاءٍ مثله يعرفون ما يحدث عبر حيّنا الجديد. لأننا سنتعلم عن الحياة اليومية مثل الزيجات والمواليد الجديدة والناس المحتاجين والحزانى في مجتمعنا من خلال اتصالات بأشخاص مثل السيد نلسون. ثم توقّفت السيدة أوفلاهرتي للحظة وقالت مفكّرة: نعم، أعتقد أننا سنستفيد من معرفته ونصيحته.

سألت "في" وهما تقتربان من الإرسالية: هل رأيت كيف كان الناس خارج المحل يحملقون بنا؟

قالت السيدة أوفلاهرتي: إننا جددٌ عليهم ومخلوقات طبيعية مثيرة للاهتمام، وأعتقد أنه الآن يكون كل من يسكنون بويلدوود قد سمعوا عن سيدات الإرسالية. لكن يبدو لي أنّ النظرات لم تكن معادية جداً مثل التي قابلناها من قبل. ربما أصبحنا مجال للفضول فقط وهذا يُعتبر خطوة للأمام.

قالت "في": أتمنّى هذا. أتمنى أن نُقبل هنا.

لوحظت بالفعل أول زيارة ل"في" والسيدة أوفلاهرتي للمركز التجاري

لويلدوود من الكثيرين. فالعديد من الوجبات البسيطة ذلك اليوم دار حديثها عن السيدات اللاتي قدِمن لمحل السيد نلسون.

واختلفت الآراء وتباينت حولهم. فالبعض اهتم اهتماماً حقيقياً بما يحدث في منزل الأشباح ورحّبوا بوصول أيّ شخص يمكنه تقديم المساعدة لحيّهم المجهول. لكن العدد الأكثر كانوا مرتابين بألاّ تستطع أولئك السيدات تحقيق أيّ شيءٍ لأنّه قد فشلت كلّ الجهود السابقة. ووُجد ساخرين يضحكون على "المسيحيين الذين يفعلون الصلاح" وسلوكياتهم المبالغ فيها. وكان لدى البعض شيءٌمن المخاوف فترميم وإصلاح منزل" بل" القديم سيكون علامة على عودة الأثرياء للإقامة في الحي.

لكن في مكان ما لم يصنع ظهور هؤلاء السيدات شيئاً سوى تفجير الغضب. ففي حجرةٍ خلفيةٍ لأحد فنادق الحانات كان بعض الرجال يتناقشون حول التهديد الذي يمكن أن يمثّله وجود "سيدات المجتمع القذرات". كان هؤلاء الرجال الذين يكسبون أموالاً طائلة من ضعف وفقر الآخرين يراقبون عن كُثب كل ما يجري في منزل السامري خلال الصيف والخريف وتحوّل المنزل القديم والوصول الحديث للسيدات وخدامهم إلى حديثٍ وضيعٍ عن كيفية القيام بأشياء وجعل الأمور غير سارة للوافدين الجدد بشارع ويلدوود. ثم قال أحد الرجال لأصدقائه: لقد قُمنا بهذا من قبل. وسنعيد صانعي الصلاح من حيث أتوا. فلستُ أعتقد أنّ مجموعة من السيدات ورجل أسود واحد يمكنهم الوقوف أمامنا لمدة طويلة. وبضحكةٍ حقودةٍ طمأن بهدوء زملاءه قائلاً: لا تقلقوا يا رجال. سرعان ما سنجعلهم يهرعون عائدين لردهاتهم الفخمة وقاعات رقصهم.

الفصل

٩

أنباء مزعجة



الصِّدِّيقُ يَعْرِفُ دَعْوَى الْفُقَرَاءِ أَمَّا الشِّرِّيرُ فَلاَ يَفْهَمُ مَعْرِفَةً.

أمثال ٢٩: ٧



ذهبتْ "في" صباح اليوم التالي مباشرة لزيارة السيدة لانسينج. وبعد عدّة مناقشات حول ترتيبات السيدة لانسينج للحفل الراقص الذي ستقيمه في منزلها والذي استقرّ موعده على أول جمعة في شهر ديسمبر. أعلنت "في" عن رغبتها فى زيارة قادة كنائس ويلدوود وطلبت مساعدة السيدة لانسينج، التي قالت: أعرف العديد منهم شخصياً ويمكنني أن أكتب لهم رسائل تقديم لك. وسأجمع قائمة بأسماء الآخرين وعناوينهم. فلدينا ما لا يقلّ عن نصف دستة مجتمع كنسي نشِط في ويلدوود، وربما يوجد نفس هذا العدد في بوكستون (مدينة الصندوق).

سألت "في": بوكستون؟

سألت السيدة لانسينج: ألم تسمعي عن بوكستون بعد؟

أوضحت "في" أنّ الكلمة جديدة عليها، فقالت السيدة لانسينج: ربما لأنك لم توظّفي خدماً محليين. فبوكستون جزء من المدينة على الجانب الشرقي من خطوط السكك الحديدية حيث يعيش معظم السود. وتدعى بوكستون لأنه بعد الحرب انتقل العديد من العبيد المحرّرين للإقامة هناك وبنوا لأنفسهم هناك أكواخاً صغيرةً تبدو مثل الصناديق لذلك أطلقوا عليها بوكستون (مدينة الصندوق). وتبدو بوكستون على الخريطة كجزء من حي ويلدوود لكنها يمكن أن تكون في نفس الوقت دولةً أخرى مختلفة، كما أن بوكستون ليس اسما رسميا لكن هذا ما عرفت به منذ ما يقرب من عشرين عام.

سألت "في" مرتابة: هل تقصدين أنه لا يعيش سود في ويلدوود.

أجابت السيدة لانسينج بأسف: أنهم لن يرغبوا في هذا، ولأسباب وجيهة. يجب أن تفهمي يا "في" الانقسام الكبير بين البيض والسود. فالحرب خلقت الغيْظ وحتى إعادة البناء خلقت كراهية أكبر ومرارة تملأ قلوب العديد من البيض الجنوبيين في كلّ مكان. وجماعة أل "كو كلكس كلان" التي حاربها والدك بشجاعة كانت واحدة من أكبر

التعبيرات الوحشية عن هذه المشاعر. لكن يوجد بيض أكثر منهم بكثير لايراعون أقلّ المشاعر الإنسانية فقدجعلوا من أخوتنا وأخواتنا السود كباش فداء بسبب هزيمة الجنوب والنهب الذى تبع إعادة البناء وتلك مشكلة ليست من صنعهم. إنّ كباش الفداء خطيّة إنسانية بحتة يا عزيزتي. فنحن نحاول لوم الآخرين على فشلنا وسوء حظّنا. وهذا ماقاد لانقسام البيض والسود.

قالت "في": لكني أرى سوداً بويلدوود.

أجابت السيدة لانسينج بهزّة أسى من رأسها: ترين سوداً يعملون هناك وعادة بأقلّ أجور عمل ممكنة لكن البيض والسود لا يعملون معا ولا يأكلون معاً حتى إنّهم لايتعبّدون معا وربما يكون هذا أسوأ الكلّ.

قالت "في": أعرف التحامل الذي برّر العبودية. أنا لست ساذجة لدرجة لم أستطع معها رؤية المشكلة بين البيض والسود لكني لم أدرك أن الانفصال والانقسام تاما هكذا. مع وجوب أن يحيا البيض والسود مبتعدين تماماً عن بعضهم، وأن تكون الكنائس مقسّمة لهذه الدرجة. إنه انتهاك لكلّ ماعلّمنا إيّاه ربنا ومخلصنا! كيف يمكن أن يحدث هذا؟ نحن نتعلم أنّ كل المؤمنين واحد في القلب والعقل. والرسول بولس يخبرنا " لَيْسَ يَهُودِيٌ وَلاَ يُونَانِيٌ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعاً وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ". تشعرني معرفتي بأن هذه التفرقة العنصرية ليست إلّاوجعٌ وخزيٌ. وانسابت الدموع من عينيها واحمرّت وجنتاها من السخط.

وضعت السيدة لانسينج يدها على ذراع "في" وقالت: أشاركك مشاعرك، لكن الخزي والغضب سيحقّقان القليل. وهناك أناس في بوكستاون يحتاجون مساعدتك جدا مثل سكان ويلدوود بالضبط. يجب أن تقدّمي لهم المساعدة. لكن قومي بها مع فهم أنك لن تتمكّني تماماً من معرفة طبيعة ما يتحمّلون ويعانون.فهم لم يصنعوا الانفصال ومع هذا يتعاملون معه بشجاعة. يجب أن تذهبي لسكان بوكستاون كتلميذ متواضع يقترب من مدرس عظيم. في الحقيقة، نستمتع أنا وأنت بالعديد من المزايا بسبب لون بشرتنا فقط. لكن لدينا الكثير لنتعلّمه ممّن حرموا من هذه المميزات بلا سبب غير لون بشرتهم.وهكذا امتدّ الحديث

واستمر بين "في" والسيدة لانسينج لبعض الوقت، وأدركت "في" مدى احتياجها للتعلم- تعلم ليس فقط عن بوكستاون والتفرقة العنصرية في خليج أنديانا بل أيضا عن مشاعر ومخاوف الناس الذين يعيشون في ويلدوود.

قالت "في": أودُّ أن أفتح مدرسة للأطفال الفقراء. لكنني ذُكّرت اليوم بمدى جهلي. هل هي وقاحة أن أرغب في مساعدة الآخرين حين يكون فهمي لحياتهم ضئيل؟

فكّرت السيدة لانسينج للحظة ثم قالت: أعتقد أنه وقاحة أن تفترضي أن يكون لديك كلّ الأجوبة عن كلّ شيء.لأنَّ يسوع هو الشخص الوحيد الذي مشى على الأرض ولديه هذه المعرفة. وعملك سيساعدك على توجه الناس نحوه. فمن المحتمل أن تكون الإرسالية المكان الذي يستطيع الناس من كلّ الألوان الاجتماع فيه بروح الرب. لكن يجب أن يكون هذا اختيارهم يا عزيزتي لا اختيارك.

وقفت السيدة لانسينج من على كرسيُّها وذهبت لمكتبها وسحبت بعض الأوراق وأخذت قلماً وقالت: سأكتب لك الآن خطابات التعارف. وبدأت في الكتابة على الورق وسألت: هل قرّرت ما ستقولين لضيوفنا في الحفل الراقص؟

قالت "في": ليس بعد. لكنني أفكّر في الأمر كثيراً. وأجد صعوبةً شديدةً في العثور على الكلمات المناسبة.

قالت السيدة لانسينج: مادام كلامك سيخرج من قلبك فحتماً سيخدُم هدفك. تحدّثي للآخرين كما تتحدثين إليّ، وهم سيسمعون ما بقلبك.

ضحكت "في" قائلة: ربما يكون هذا أسهل فعلاً.

رفعت السيدة لانسينج عينيُّها من على كتابتها وقالت: إذا احتجت أي مثال على ذلك أنظري للخطاب الذي ألقاه الرئيس لنكولن في افتتاح المقبرة الحربية في جيتسبرج في اليوم البارد لشهر نوفمبر عام1863م. لقد تحدّث لدقيقتين فقط. وتكوّن الخطاب من 266 كلمة. ومع هذا لا تزال كلمات هذا الخطاب ترنُّ في قلوب كلّ الأمريكان حتى اليوم. فكّري فى كمّ الجمال والبساطة التي عبّر بها عن تطلّعات أمتنا المنقسمة- "إن هذه الأمة تحت قيادة الله ستشهد ولادة جديدة...".

إرسالية فيوليت الجرينة

قالت "في": لا يمكنني مجاراة بلاغة السيد لنكولن.

قالت السيدة لانسينج: إذا كان هدف الخطيب البلاغة فقط، حينها سيؤثّر الخطاب حين يتفوّه به لكن سرعان ما ستُنسى الكلمات. لقد حضرت الكثير من الخطب الشديدة البلاغة التي كانت مثل النور أو الريش وسرعان ما طارت من عقلي ومن قلبي. هذا هو سر كلّ بلاغة يا "في". تحدّثي من قلبك مباشرة.

أخبرت السيدة لانسينج "في" حين انتهت من كتابة خطاباتها بأنها حصلت على خطاب من صديقها المحامي السيد بارتلبي في جنوب كارولينا. وأنه لا يوجد كلمة عن عائلة تانسي وماريجولد. وأنّ السيد بارتلبي يقدّر طلب السيدة لانسينج ووعد بأن يرسل لها في أسرع وقت ممكن. ربما في خلال أسبوع أو أكثر، وأكّد لها أنه سيبذُل قُصارى جهده.

قالت السيدة لانسينج: مثل الفلاح الذي خرج ليزرع في مثل ربنا. نحن قدّمنا طلب المساعدة. وأثق أنه وقع في أرض جيدة.وليس بمقدورنا غير أن نتحلّى بالصبر الآن ولديّ ثقة كبيرة في أنّ السيد بارتلبي سيُنتج ثماراً.

قالت "في" بضحكةٍ ساخرةٍ: ذكّريني بهذا كثيراً. فالصبر من الخصال التي تهرب من بين يديّ سريعاً وأقلق على ما ليس لديّ سيطرة عليه.

قالت السيدة لانسينج بلُطف: حسناً، ركّزي فيما عليك القيام به الآن، واتركي الباقي لأبينا السماوي. وحين تشعري بالقلق ذكّري نفسك بكلمات مزمور55 "إلق على الرب همك وهو يعولك..."

تركت "في" السيدة لانسينج بعدها بنصف ساعة ومعها ثلاث خطاباتٍ مغلقة بعناية والكثير من الأمور لتفكّر فيها. فأخبار بوكستاون فاجأتها وأقلقتها. وتساءلت عن سبب عدم معرفتها بهذه التفرقة الحرفية بين البيض والسود. فهل تغلق عينيْها متعمّدةً عن هذا الوضع المروّع؟ لا، لقد فتحت عينيْها الآن، وأصبحت مصمّمة على معرفة المزيد وأرادت أن تتحدث مع أنوك وكريستين حال وصولها للإرسالية.

لكن هذه النيّة تلاشت سريعاً من عقلها حين قَرُبت من الإرسالية. فالمنظر الذي قابلته بالباب أرسل موجةً من الخوف في كلّ أوصالها. فقد رأت تحت شجرة من شجر القبقب على حافة الطريق الداخلي للإرسالية

أنباء مزعجة

السيدة أوفلاهرتي وأنوك يميلان نحو أميلي الجاثمة بقرب الأرض، وتقف كلٌ من تانسي وماريجولد بجانب السيدة أوفلاهرتي وهنّ تتشنّجان والرعب واضح عليهن.

ألقت "في" بالمِقود وقفزت من العربة الخفيفة وأسرعت نحو المجموعة الصغيرة سائلة: ماذا حدث؟

قالت السيدة أوفلاهرتي بصوت مُرتجف: قطة جُرحت. لكنني متأكِّدة من أنّ كلّ شيء سيكون على ما يرام.

وضعت السيدة أوفلاهرتي ذراعيها حول كتفيها الصغيرتين وقربتهما لها وأكملت: إن الآنسة أميلي ممرضة ممتازة وتعرف كيف تساعد المخلوقات الضعيفة. قالتها لمصلحة وطمأنة الصغار أكثر من "في".

سألت "في": كيف حدث هذا- وقبل أن تكمل قاطعتها نظرة تحذير من السيدة أوفلاهرتي.

قالت السيدة أوفلاهرتي: حادث.

قالت ماريجولد بهدير جديد من الدموع: كانت على الشجرة عالياً.

قالت "في": يا إلهي!. ونظرت لأميلي ورأتها تربِّت بنعومة ورقّةٍ على ما يبدو بكرةٍ برتقالية من الفرْو.

قالت أميلي: أعتقد أننا يجب أن نأخذها للداخل، ثم نظرت نحو أنوك وقالت: هل يمكنك العثور على شيء نستطيع استخدامه كسرير لها.

أجاب أنوك: لدي صندوق خشبي قوي أظنّ أنه سيصلح لهذا الغرض. وهرع في اتجاه سقيفة المعدّات.

وضعت أميلي القطة الصغيرة على ذراعها بعناية شديدة وهرعت "في" لمساعدة صديقتها على الوقوف. كانت القطة التي رأتها "في" قابعةً مثل لُعبة بالية. وكانت أميلي تربِّت على أحد قدميها بيدها حيث وجدت بها قشوراً بدت كدمٍ جاف على وجهها وظهرها.

صرخت ماريجولد في رعب: هل ماتت؟

قالت أميلي بصوت هادئ مطمئن: أوه، لا. إنها مُغمى عليها، مثل النائمة. لكنها حية.

عاد أنوك ممسكاً بيده صندوق خشبي كان يستخدمه لوضع المسامير

فيه.

أخذت السيدة أوفلاهرتي الصندوق وقالت بنعومةٍ للفتيات: يجب أن نجعل من هذا سرير. إذا أتيتم معي فيمكننا العثور على بطّانية ووسادة لنجعل هذه القطة تستريح فيه. هل ستُساعداني؟

قالت تانسي بلجاجةٍ: نعم، نودُّ أن نساعدك جداً.

أضافت ماريجولد من خلال دموعها: جداً جدا.

استخدمت السيدة أوفلاهرتي منديلها لتمسح دموع الصغيرة ثم أمسكت بيدي البنات وذهبت بهم للمنزل- والفتاتين تحملقان للخلف بقلق حتى دخلتا باب المطبخ.

تبعتهم أميلي ماشيةً ببطء حتى لا تصطدم زراعان المخلوقة الصغيرة.

استدارت "في" نحو أنوك حين أدركت أن الفتيات لن يتمكنّ من سماع الحديث قائلة: هل سقطت من على الشجرة؟ ومن وجد هذه القطة المسكينة؟

قال أنوك بتجُّهم عابس على وجهه: لم تسقط يا آنسة فيوليت، كما لم تكن حادثة. لقد كانت القطة مربوطة بأحد الفروع المنخفضة لشجرة القيقب- مربوطة من رجلها ووجدتها الفتيات الصغار أولاً. فقد أتيتا هنا لتلعبْن بعد أن تناولن غذاءهن. وكنت أنا في السقيفة وسمعتهم يصرخون، كان منظراً فظيعاً يا سيدتي فأنزلت القطة المسكينة بأسرع ما استطعت وظننتُ أنها ميّتة لكنني شعُرت بها تتنفُس. وعلى حينها كانت الآنسة كليتون قد وصلت وتولّت الأمور لحظتها. لا أعتقد أنها ظلّت على الشجرة لمدة طويلة لكنها مدة كانت كافيةً لأن يُكسر أحد قدميها ويُجرح رأسها الجميل. إنّ أمراً كهذا لا يفعله إلاّ شخصاًشديد الشّر ليس بمقدوره غير إيذاء مخلوقات الله البريئة. أضاف الجملة الأخيرة بهزّة أسىً من رأسه.

سألت "في": هل أنت متأكّد من أنه كان متعمِّداً؟ لأنها لم تكن تستطيع تصور أنَّ أيَّ شخصٍ ممكن أن يرتكب عملاً بمثل هذه الوحشية مع إنسان أو حيوان. وأكملت: ربما اشتبكت القطة بغير قصدٍ منها .

قال أنوك: لا يا سيدتي. والتقط شريطاً مُلقى على الأرض بجوارهم وقال: أُنظري، ربطت هذه العقد بيد إنسان وهذا الرباط جديد، وليس

قطعة خيط يمكن أن تلتقطه القطة من الشارع وتشتبك فيه.

تنهّدت "في" بهدوء: أوه. فهى لم تستطع التفكير في أي شيء آخر يمكن أن تقوله. فوقفت مكانها محملقة في الشريط الذي بيد أنوك. وسألت أخيراً: من الذي يمكن أن يفعل مثل هذا؟

قال أنوك: يمكن أن يكونوا أولاداً، فهذا نوع من الألعاب التي يمارسها الأولاد المتهوّرين ، لكنهم لا يفعلون هذا في ضوء الصباح،حتى نتمكّن من العثور على القطة المسكينة في الحال- فهذا يجعلني أشك في أنه فعلٌ خارجٌ من أولاد جبناء. لقد رأيت هذا النوع من الأعمال من قبل يا آنسة فيوليت، في الماضي حين كان أل "كو كوكس كلان" يمرّون بهذه المنطقة، وكثيراً ما كانوا يؤذون هذه القطط وكلاب الصيد المملوكة للسود. كان هذا بمثابة تحذير أوليٌ يُقصد به إخافة الناس وحثّهم على الرحيل.

سألت "في": هل تعتقد أنّ هذا تحذيرٌ لنا؟

أجاب أنوك: جائز. لأنه يوجد أناس بهذه المنطقة لا يريدون النجاح للإرسالية. لقد سمعت بعض الأحاديث الدائرة في إسطبل العلف ومحل الأغذية. لقد...

وقاطعه صوت ماريجولد الصغير ورأسها يطلّ من باب المطبخ منادية: يجب أن تأتي يا آنسة "في"! فالقطة الصغيرة استيقظت الآن. من فضلك تعالي لتريها!

لوّحت لها "في" وردّت عليها قائلة: سآتي حالا يا ماريجولد.

عادت الصغيرة للداخل واستدارت "في" نحو أنوك وقالت: أودُّ أن أعرف أكثر عمّا سمعت، كما أنّ لديّ العديد من الأشياء الأخرى التي أحتاج لمناقشتها معك أنت وكريستين. هل لديك بعض الوقت بعد العشاء الليلة؟

وافق أنوك قائلاً: بالتأكيد. سنحضر للمنزل حتى يتمكّن جاكوب من اللعب مع الفتيات قبل ذهابه للنوم.

كانت السيدة أوفلاهرتي والفتيات ملتفّات حول المائدة في المطبخ يراقبون أميلي وهي مائلة تعمل في الصندوق الخشبي للمسامير الذي تحوّل إلى سريرٍ مريحٍ بالإضافة إلى وسادةٍ صغيرةٍ وقطعةٍ من الغطاء الصّوفي.

ما إنْ دخلت "في" حتى أسرعت ماريجولد لها قائلة: لقد استيقظت يا آنسة فيوليت. القطة الصغيرة استيقظت.

سألت "في": كيف حال المسكينة الصغيرة؟

اعتدلت أميلي وقالت: لم يكن لديَّ أبداً مريضٌ صغيرٌ بهذا الحجم من قبل لكنني أظنُّ أنها ستُشفى. لقد قوّمت القدم ونظّفت وطهّرت الجروح. ومن حسن الحظّ أنه لا يوجد المزيد منها كما أنهاولهذا ستُشفى سريعاً. مع أنّي لست طبيبة بيطرية.

نظرت "في" للقطة الصغيرة التي لم تكن أكبر من ثلاث أو أربع أشهر على الأكثروبعناية شديدة مسحت رأسها باصبعها. حرّكت القطة رأسها قليلاً لكنها لم تُصدر أيّة أصواتٍ.

قالت أميلي:أنا مصدومةٌ جداً من المحنة. لكنّ هذا جيد بشكل ما لأنه سيكون من الصعب علينا الحفاظ على قطةٍ أكبر ثابتة. فلوأردنا لهذه القدم أن تعود لحالتها الطبيعية فعلينا ألا نسمح لهذه القطة بالحركة إلا في أضيق الحدود. كماأودُّ أن أنقُل القطة الصغيرة من المطبخ للعيادة حتى أتمكّن من ملاحظتها باستمرار.

قالت "في": بالطبع. وهي لا تزال تربُت وتمسح شعر رأس القطة بإصبعها. ثم أكملت: ويمكنها المجيء لحجرتي في الليل.

سألت تانسي: هل تعتقدين أنها جائعة يا آنسة أميلي؟ وهل ستحب القطة تناول القليل من اللبن؟

قالت أميلي أنها فكرة رائعة وأحضرت صحناً صغيراً وسكبت فيه بضع ملاعق من اللبن وأمسكت به حتى تستطيع القطة الصغيرة أن تلعقهُ دون أن تحرّك جسدها. فشمّته أولاً ثم لعِقت منه على طرف لسانها لتتذوّقه ثم بدأت تلعقه بشراهةٍ شديدةٍ. ملأت أميلي الصحن مرة أخرى فأنهتهُ القطة عدا قطراتٍ قليلة.

قالت أميلي: إنّ الجوع علامة جيدة على ما أعتقد. سيكون كذلك لو كان لدينا ولداً صغيراً بقدمٍ مكسورةٍ.

سألت تانسي: ستتعافى إذاً؟ قالتها وهي تنظُر للممرِّضة بعيونٍ ذكيةٍ قلقةٍ.

أجابت أميلي: لا يمكنني أن أعد بهذا، لكني مفعمةٌ بالأمل.

سألت تانسي: لقد قلت مثل ولدٍ صغير، فهل هي ولد يا آنسة أميلي؟

ابتسمت أميلي قائلة: في الحقيقة، تبدو بنتاً.

سألت ماريجولد مُستعلمة: هل يمكن أن نصلّي لأجلها؟

قالت "في": يمكننا وسنفعل هذا. وجلست على كرسيٍّ في المطبخ ورفعت ماريجولد ووضعتها على حجرها وقالت: لقد خلق الله كلَّ الكائنات الحية على هذه الأرض ومنح الإنسان السُّلطة لأن يتسلَّط على جميعها. وبالطبع يجب أن نصلّي لأيٍّ من مخلوقاته إذا جرح أو أصابه مكروه.

وضعت ماريجولد يديْها أمام بعض وأغمضت عينيْها بقوة وقالت: من فضلك يا الله ساعد القطة الصغيرة لكي تُشفى.فهي لم تفعل أيَّ شيءٍ خطأً كما لم تُسيء لأحد. أنا أعلم أنها قطةٌ صالحةٌ، ونحن جميعاً نحبها كثيرا جدا. أشكرك يا الله. آمين.

ثم رفعت ماريجولد رأسها لأعلى نحو "في" وسألت: هل تعتقدين أنَّ الله سمعني؟

احتضنتها "في" بقوةٍ وقالت: الله يسمع لنا دائماً يا حبيبتي، وينصت لكلِّ صلاةٍ وهو سيفعل ما هو صواب من نحو القطة الصغيرة.

نامت القطة ورفعت أميلي الصندوق بكلِّ عناية وبهمس قالت: تعالوا يا بنات، سنأخذها للعيادة حيث يمكنكم رعايتها هناك.

نزلت ماريجولد من على حِجر "في" واستدارت حول المائدة وأمسكت بيد أختها وتبِعوا أميلي.

كانت السيدة أوفلاهرتي على وشك المُضيِّ هي الأخرى إلى أن قالت "في": هل يمكنك البقاء لعدة دقائق يا سيدة أوفلاهرتي؟ توجد بعض الأشياء التي أودُّ مناقشتها معك.

سألت السيدة أوفلاهرتي: عن القطة؟

تنهّدت "في": ثمَّ قصَّت لها ما حدث، وكذلك عن بعض المعلومات المُقلقة التي حصلت عليها من السيدة لانسينج.وأخيراً سألتها إنْ كانت قد سمعت عن بوكستاون أم لا؟

استمرَّ الحديث بين في" والسيدة أوفلاهرتي لبعض الوقت. ثمَّ استكملوا الحديث مع أنوك وكريستين في المساء فقد كانا يعلمان الكثير عن بوكستاون والخط الأحمر الفاصل بين السكان البيض والسود للمدينة.

أخبر أنوك "في" كلَّ شيء عن مجتمع بوكستاون فقد عاش هناك لمدة عام حين عاد لخليج أنديانا بعد الحرب، ولازال لديه أصدقاء هناك بما فيهم قس الكنسية التي خطَّط هو وكريستين لحضورها. وشرح ل"في" أنَّ بوكستاون تُشبه بشكلٍ كبيرٍ مدينة في حدِّ ذاتها- يسكنها الفقراء والأغنياء على حدٍ سواء. وقال: بعد الحرب، لم يكن يملك السود المحرَّرين الذين تركوا المزارع أي أراضٍ ولم يكن من الممكن أن يشتروا أراضي في أحياء البيض. لم تكن بوكستاون حينها أكبر من مجمَّع سكنيٍّ واحدٍ يقيم فيه قليل من السود المحرَّرين.لأنَّها لم ترقَ لمستوى ما يمكن أن تقولي عليه قريةصغيرة حقيقيّة، فقد كانت مجرد خطاً من الأرض بين خطوط السكك الحديدة والمستنقعات التي تقع على حدود شاطئ البحر. ولم يرضَ أحد من البيض على السكن هناك، لذا كانت الأرض رخيصة فانتقل أناسنا للسكن بها. وهناك بعضٌ لا بأس به من الأكواخ الأصلية باقٍ، لكن الناس بنُوا منازلاً حقيقيةً ومحلاتٍ وأقامت الكنائس مجتمعات هناك. وسكانها يعملون في كلِّ مكان في المدينة. فإذا ذهبت لمنزل أحد الأثرياء ووجدت به خدماً أو رئيس خدم من السود فاعلمي علم اليقين أنه سيعود في المساء لبيته في بوكستاون. وتجدينهم أيضا في المصانع والمحلات وغيرها. اعبُري خط السكك الحديدية يا آنسة فيوليت وستجدي نفسك في عالمٍ ثانٍ مختلفٍ.

سألت "في": لكن هل سيرحِّبون بنا هناك؟

قال أنوك: حسب توقُّعي فلن يكون هذا ترحيباً. بل إثارة لفضول الناس من نحو سبب وجودك هناك. لكن من المؤكَّد أنك لن تجديهم ودودين.

كانت المناقشة بمثابة تعليم ل"في". شرح أنوك أنَّ الجنوب ليس مثل الشمال حيث يصل عدد قليل نسبياً من المهاجرين الأجانب للإقامة تحت خط ماسون-ديكسون القديم (خط جغرافي).

أنباء مزعجة

كانت "في" قد رأت عند زيارتها لمدينة نيويورك كيف يميل أفقر مهاجري أوروبا للتجمّع معا في أحياء مع أناس من نفس أصولهم العرقية ومواطنهم- الألمان مع الألمان، الايرلنديين مع الايرلنديين، الايطاليين مع الايطاليين، وهكذا. وعلمت أيضا كيف تتشاجّر هذه المجموعات كثيراً، مخرجين عداءهم الوطني القديم وصراعاتهم على أرض جديدة، وسمعت أيضا عن عصابات الشباب الذي يتقاتلون من أجل السيادة والتفوّق وجعلوا من بعض أجزاء نيويورك أماكنِ خطرةٍ كخطورة أرض معارك.

قال أنوك: يقع الفرق الكبير في أنّ معظم الأوربيين المهاجرين الفقراء الذين رأيتهم في نيويورك يمكنهم الخروج من فقرهمَ والذّوبان في المجتمع الأمريكي إذا شغلوا عقولهم جيداً وعملوا بجد ونشاط لأنهم بيض. فكِّري فقط في أصدقائك يا آنسة فيوليت، فإن لم يقولوا لك، فلن يكون لديك فكرة عن المكان الذي أتي منه جدودهم. ربما يكون انجلترا أو اسكتلندا أو فرنسا أو أي مكان آخر، لكنهم بالنسبة لك مجرد أمريكان. وهذا لا ينطبق على السود لأنه كلّ ما عليك عمله هو النظر لبشرتنا لتُدركي أننا جُلبنا من أفريقيا كعبيد. أنا لا أقصدك يا آنسة فيوليت لكني أقصد عموماً. فالنقطة هي أننا نبدو مختلفين ولهذا السبب فمن المستحيل أن نذوب معاً. هذا بالإضافة لكلّ تاريخ الظلم والتحامل والخرافات المجنونة التي من خلالها يمكنك رؤية سبب حفاظ سكان بوكستاون على أنفسهم بعيداً.

استطاعت "في" الرؤية كما أدركت أنّ كلّ شيء قاله لها أنوك حقيقي.

أكمل أنوك حديثه قائلاً: أنا لا أقول أن الإرسالية لن تتمكّن من خدمة بوكستاون يا سيدتي، لكن فقط عليك أن تأخذي طريقة أخرى للوصول إليهم. يمكنني تقديمك للقس وليم إذا أردت، فهو صديق لي وسيتمكّن من إخبارك أكثر بكثير عما قلت لك وقد يساعدك على فهم طرق التواصل مع سكان بوكستاون.

كانت "في" ممتنة جداً لهذا العرض. ثم سألت أنوك وكريستين عمّا سمعوه فى ويلدوود. كان لبُّ الموضوع أنّ الناس خائفين من أن يضعوا أقدامهم على أرض الإرسالية. مع وجود إشاعة بأنه بطريقة أو بأخرى سترحلُ سيدات الإرسالية قريباً. لقد جعل هذا الخبر "في" تقلق أكثر من

كوْن حادث القطة متعمّداً وكان محاولةً لِترويعِهم لدرجة الرّحيل من الإرسالية.

قال أنوك بحذرٍ: أنا لا أريد أن أؤكّد استنتاجاتي، فربّما يكون من فعلها لايقصد غير المزاح.

أعلنت السيدة أوفلاهرتي بإصرارٍ: أيّاً كان من فعلها وأيّاً كانت دوافعهم فهم لن يفلحوا في ترويعنا.

وافقت كريستين قائلا: نعم يا سيدتي لم يفلحوا، لكن هذا لا يعني أنهم لن يجربوا شيئا أخر، مزحة أخرى أو حاجة أسوء.

قال أنوك برزانة: يجب أن نكون أكثر حرصاً وملاحظةً من الآن. أنا أعلم أنك تريدين أن تكون الإرسالية مفتوحة طوّال الوقت يا آنسة فيوليت، لكن في الوقت الحالي، أحب أن تكون البوابة مغلقةٌ في الليل. كما سأقوم ببعض الجولات الزائدة حول أرض الإرسالية بعد حلول الظلام.

فكّرت "في" للحظات ثم قالت: أنا أيضا أعتقد وجوب عدم ترك البنات وحدهُن في الخارج. فأنا لا أحبهم أن يرُوا مثل هذا المنظر البشع للقطة المسكينة معلقة على الشجرة مرة أخرى. وفي الوقت الحالي من الأفضل أن نكون في أمان على أن نندم.

أتت السيدة أوفلاهرتي لحجرة نوم "في" قبل موعد النوم تلك الليلة وقالت: هل تنوين أخبار والدتك وإد بالحادث؟

كانت "في" تفكر في نفس السؤال. فأجابت: لا أظن انه ضروريا الآن. اعتقد أننا يجب أن نأخذ احتياطنا. لكنني لا أود أن أقلق ماما وإد دون سبب جيد. فمن المحتمل أن تكون مزحة قاسية ولن تتكرر. هل تعتقدين أني مخطئة؟

قالت السيدة أوفلاهرتي ببطء: لا، أعتقد أننا قُمنا بما يجب القيام به في الحاضر. لكن إذا حدث شيء آخر، يجب أن تُخبرى عائلتك فوراً.

قالت "في" بحزم: طبعاً، أوافقك على هذا تماماً يا سيدة أوفلاهرتي.

في نفس الوقت الذي كان فيه كبار منزل السامري ينفضُّون عن اجتماعهم ويذهب كلّ منهم لقضاء أشغاله ولحماية الإرسالية من مزيد

من الأعمال التخريبية المحتملة، كان اجتماع آخر يُعقد في أحد حجرات أكثر فنادق ويلدوود شهرة بسوء السمعة. حيث كان شابٌ قصيرٌ قويٌ يقول: قمنا بالمهمة يا سيد كلنش.و لن أزعجك بالتفاصيل. كمالم أنتظر لأرى النتائج لكني متأكِّد من أن سيدات الإرسالية أُصِبن بالرعب اليوم.

أجاب رجلٌ طويلٌ بنظرة ذات مغزى: قلت يجب ألاّ يصاب أحد.

قال الرجل القوي بسخرية: نحن لم نؤذِ إنساناً، وهذه هي الحقيقة.

فتح كلنش صندوقاً معدنياً على مكتبه وبدأ في عدِّ دولارات. ودفع المجموعة التي في يده للأمام وقال: إذاً، خذ أتعابك يا جيس وأكثر قليلاً من أجل أوامري الخاصة.

سحب الرجل القوي المال بجشعٍ. وكان ينوي عدَّ المال لكنه كان على علم بعدم وجوب مضايقة السيد كلنش أكثر الرجال قوة بويلدوود.

قال السيد كلنش: لديَّ مهمة ثانية لك.إنَّها فى هذه المرة تخصُّ أحد معارفي، لكن يجب أن تعتبرني من عيَّنك لها كالمعتاد. يجب أن تقوم بالمهمة بالطريقة التي ترضيني إذا كنت تريد الحصول على أتعابك.

ردَّ الرجل القصير قائلاً: حاضر يا سيدي. ثم قال بنبرةٍ متملِّقةٍ: هل لديك مزيد من الترويع لأقوم به؟.

قال كلنش: ليس الآن، ربما فيما بعد.

وأخرج من نفس الصندوق المعدني صورة في إطار وسلَّمها لجيس وقال: هاتين الفتاتين السود مفقودتين. وصديقي يبحث عنهما، إنَّ أسماءهم مكتوبة على ورقة داخل الإطار. لدى صديقي سبب قوي للإحساس بأنهم ربما يكونوا في خليج أنديانا. لوعثرت عليهم سيدفع لك صديقى بسخاء. لكن إياك أن تقترب منهن أو تؤذيهن بأي شكل من الأشكال. هل تفهم؟

ثم أكمل:أعثر عليهم فقط واخبرني بمكانهم.

جلس الرجل على مكتبه وأدار كرسيَّه المتحرِّك حتى لم يعُد ينظر للرجل القصير وقال بجفاف: يمكنك الذهاب الآن.

كان جيس يضع إطار الصورة في جيب سترته وهو يتَّجه نحو باب غرفة المكتب وقال: سنعثُر عليهن يا سيد كلنش. فأتباعي لديهم عيون

في كلّ ركن في خليج أنديانا، سنعثر عليهم سريعاً.

ردَّ السيد كلنش دون أن ينظر نحوه: اجتهد فى هذا، وأغلق الباب وراءك.

ما أن سمع كلنش صوت غلق الباب حتى أعاد الكرسي لوضعه وأغلق الصندوق الذي على المكتب وأعاده لمكانه في الدرج السفلي للمكتب وأغلق عليه.

كانت رائحة الزيت الذي يدهن به جيس شعره لا تزال تملأ الغرفة مما جعل كلنش يُديروجهه. فقد كان التعامل مع مجرمين حقيرين مثل جيس جانكنز يجعله يشعر دائماً بعدم الارتياح. لكن كان جيس وعصابته من الأوغاد شرٌّ لابد منه لكلنش إذا أراد أن يستمر في إحكام قبضته على ويلدوود. كما كان أداء بعض من الجميل مع زبائنه الجيدين أمر لابد منه. بل جعله هذا يفكِّر مرة أخرى في السيد ابنيزير جرير من جنوب كارولينا- زبون فوق العادة يخسر بصفة دائمة مبالغ طائلة من المال على طاولات قمار كلنش ويعود دائماً للقيام بمحاولة أخرى. وتعجب كلنش لفترة وجيزة للسبب الذي يجعل رجل مثل جرير يبحث عن فتاتين. وفكَّر في نفسه قائلاً: هذا ليس من شأني. وأخرج الموضوع كلّه من دماغه.

الفصل



تطورات جديدة



لَيسَتْ خَلِيقَةٌ غَيرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ

عبرانيين٤: ١٣



أمّا عن منزل "السّامريّ" فقد مرّ باقي الأسبوع دون مزيد من الأحداث -على الأقل ليس من النوع السلبي. وكان استقبال سكان "المنزل" للضيف العزيز مصدر فرحٍ شديدٍ لجميعهم. فقدكانوا جميعاً منتظرين أمام باب المنزل حين دخلت ببطء أفضل عربات أيون البوابة ووصلت لموقفها أمام الباب الأمامي. نزل بن من على كرسي السائق وقام هو وأنوك بعناية شديدة بمساعدة العمة كلوي على النزول من العربة وصعود السلالم للوصول للشرفة وحيّتها "في" والسيدة أوفلاهرتي وكريستين التي كانت تحمل الطفل جاكوب على ذراعيها وهي لا تزال متّكئة على ذراع بن ، ثم قدّموا لها الآنسة كليتون والفتاتين أيفانز.

انسابت الدموع من عيني العمة العجوز عند رؤية الفتاتين الصغيرتين وطلبت منهما أن يدعوانها بالعمة كلوي كما يفعل كل الأطفال في أيون.

ما إن رأت ماريجولد دموع العمة العجوز حتى سألت باهتمام: هل أنت حزينة يا عمة كلوي؟

ابتسمت كلوي قائلةً: على الإطلاق، هذه دموع الفرح لرؤيتك وأختك والطفل. لأنه يسعدني أن أعرف أنكم يا أطفال جزء من إرسالية "في". فالأطفال رجاءُ العالم وربنا ليست لديه عطيّة أعظم ولا مسئولية أكبر على الأرض من تربية أطفال يعرفون محبّته.

قدّمت إلسي التي كانت قد رافقت كلوي حينها نفسها للبنات قائلة: يسرّني التعرّف عليكن يا بطلات. لقد أخبرتني "في" بكلّ شيء عن كيفية رعايتكم لبعض وكم سعيدة هي بوجودكم هنا.

انحنت البنات لها بجمال وأشّعتا من الفرح لمقابلتهم السيدة تراقيللا وكلوي لأن "في" كانت قد حكّت لهما بالفعل العديد من القصص عن مراحل نموها في أيون في رعاية هاتين السيدتين التّقيتن المحبّتين.

أخذت كلوي دورة كاملة في الدور الأول من الإرسالية. وعبّرت عن موافقتها على كلّ التجديدات بما فيها المطبخ، الذي تفحّصته باجتهاد شديدٍ وبكلّ دقّة. وشرحت لها كريستين بعناية شديدة كيف يعمل

الموقد الجديد والأفران الأمر الذي بدا مُرضيا لكلوي وبدّد مخاوفها من نحو عنصر الأمان.

تبع تناول الشاي في الصالة الجولة، حيث طلبت كلوي من ماريجولد وتانسي أن تجلسا بجوارها وهما يشاركانهم تناول الشاي والبسكويت. ولأن كلوي تشعر بالإجهاد بسرعة لذا فقد كانت الزيارة قصيرة، ولهذا لم تكن تلك الزيارة عذبةٌ أبداً.

ظهر السيد أركيبلد النجار مرة أخرى في منزل السامري خلال هذا الأسبوع. حيث طلبت منه "في" المجيء لمناقشة المشروع الجديد للمبنى- مصعد للدور الثاني- للعيادة. وبعد اجتماع مطول مع "في" وأميلي وافق السيد أركيبلد على إمكانية تركيب مصعد ووعد بالعودة قريبا برسومات البناء- بعد أن يقوم بدراسة متأنية للمتطلبات الهندسية.

بدأ سكان منزل السامري بسبب عدم حدوث مزيد من المضايقات كتلك التي أصابت القطة الصغيرة فى الشعور بأن الموضوع برمّته مزحة سخيفة. فقدبدأت القطة الصغيرة في التّعافي تحت رعاية أميلي والملاحظة الدائمة للبنات. ودهش د.بومان حين زارهم يوم الجمعة لمعرفته بما حدث واندهش أكثر لرؤيته للمخلوقة الصغيرة تتحرّك على أرض العيادة. كانت حركتها غريبة وكوميدية- مزيج من قفز على ثلاث أقدام وزحف على بطنها ودحرجة من جانب لآخر.

قال الطبيب وهو يراقبها: إنه مخلوق صغير واسع الحيلة. أرى أنها مرملاد

فسألته ماريجولد قائلة:. لكن ما هو المر-مارمو-؟

أجاب د.بومان: إشارة للونها. كانت ستكون غامقة اللون لكنه تغيَّر للبرتقالي مع خطوط غامقة من درجاته. أنها قطة منزلية مخططة- برتقالي مع خطوط برتقالية غامقة. وهذا يا ابنتي يذكُّرني ببعض الناس من بلاد مرملاد البرتقال. فالمرملاد مربى حلوة من ثمار شجر البرتقال. هل حدث وأكلت المرملاد على شريحة خُبزك؟

أجابت الصغيرة: لا أعتقد هذا. ما هو طعمها؟

قال د.بومان بغمزةٍ من عينيْه: الناس الذين ليس لديهم خيال واسع سيقولون لك أنها حلوة ولاذعة مثل البرتقال تماماً. لكني أظنُّ أنها بطعم

الجزر الاستوائية البعيدة في البحر المتوسط، ونسيم المحيط وبلون السماء الزرقاء والمغامرة.

قالت ماريجولد بابتسامة واسعة: آووه، تبدو رائعة. ثم مالت لتمسح ظهر القطة الصغيرة ذهاباً وإياباً والقطة مستمتعة وتلتفُّ ضد يدها في رشاقة.

قالت ماريجولد: أنت قطة مار- ميد. قطة مارميد جميلة.

قالت تانسي: مارملاد. مصحِّحة لأختها.

حاولت ماريجولد مرة أخرى قائلة: مار- مو-ميد. ثم ما-لو-ريد.

وبإحباط هزّت رأسها وأعلنت:أوه، لا أستطيع نُطقها صحيحاً. أنا سأسميها مربى وبس!

قال د.بومان: القطة مربى. يعجبني هذا كثيراً يا ماريجولد.

مال هو أيضاً نحو الأرض وربَّت على ذقن القطة برقَّة وقال: مرحباً يا مربى. أنت مخلوقةٌ صغيرةٌ شجاعةٌ وعذبة أيضاً.

أخبر د.بومان "في" والسيدة أوفلاهرتي بعد أن تفحَّص البنات بأنهم في أحسن حال. وأن التهاب أذن ماريجولد اختفى تماماً وأنه مسرور للقول بأن قدرتها على السمع لم تُؤذَ أو تتأثر. وأن البنتين تزيدان في الوزن، وأنَّ لديه من الأسباب ما يجعله يتوقَّع ألاَّ يكون للأسابيع المريرة التي قضوها وحدهم أيّ تأثير على صحتهم الجسدية. ومدح أيضاً مهارة أميلي في العناية بالقطة التي لم يكن سيفعل معها أحسن مما فعلته أميلي.

كان لدى "في" أخبارها الخاصة، فطلبت من الطبيب والسيدة أوفلاهرتي أن يذهبا معها لمكتبها حيث وجد خطاباً مفتوحاً على المكتب، أوصله إليها سائق السيدة لانسينج أثناء فحص الطبيب لمرضاه الصغار.

قالت "في" وهي تأخذ الورق من على المكتب: لقد وصلتها أخبار من السيد بارتلبي، محامي صديق في كولومبيا، وأرسلت لنا الخطاب ومعه آخر منها.

علم السيد بارتلبي الكثير عن السيد جرير بالفعل. فقد ورث مزرعةً كبيرة من أمِّه من عام مضى تقريباً. وتقع هذه المزرعة بقرب مصنع يبعد حوالي خمسين ميل شمال عاصمة ولاية جنوب كارولينا. وقال السيد

بارتلبي أنَّ هذه المزرعة ملك لعائلة جرير من قبل الحرب الأهلية. ومن خلال اتِّصالاته في بثل- المدينة القريبة من المزرعة- علم السيد بارتلبي أن المزرعة تُدار بطريقةٍ سيئةٍ جدا منذ وفاة السيدة جرير وأن السيد جرير يسعى لبيعها. كما توجد حكايات عن أنه رجل بذيءٌ ويعامل موظفيه وعماله بطريقة سيئة.

قرأت "في" صفحة من خطاب السيد بارتلبي بعد أن ارتدتْ نظارتها قال فيها:

لا يمكنني الجزم بصحة هذه المعلومات عن طريق الملاحظة الشخصية. لأنه بناء على طلبك يا سيدة لانسينج أنا لم أزُر مدينة بثل ولا قمت بالتحري علنياً. بل أرسلت تلغرافا لزميل وصديق قديم لي قاضٍ هناك الآن. وهو أرسل لي وأعلَمني الكثير عن خلفية السيد جرير الذي ترك منزل أمه منذ خمسة عشر عاماً مضت ولم يقُم بزيارتها أبداً ولم يعد سوى لحضور جنازتها. وصديقي القاضي لم يترأس صحة وصية السيدة، لأنه لم يكن يحيا ببثل حينها. لكنه يقول أنه لا يوجد سؤال حول ميراث الابن. ولم يكسب السيد جرير أي من الشعور الطيب منذ عاد لبثل فقد بدا إنساناً جشعاً وغير متحضِر- عكس والدته التي كانت محبوبة من الجميع جدا لطيبتها وكرمها المسيحي، كما توجد حكايات عن تحكُّم السيد جرير في عُماله ومستأجريه كطاغيةٍ وأنه لا يدفع لهم شيئاً تقريباً. وفلاحيه المستأجرين مُجبرين على منحه كلّ محصولهم تماماً كل عام في مقابل إيجار مساكنهم، وهو يقدِّم لهم أقلّ قدرٍ من المؤن ليُطعموا أولادهم. كما أنه مشهور بمعاملة خدم منزله وكأنهم لازالوا عبيداً، مطالباً إياهم بمجهود مضني ولا يقدم لهم إلا أكثر قليلاً من السقيفة والطعام.

توقَّفت "في" عن القراءة ونظرت لأعلى.

فقالت السيدة أوفلاهرتي: هذا يؤيِّد ما قالته البنات لنا. لقد أسرَّت لي تانسي بأنَّ أمها كانت تعمل ساعاتٍ طويلة جدا لدرجة لم يكن لديها للنوم، وهذا بالطبع قد ساهم في مرض السيدة المسكينة.

سأل د.بومان ووجهه قد امتلأ قلقاً: هل يحتوي الخطاب على أي أخبار عن عائلة الفتيات؟

قالت "في": القليل.

ثم قرأت مرة أخرى من خطاب السيد بارتلبي:

ليست لدى القاضي أي معرفة شخصية بعائلة تُدعى أيفانز. ومع هذا، فإنَّ كاتبه- وهوشابٌ تربَّى ببثل- يذكُر مُزارع باسم جون أيفانز عمل في مكان كبير كان أمام جزء من مزرعة جرير أو ملاصِقة لها. كمايذكُر كوْن السيد أيفانز من الشمال من بنسلفانيا أو ربما نيويورك- أتى للمجتمع كرجلٍ حرٍ ورُفِض في البداية وتعاملوا معه ك"حامل سجاجيد" و"شماليٌ أسود مُتعالي". لكنه بموت السيد أيفانز كان قد اكتسب سمعةً طيبةً كرجلٍ مسيحي بارع ويعمل بجد ونشاط. ومن سوء الحظ، أنَّ كاتب صديقي كان طفلاً حينها ولا يعلم شيئاً عن عائلة السيد أيفانز كما لا يمكنه معرفة إذا كان للسيد أيفانز زوجة وأطفال أم لا. لكنه يذكُر أنه سمع بأنَّ السيد أيفانز مات أثناء وباء اكتسح المجتمع من خمس أو ست سنوات ماضية.

وضعت "في" الخطاب جانباً وقالت لأصدقائها بأنَّ السيد بارتلبي عبَّر عن استعداده للمضيّ قدُماً في تحريَّاته إذا كانت هذه رغبة السيدة لانسينج.

علَّقت السيدة أوفلاهرتي قائلةً: يوجد في هذا الخطاب ما يكفي للتأكيد على صحة وصدق كلَّ ما قالته لنا البنات. ثم أضافت: ليس لأنَّي قد شككتُ بهم أبداً. لكن هذا يوضِّح رغبة أمهم في إرسال بناتها بعيداً عن المزرعة وأن تقوم بهروبها الشخصي بعد ذلك.سألت والغضب يكاد ينفجر من عينيها الزرق الجميلتين. كيف يُسمح لرجل مثل السيد جرير بمعاملة موظفيه وعماله بمثل هذه الدّناءة والاستخفاف؟

أجاب د.بومان بسخط: لأن القانون يُسانده.

خلعت "في" نظارتها وتنهدّت بثِقلٍ قائلة: كان بابا دائماً يقول أنه بالرغم من كل فظاعة الحرب الأهلية إلا أن السلام الذي تبِعها كان أكثر صعوبة. فإعادة البناء والوعد بالعدالة وتعويض ضحايا العبودية لكن لم يحدث أي شيء من هذا.

قالت السيدة أوفلاهرتي وقد استعادت عمليّتها: فليكن ما يكن يا "في".علينا الآن التفكير في البنات الصغار. ما هي خطوتنا التالية؟

قالت "في": أعتقد أنَّ علينا الكتابة للسيد بارتلبي طالبين منه الاستمرار في تحرياته. لقد كتبت خطاباً للسيدة لانسينج بالفعل لأعلمها بهذا، وبأننا سندفع له أتعابه بالطبع.

قال د.بومان بأنه سيذهب إلى منزل آل لانسينج بعد أن يغادر الإرسالية مباشرة وعرض أخذ الخطاب معه لتسليمه للسيدة لانسينج.

ثم قالت "في": نويت أن أبقى هنا في عطلة نهاية الأسبوع القادمة وأحضر خدمات كنيسة الأحد في أحد الكنائس الموجودة في قائمتنا. لأني أعتقد أنها طريقة جيدة لمقابلة القس وتقديم خطاب التعارف الذي من السيدة لانسينج له. لكن الآن، أعتقد أنَّ عليَّ الذهاب لأيون. فأنا أريد أن أقدِّم هذه المعلومات الجديدة لماما وإد وأحصل منهما على المشورة.

قالت السيدة أوفلاهرتي: يمكنني أن أحلَّ محلَّك في الكنيسة يا "في". وأنوك وكريستين طلبا بالفعل من البنات الانضمام إليهم في الذهاب للكنيسة التي يخدم بها القس صديق أنوك يوم الأحد في بوكستاون.

فقال د.بومان بحاجبٍ مجعَّد: بناءاً على ما حدث مع القطة الصغيرة، لا تعجبني فكرة ترك منزل السامري فارغ حتى وأن كان لمجرد خدمة صباح الأحد. هل تسمحون لي بالخدمة كحارس عندماتكونون بالخارج؟ إنَّ الثمن الوحيد الذي أطلبه لهذا هو مشاركة وجبة الغذاء معك يا سيدة أوفلاهرتي حين تعودين من الكنيسة.

وافقت السيدة أوفلاهرتي بسرور وعبَّرت "في" عن شكرها لهذا. وقالت أنها ستذهب لأيون في اليوم التالي، السبت، وتعود لويلدوود على موعد الغذاء يوم الأحد حتى تنضمَّ إليهم.

وقالت: ربما يكون معي المزيد من الأفكار من ماما وإد حين أعود. على أي الأحوال، سيكون من دواعي سروري أن أتناول غذائي معك يوم الأحد يا دكتور... وربما سيكون من الأفضل مناقشة ما فكرنا فيه بعد أن نقضي بعض الوقت للتفكير ملياً فيما سمعناه من أخبار من جنوب كارولينا.

لم يكن قلق د.بومان على سلامة سكان منزل السامري بلا سبب، فقد لاحظ وجود رجل قصير يرتدي ملابس سوداء وقبعة دائرية، يركن على حائط متهدِّم في قطعة أرضٍ فارغةٍ مواجهة للإرسالية. وحين رأى

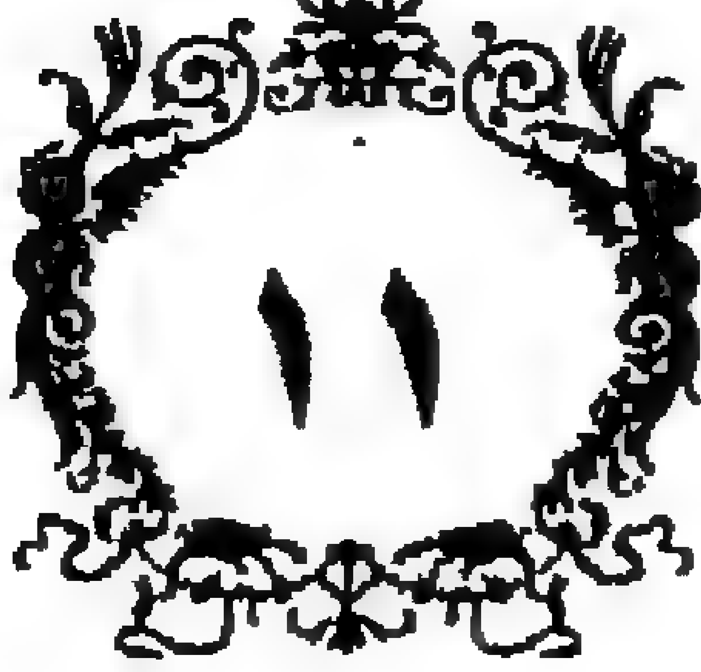
د.بومان الرجل قفزت كلمة أفعى على باله فوبّخ نفسه على مثل هذا الفكر الرديء (بالرغم من أنه لم يكن متعمِّدً) وقال لنفسه بأن ينسى الرجل. لكن حين كان يفحص مربى الصغيرة ويهنِّىء أميلي على علاجها للقطة الجريحة، عادت صورة ذلك الرجل لذهنه. وتساءل د.بومان هل كان الرجل يتسكّع في الشارع؟ أم أنه كان يراقب الإرسالية؟ كان الطبيب قد قام بعدَّة زيارات لمنزل السامري في الأسبوعين الماضيين وهو متأكّد من أنه لم يرَ هذا الرجل من قبل.

لم يقُل د.بومان شيئاً لسيدات المنزل لأنه لم يرغب فى إقلاقهم بسبب شيء قد يكون نتاج خياله الجامح. وترك الإرسالية بعد انتهاء لقائه مع "فِي" والسيدة أوفلاهرتي.و بعد أن أخذ دقائق معدودة يودِّع فيها تانسي وماريجولد وأميلي واقفاً لفترة أطول مع الأخيرة ليناقش بعض الأمور الخاصة بالمعدات الخاصة بالعيادة.

وساق عربته الخفيفة متّجها مباشرة إلى منزل آل لانسينج. متعمداً فحص الشوارع عن كُثب ليعثُر على الرجل الذي يشبه الأفعى. لكنه لم يرَ سوَى قلة من السيدات يحمِلن سلالَ تسوُّقهن وأطفالاً يتبعوهن، وشابان مستلقيان على الحشائش الخضراء لقطعة الأرض الفارغة يتحدثان ويدخنان السجائر، لكن لا رجل قصير بقبعة دائرية.

ضحك د.بومان على خياله الجامح. ومع هذا، لم يتخلّ عن قراره بوجوب وجوده لمراقبة منزل السامري أثناء غياب سكانه. ثم واتته فكرة أخرى فقال فى نفسه: على الأقل ستكون الآنسة كليتون في أمان في منزلها مع خالتها يوم الأحد. وتعجب لماذا بدت هذه الفكرة مريحة جداً له.

الفصل



مزيد من التحذيرات



وَيَكُونُ الرَّبُّ مَلْجَأً لِلْمُنْسَحِقِ. مَلْجَأً فِي أَزْمِنَةِ الضِّيقِ.

مزمور٩:٩



وهنا حيث "في" التى سافرت إلى ايون فإنّها قد وصلتْ "في" ايون فى اليوم التالي حين كانت العائلة قد انتهت من تناول وجبة غذائها لتوّها. كماكانت إلسي ووالدها ووالدتها وإد وزوي والبروفسور ريموند جالسين في الصالة. سعدت "في" جداً لرؤية جميعهم لدرجة لم تلحظ معها البروفسور في البداية. فحيَّته بأدب وردَّ هو عليها بمثلها أيضاً. ثم سألها الجميع عن أحداث الأسبوع في منزل السامري.

وسُرعان ما جنَّ الجميع من الأخبار التي سمعوها من محامي جنوب كارولينا عن السيد جرير.

فهتفت زوي: يا له من رجل بشع! كيف يمكن أن تستمر معاملة الناس هكذا بعد أن مات الملايين أو جرحوا في الحرب الأهلية ليُنهوا شرَّ العبودية؟ لماذا تبدو هذه المزرعة وكأنها من مزارع القرون الوسطى- سادة قاسين وعبيد حقول لا حول لهم ولا قوة.

وافق الجميع على تقييم زوي بالرغم من أن لغتهم كانت أكثر انضباطاً فى المشاعر.

حذَّر هوراس دينسمور قائلاً: من الممكن أن نكون ظالمين لهذا السيد جرير بالإسراع في الحكم عليه. فمعظم ما كتبه المحامي عبارة عن إشاعات.

قالت "في": هذا حقيقي يا جدي. وهذا سبب طلبي من السيدة لانسينج أن تطلب من السيد بارتلبي الاستمرار في تحرياته. لكن مع هذا، لا أستطيع التخلُّص من إمكانية أن تكون والدة تانسي وماريجولد في خطر. وأشعر بإلحاح لا يمكنني تفسيره.

قالت روز دينسمور: ربما ينبغي أن تتحدَّثي مع البوليس في خليج أنديانا. فربما يستعلم أحدهم عن البنتين. أو حتى ربما تكون والدتهم تبحث عنهم الآن.

ابتسمت "في" مُمتنة لجدتها وقالت: أشكرك يا جدتي. كنت أعلم أن بإمكاني الاتِّكال على الحصول على أفكار بنَّاءة من عائلتي.

إرسالية فيوليت الجريئة

سأل إد: هل يجب أن ترسل أحد لجنوب كارولينا؟

قالت إلسي: قد يكون هذا ضرورياً فيما بعد. لكن يبدو لي أنَّ السيد بارتلبي كفءٌ للمهمة الموكَّلة إليه. من فضلك يا "في" أطلبي من السيدة لانسينج أن ترسل لي عنوانه حتى اتصل به مباشرة وأجعله يرسل لي فاتورة بكلِّ مصاريفه وأتعابه.

قالت "في": أوه. هذا كرم شديد منك يا ماما. وذهبت لوالدتها واحتضنتها وقبَّلتها وردَّت عليها إلسي بالمثل.

ثم قالت إلسي: يجب أن أقول أنني تأثَّرت كثيراً بضيوفك الصغار حين أتيت مع العمة كلوي لزيارة الإرسالية. فتانسي وماريجولد لديهم سمات شخصية وسلوكية ممتازة وهذا يوضِّح أنهما نشأتا في بيتٍ مسيحي صالح. في الحقيقة، ما لاحظته فيهما ينفي فكرة أنهم عوملوا كعبيد منزلٍ أو عبيد حقلٍ كما تقول زوي.

سألت زوي: هل هما متعلمتان؟

أجابت "في": نعم، جيد جدا. ماريجولد لم تبلغ السادسة بعد لكنها تستطيع القراءة ويمكنها الكتابة بعض الشيء. أما تانسي فقارئة شرهة وتعرف التاريخ والحساب أكثر بكثير مما هو متوقعٌ من طفل لمزارع فقيرٍ مستأجر. لقد قالت لي أنَّ الراحلة السيدة جرير علَّمت أمها ثم تانسي وماريجولد. ووالدة البنات استكملت عملية تعليمهم بعد وفاة السيدة جرير. وأن واحد من أسباب غضب السيد جرير الدائم على أمها بعد توليه إدارة المزرعة هو معرفته لقدرتها على القراءة والكتابة فقد كان يقول أن التعليم يجب ألا يضيع على الفقراء وأنه لا يريد من موظفيه أن يعتقدوا أنهم أفضل من سيدهم.

علَّقت إلسي تقريباً لنفسها قائلة: يوجد بالتأكيد شيء غريب في هذا الوضع. أعتقد وجود المزيد في قصة الحملين الصغيرين عما يظن أي منا. ربما أكثر مما تعرف البنات أنفسهن.

سأل إد بضحكةٍ واسعةٍ: هل هذا حدسك الأنثوي يا ماما؟

قالت زوي: هل تسخر من الحدس يا إد؟

كانت نبرتها خفيفة لكن سمعت فيها "في" قليلاً من السخط.

قاد هذا لبعض الدقائق من المزاح، رفض فيها إد الإذعان لمجادلة زوي بأنّ الحدس سمة ليست قاصرة على السيدات.

لجأ إد أخيراً لصديقه قائلاً ما رأيك يا مارك؟

لم يكن البروفسور قد قال شيئاً أثناء المناقشة، فابتسم وأجاب: سأكون رجلاً أحمقاً إذا وضعت نفسي بينك يا إد والسيدات. لكني سأغامر مع هذا وأقول بأنني لا أميل للاستغناء عن الحدس مثلما كنت أفعل من قبل.

سأل إد مرتاباً: بالتأكيد أنت كباحث علمي لا تعتمد تماماً على مشاعرك كمرشد لك؟

قال البروفسور: لا، لكني لا أتجاهل المشاعر- والحدس أيضاً. فالله منحنا القدرة على الإحساس والقدرة على التعقُّل. ألا يقع الحدس في منطقة ما بينهما؟ كثيراً ما نمدح الناس الذين لديهم القدرة على قراءة سمات الآخرين- يقدرون على سبيل المثال على تمييز الوغد الذي يتخفَّى وراء الكلمات المعسولة. أنا لا أعتقد أنَّ الوثوق بالحدس أمر ضروري، لكني أعتقد أيضا أننا سنكون ضيّقي الأفق لو أهملناه تماماً.

قالت زوي وهي تحاول إخفاء نبرة انتصارٍ في صوتها: أشكرك يا بروفسور.

قاد هذا لحديثٍ مثيرٍ عن العديد من النقط الفلسفية. ولاحظت "في" مع استمرار الحديث أن البروفسور لا يتحدث إلا قليلاً، لكنه دائماً يسأل أسئلةً تمكِّن الآخرين من تركيز تفكيرهم ومناقشة وجهات نظرهم دون الدخول في صراع. ولأول مرة تدرك لماذا إد مفتون بأستاذه السابق هكذا. وحاولت تخيل ما سيكون عليه وضع تلاميذه في الفصل، وفجأة تذكَّرت أنه كان لديها بروفسور مثله- أبيها! فكثيراً ما كان إدوارد ترافيللا يعلمهم عن طريق الأسئلة هكذا، وليس عن طريق المحاضرة. كانت هذه طريقة قال لها أبيها أنها أتت من اليونانية القديمة. ففكَّرت فى نفسها قائلةً: هذا شيء يجعلنا نُعجب بالبروفسور ريموند لأجله. بابا كان سيعجب به. ولأجل هذا السبب وحده، إذا لم يوجد آخر يجب أن أكون أكثر تحملاً وتسامحاً بسببه مع سلوكه المتغطرس. فربما يخفي سماتاً أخرى غير متوقعة خلف هذه الواجهة المتَّسمة بالغرور. وربما قفزت

لاستنتاجات متسرِّعة مرة أخرى (متذكرة صيفها في نيويورك حين قاربت على إساءة الحكم على تصرفات زوي وصديقهم السفير الفرنسي).

كانت "في" قد قرَّرت وهي في طريقها لأيون ذلك اليوم وجوب مشاركة حادث القطة مع إد. وبعد قضاء أمسية جميلة مع العائلة، استطاعت الاختلاء بأخيها وحدهما لعدة دقائق وأخبرته بكل شيء. وأكدت له أنهم يتخذون احتياطاتٍ إضافية في الإرسالية، لكن بما أنه لم يحدث شيء آخر اعتبروا الأمر مزحة مروِّعة من أولاد الحي. لكنها مع هذا قالت له عن مخاوف أنوك وأن هذا قد يكون محاولة لإخافة سكان الإرسالية وجعلهم يرحلون.

كان إد، كما توقَّعت، غاضب جداً لفكرة أن أحدهم حاول إخافة أخته وأصدقائهم وبمثل هذه الطريقة البشعة.

هدَّأته "في" ثم طلبت منه ألاَّ يخبر أمهما بالقصة قائلة: بما أن الموضوع كله قد يكون مزحة فأنا لا أرَ سبباً لإقلاق ماما بلا داعي. أنا لا أعني أنه سرٌ يا إد- لكني فقط لا أريد أن أزعجها ما لم يكن هناك سبب حقيقي.

وافق إد على رغبتها، لأنه كان يهتم براحة والدتهما مثل "في" تماماً.

سأل أخيرا: كيف حال القطة؟

قالت "في" بضحكةٍ عريضةٍ: تتعافى بشكل مدهش. فأميلي والبنات يعتنون بها وكأنها ملكة انجلترا بذات نفسها. وإذا افترضنا أن كل شيء سيسير على ما يرام،أظنُّ أن منزل السامري لديه ساكن دائم آخر.

تحوَّل وجه إد للجدية مرة أخرى وقال: يجب أن تعديني بأن تكوني حريصة يا "في"، كلكم يجب أن تكونوا حريصين، فتعذيب القطة قد لا يكون أكثر من مجرد مزحة بشعة من أولاد ذوي روح دنيئة. لكن لا تتخلّيْ عن حرصك. وإذا حدث أي حوادث أخرى مثل هذه يجب أن تعلميني على الفور. أتعديني بهذا؟

قالت "في": أعدُك يا أخي الكبير.

تحدثوا لفترة أطول علمت من خلالها "في" أن البروفسور سيعود للشرق في الأسبوع التالي.

قال إد معلقاً: إنه يفتقد أبناءه.

أعلنت "في" بدهشة: أبناءه! لم أكن أعلم أنه أب.

قال إد: نعم، لديه ثلاثة صغار. أكبرهم ولد في عمر داني وبنتان أصغر. لقد تحمَّل مارك حزناً شديداً في الأعوام القليلة الماضية. فلقد توفيت زوجته حين كانت الصغرى تبلغ عامين. وأصيب مارك بالذهول لدرجة أنه أرسل أبناءه ليحيوا مع قريب له في بوسطن. وألقى بنفسه في العمل والرحلات، وأنا متأكد من أن هذا ما ساعده على تحمل هذه المأساة. كما لا يزال الأطفال بعيدين عنه لكنه يراهم كثيراً على قدر استطاعته.

سألت "في": يعيشون بِعاداً عن بعض؟ لكن بالتأكيد لا يلومهم بأي شكل على فقدانه لزوجته.

كانت "في" تفكِّر في والدتها وجدها حين سألت هذا السؤال. فكثيراً ما سمعت قصة برود وفتور هوراس دينسمور من نحو ابنته بعد وفاة زوجته الأولى- والدة إلسي- وقبل أن يفتح قلبه لنعمة الرب يسوع الشافية.

قال إد: لا، إنَّ مارك لا يلوم الأطفال على الإطلاق. فهو يحبهم بشدة. لكني أعتقد أنه يلوم نفسه على وجوده في أوروبا حين توفيت زوجته وعدم وجوده بجوار أبنائه حين كانوا في أمسِّ الاحتياج إليه. لابد أنه يشعر بذنب عظيم ولهذا السبب لا يعتبر نفسه لائق لأن يكون أباً صالحاً لأبنائه.

سألت "في": هل تحدثت معه في هذا؟

أجاب إد: حدَّثني مارك عن أبنائه لكنه لم يتحدث عن وفاة زوجته. وأنا التقطت بعض التلميحات من هناك وهناك. ثم ابتسم بنعومة وأضاف: زوي ستقول أنني أستخدم حدَسي. ربما تكون على حق في أنه ليس سمةً قاصرةً على السيدات.

سألت "في" بطريقة مغيظة: هل أقول لها هذا؟

أجاب إد آمراً بضحكة: إياك يا أختي الصغيرة. فزوي لن تسمح لي أبداً بنسيانه.

قال "في": وهل هذا شيء سيء؟

أجاب إد: نعم- لا-في الحقيقة لا أعلم. قالها بنبرة غريبة وأدركت "في"

أن وجهه احمر خجلاً.

ثم قال إد وهو يُحاول تثبيت نبرة صوته: أنا لا أعلم بحق ما أقرِّره عن صديقتنا الصغيرة، فزوي تكون غير صبورة في لحظة مثل طفل وفي اللحظة التالية حكيمةٌ حكمة ماما.أوه، حسناً. يجب أن أكون ممتناً لأن جدي هو الوصيُّ عليها لا أنا.

فقالت "في" بطريقة ضاحكة: ربما تكون هي أيضا مسرورة بهذا مثلك تماماً. ثم فكَّرت قائلة: لكن ربما ليس لنفس السبب.

ذهبت "في" لحجرة نومها تلك الليلة وهي تفكر في أنها كانت أمسية مليئة بالإعلانات بحق، أولا البروفسور ريموند ثم إد. فقد رأت أشياءاً بكل منهما تحدَّت فهمها وسألت بصوت عالٍ: هل كل الرجال معقَّدين جدا هكذا؟ قالتها وهي تطفئ نور لمبتها وتنزلق تحت غطاء فراشها الذي كانت تنام فيه لسنين طويلة. ثم قالت: ليس لديَّ المهارات التي تمكنني من فهمهم. لكن من فضلك يا أبانا السماوي ساعدني على أن أكون أكثر تفهُّماً. وتحوَّلت كلماتها لصلاة وقالت: امنحني من فضلك القوة لمقاومة القيام بأحكام لاذعةٍ لأن ليس لي أن أحكم أو أدين أحد غير نفسي. وكما تعلم أحتاج للكثير من المساعدة في هذا الأمر لأني كثيراً ما أغوَى بالوصول للاستنتاجات دون برهان. وأطلب منك أيضا أن تبارك البروفسور وأبناءه الأيتام وأخي إد وزوي وتانسي وماريجولد وكل من أحبُّهم.

نامت "في" نوماً عميقاً هادئاً بعد أن ارتاحت كالمعتاد بسبب محادثتها مع أبيها السماوي. وحين استيقظت صباح اليوم التالي شعُرت بالانتعاش واستعدَّت للعودة للمدينة. متحمِّسةً لمواجهة التحديات التي ستقابلها في منزل السامري أيّاً كانت بثقة من يعلمَ أنَّ الرب بجانبه.

كانت "في" متطلعة لتناول الغذاء مع د.بومان والسيدة أوفلاهرتي فقد منحتها زيارتها لعائلتها بعض الأفكار الجديدة التي ودَّت مناقشتها مع أصدقائها، كما كانت متلهفةً بشكل خاص فى القيام بتتميم نصيحة جدتها روز بإخطار البوليس بوجود الصغيرتين معها. لم تدخل "في" أبداً مركزاً للبوليس من قبل. وفكرت في أن د.بومان قد يتمكَّن من أخبارها بكيفية القيام بهذا.

لم تكن أبداً تتوقَّع أن ترى رجل شرطة يقف أمام الباب الأمامي لمنزل السامري وهي تسوق عربتها الخفيفة المكشوفة إلى الطريق الداخلي للمنزل بعد الظهر بقليل. لكنه كان واقفاً على السلالم يتحدث مع السيدة أوفلاهرتي وبدا وكأنه يكتب شيئاً في مفكرة.

أسرعت "في" بالنزول من عربتها وربطت مقود الحصان في العمود الموجود أمام السلالم. فأتى رجل الشرطة والسيدة أوفلاهرتي لمقابلتها وقالت السيدة أوفلاهرتي: لدينا المزيد من المشاكل. الرقيب بيفي سيشرح لك. لكن نشكر الله لا توجد إصابات.

قدّمت الرقيب بيفي ل"في" وقالت: رقيب بيفي أود أن تقابل الآنسة ترافيللا.

رفع الرقيب قبعته وانحنى قليلاً لكنه لم يمدّ يده وقال: سُررت بمقابلتك يا آنسة ترافيللا. وأنا آسف لإخبارك بأمر اشتعال النيران في السقيفة الجديدة الموجودة خلف المنزل وبأن ظروف الحادث تبدو مريبة.

قالت "في" بعدم تصديق: حاول أحدهم أن يشعل حريقاً؟

قال الرقيب بيفي: يبدو أن هذا ما حدث. إنّ السيدة أوفلاهرتي أخبرتني بأنّ السقيفة كانت نظيفة وأنّ كلّ مواد البناء قد أخذت من المكان بعد أن انتهى العمل به. لكننا عثرنا على نشارة خشب بخارجها وليس من الطبيعي أن توجد هناك بالصدفة.

كانت "في" بالكاد تستوعب كلّ ما قاله الرقيب بيفي لكنه أكمل قائلاً: من حسن الحظ أن الطبيب الشاب كان هنا عند اندلاعها وإلا كانت انتشرت ووصلت للإسطبل ومرأب العربة بسرعة.

سألت "في": د.بومان؟

أجابت السيدة أوفلاهرتي بفخر واضح: نعم يا ابنتي. لقد وصل د.بومان لهنا قبل أن نغادر جميعنا للكنيسة. وكان يدور متفحِّصاً المنزل ليطمئن على كل شيء حين نظر من النافذة ليرى الدخان. فهرع وتحوّل المكان لفرقة من رجل واحد. فقدرأى رجل غريب بالشارع ما يحدث فهرع لمساعدته. وتمكّنا معا من إخماد الحريق قبل أن تحدث أضراراً جسيمة. لكن أحدهم أبلغ ما يحدث لرجال البوليس، فكان الرقيب بيفي هنا عند عودتي من الكنيسة.

سألت "في" بلهفة: البنات وآل ريف؟

أجابت السيدة أوفلاهرتي: لم يعودوا بعد، فقد أخبرتني كريستين بأنهم مدعوّين لتناول وجبة الغذاء مع صديقهم القس وليم وعائلته بعد الكنيسة.

قال الرقيب بيفي وهو ينظر في مفكرته: أخبرتني السيدة أوفلاهرتي عن القطة التي عثرتُم عليها معلقةً على الشجرة الاثنين الماضي. أنا لا أريد أن أقلقكم لكن يبدو وجود مخطَّطٍ هنا. فهل عندكم مشاكل مع أحد من سكان الحي؟

قالت "في": لا يا سيدي. نحن ندرك مدى حب استطلاع الناس وفضولهم من نحونا ويبدو البعض منهم متشكِّكون في أمرنا بوضوح. لكن بالتأكيد لا، لا يوجد شيء يفسر هذه الحوادث. هل تعتقد أن الحريق متعمد؟

أجاب الرقيب بيفي بعبوسة: لا يمكنني أن أشهد بهذا في المحكمة. لكن لو كنت منكم لكنت على حذرٍ وحرصٍ دائم. لقد أتى أناس مثلكم لويلدوود من قبل، لكنهم جميعاً غادروا. دون أن يكون لدينا دليل على أنهم طرِدوا أو أبعِدوا. لكن يوجد أناس هنا لا يريدون وجود إرسالية مسيحية بينهم.

سألت السيدة أوفلاهرتي: هل الكنائس تعاني من مثل هذه المشاكل؟

أجاب الرقيب بيفي: لا يا سيدتي، أنهم لا يعانون لأنهم يحافظون على رؤوسهم منخفضة، كما كنا نقول في الحرب، ويهتمون برعاياهم. لكن الإرساليات مختلفة. فأناس الإرساليات الذين مثلكم يبحثون عن الجميع ويصلون للجميع. يجب أن تكونوا على دِراية بما يحدث في ويلدوود. أضاف الجملة الأخيرة بصوت منخفض ثم أكمل: يوجد أناس أشرار يكسبون مبالغاً طائلة من بؤس الفقراء والإرسالية ستؤثِّر على مكاسبهم.

سألت "في": من هم هؤلاء الناس الأشرار؟

أجاب الرقيب بيفي بنبرةٍ رسمية: لن يكون من اللائق أن أشيرلأسماء دون دليل. ثم أخفض صوته مرة أخرى وقال: لكن احذري ممّن يمتلكون الفنادق والحانات على نهاية الشارع. إنهم رجالٌ قساةٌ يا آنسة ترافيللا، قساة وماكرين. وهم رأس الأفعى في ويلدوود. هؤلاء هم من يجب أن

تحذري منهم.

طالبت "في" قائلة: لكن ألا تستطيع عمل شيء؟

أجاب الرقيب بيفي مدافعاً: نحن نفعل كل ما نستطيع يا آنسة، لكننا لا نستطيع التصرُّف ما لم توجد جريمة. وقلة من الناس في ويلدوود الذين لديهم الشجاعة لإبلاغنا. فنحن لم نكن لنعلم شيئاً عن الحريق الذي حدث عندكم ما لم تهرع السيدة الشابة للمركز هذا الصباح وتبلغنا.

نظرت "في" للسيدة أوفلاهرتي متسائلةً، فقالت السيدة أوفلاهرتي: يبدو أنه لا أحد يعلم من هذه السيدة الشابة. ثم وجَّهت كلامها للرقيب قائلةً: هل توجد أيُّ معلومات أخرى تودُّ أن نطلعك عليها يا رقيب بيفي؟

قال الرقيب بأنه حصل على كل المعلومات المطلوبة للوقت الحالي وشكر السيدتين على معونتهما. ثم أشار إلى أنه سيحاول الحصول على حراسة ورقابة أكثر للإرسالية.

وسأل: هل تحكمون إغلاق هذه البوابات في الليل؟

قالت "في": لم نكن نريد لكن نعم، فبعد ما حدث للقطة أصرَّ حارسنا السيد ريف على غلق الأبواب عند غروب الشمس. ويقوم بتفحص حديقة المنزل وأرضه عدة مرات خلال الليل.

قال الرقيب بيفي: هو على حق يا سيدتي.

ثم ودَّعهما الرقيب بيفي ومشى لجانب المنزل حيث يوجد حصانه ولم تتحرك السيدات حتى اختفى صوت أقدام حصانه.

سألت "في": أين د.بومان يا سيدة أوفلاهرتي؟ والغريب الذي ساعده؟

أجابت السيدة أوفلاهرتي بحزن: الغريب غادر دون أن يُخبرنا باسمه مثلما فعلت الشابة التي ذهبت لمركز البوليس. بالرغم من محاولتنا الكبيرة لمعرفته. لكنه سمح لي أن أملأ له سلةً بالطعام وأخذها معه لعائلته. طلبت منه أيضاً أن ينتظر حضورك لكنه لم يوافق على هذا أيضا. ظننت في البداية أنه محرج لكني سرعان ما اكتشفت أنه خائف.

قالت "في" بدهشة: خائف منّا؟

أجابت السيدة أوفلاهرتي: ليس بالضبط. لكنه كان خائفاً من وجوده

هنا- من أن يُرى داخل الإرسالية.

ثم أشرق تعبير السيدة أوفلاهرتي وقالت: أما بالنسبة لد.بومان، فإنه بالداخل ينظف نفسه. لقد عدتُ لحظة الانتهاء من إخماد الحريق وبالكاد استطعت التعرُّف على بطلنا فقد كان مُغطى بالدخان والرماد والماء.

وجاءها صوتاً فرحاً من خلفها يقول: أرجو أن تستطيعي التعرف عليّ الآن. قالها الطبيب وهو يدخل إلى الشرفة وأكمل: غسلت وجهي وشعري ونظفتُ يديّ لكني للأسف لا أستطيع عمل شيء بالنسبة لبذلتي.

فقالت السيدة أوفلاهرتي بابتسامةٍ عريضةٍ أظهرت سنُّتها الذهبية: تبدو رائعاً بالنسبة لي أيها الشاب. تعالوا للداخل ودعونا نأكل. لأنك تستحق أكثر بكثير من وجبتك اليوم يا د.بومان.

استأذنت "في" لأخذ جوادها وعربتها للإسطبل، وحين وضعت الحصان في مربطه لاحظت وجود مهر د.بومان في المربط الثاني، فوضعت بعض الحبوب أمام كليْهما. ثم ذهبت لترى مدى الخسارة التي لحقت بالسقيفة التي أدركت أنها لم تكن شديدة السوء. فالنار أشعلت على جانب السقيفة- بعيداً عن الرؤية المباشرة لمن يمرون بالشارع. الحائط الخارجي غُطِّيَ بالسواد والطلاء الجديد تقشَّر وتقرَّح. ولاحظت احتياج العديد من الألواح الخشبية للتغيير. لكن من حسن الحظ أن النار لم تصل لسقف السقيفة. لأنها لو كانت وصلت لكانت النار وصلت سريعاً للإسطبل. وحين نظرت للأرض المبتلة من الماء المسكوب من الجرادل في محاولة إطفاء الحريق رأت نشارة وبقايا الخشب التي قال لها عنها الرقيب بيفي، وأيضا بعض من قطع القماش البالية المشحَّمة وورق جرائد مقطَّع لم يحترق. فتخلصت من تلك النفايات المحيِّرة.

ورفعت صلاة سريعة وهي تتجه عائدة للمنزل قائلة: أشكرك يا ربنا العزيز على حضور ذهن د.بومان وسرعة تصرُّفه. وأشكرك على الغرباء الذين خاطروا بأنفسهم ليساعدونا. من فضلك باركهم جميعاً بمحبتك الغامرة وحمايتك، وامنحنا قوّتك لمواجهة كلّ المحن التي ستواجهنا في المستقبل.

ثم فكرت في آية من أيوب 12 قائلة: يَكْشِفُ الْعَمَائِقَ مِنَ الظَّلاَمِ وَيُخْرِجُ ظِلَّ الْمَوْتِ إِلَى النُّورِ.

وأكملت صلاتها قائلة: ساعدنا يا رب بكشف حقيقة من يريدون الإضرار بمنزل السامري. أرجوك اِرفع هذا الغمام حتى نستطيع المضيَّ قُدماً في أداء عملك الصالح.

كان الحريق بالطبيعة موضوع الحديث على الغذاء. وأخبرهم د.بومان عن كل ما حدث. وأنه لم يرَ أحداً بقرب السقيفة قبل اندلاع الحريق، لكنه كما قال الرقيب بيفي، مقتنع أنَّ الحريق متعمداً. ووافقوا جميعاً على إخبار أنوك وكريستين بما يعلمون بالضبط، وإخبار الصغار بأن الحريق كان حادث. لأنهم لم يريدوا أن تُصاب البنات بالخوف.

كان د.بومان، الذي كان يجب أن يكون مجهداً ومتعباً من المجهود الذي بذله في إخماد الحريق، في قمة النشاط والحيوية. ورفض أن يغادر منزل السامري قبل عودة آل ريف. وحين انتهوا من تناول طعامهم ساعد السيدة أوفلاهرتي و"في" فى تنظيف المائدة وجلس معهن وهن يغسلن الأطباق.

ذكرت "في" نيَّتها في اطِّلاع البوليس عن وجود الفتاتين معها وقالت: كان من الممكن أن أخبر الرقيب بيفي لكنه طار من عقلي ماإن سمعت عن الحريق.

طلب د.بومان منها السماح له بالعودة بعد ظهر اليوم التالي ليصطحبها لمركز الشرطة فقبِلت عرضه بامتنان.

قالت السيدة أوفلاهرتي مازحة: ستنتقل للإقامة معنا قريباً يا دكتور. فحجرة الطباخ لازالت فارغة.

أجاب د.بومان: أخشى ألاَّ توافق صاحبة المنزل الذي أسكن به على هذا أبداً. إنها سيدة عزيزة لكنها مليئة بالآلام والتأوُّهات. ويسعدها جدا وجود طبيب في المنزل، وهي تعاملني معاملة خاصة جداً مقابل نصائحي المهنية.

وربَّت على كمِّ قميصه الذي أصبح رمادياً من الدخان والأتربة وقال: لديَّ ثقة كبيرة من أن هذا القميص سيكون غدا أبيض مثل الثلج ومكوياً وفي أحسن أحواله. ولأردَّ المعروف علي أن أقضي وقتاً طويلاً فى مناقشة

الألم المُبرح الذي في كتفيها وضعف ركبتيها والتهاب قدميها.

سألت "في": هل هي مريضة حقاً؟

أجاب د.بومان بابتسامة واسعة: سليمة مثل الحصان. لكنيّ لا أضنُّ عليها بوقت نقضيه في الحديث معاً، لأنها سيدة طيبة وكريمة بمعنى الكلمة. فقدت زوجها في الحرب وابنها الوحيد في حادث منذ بضع سنين. وبطريقة صغيرة، أعتقد أنها تبنَّتني لتساعد نفسها على ملء فراغ حياتها الذي أحدثه وفاتهما.

لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى عاد آل ريف وتانسي وماريجولد. وبسرعة شرحت "في" حادث الحريق. وأخذت السيدة أوفلاهرتي البنات وجاكوب للخارج ليرُوا ما حدث للسقيفة. وأعلم د.بومان حينها أنوك وكريستين بما حدث بالفعل بما فيه الدليل على أن الحريق كان متعمَّداً. وأضافت "في" تعليق الرقيب بيفي عن أصحاب الفندق واحتمال اهتمامهم بفشل الإرسالية. فأصبح من الواضح أمام الجميع الآن أن أحدهم يحاول ترويع سكان منزل السامري وجعلهم يرحلون عن ويلدوود.

فأعلنت "في" بسخط: حسناً، إنهم لن ينجحوا في هذا. فأنا ابنة أبي، واتَّبع مِثاله. وهو لم يجبُن أمام أل"كو كلاكس كلان". وأنا بالتأكيد لن أخضع لإرادة بعض من أصحاب الحانات! أيا كان ما بذهنهم وينوون عمله. ويجب أن نذكر جميعاً كلمات الملك داود : الإِلهُ الَّذِي يُعَزِّزُنِي بِالْقُوَّةِ، وَيُصَيِّرُ طَرِيقِي كَامِلاً.

وضربت بقبضتها على المائدة بشدة لدرجة أن بعض الأواني قعقعت ووقعت ملعقة كبيرة على الأرض. كان يمكن أن يكون مشهداً ضاحكاً. لكن إصرار "في" كان حقيقياً جداً وواقعياً جدا لدرجة أنه لم يشك أحد في جديَّتها. أما لأنوك وكريستين فكان الأمر وكأنهم يرون ويسمعون إدوارد ترافيللا نفسه. لقد سمعوا الأب في صوت ابنته وشاهدوه في وضع فكَّيها وبريق عينيها. فقد كانت مستعدة للدخول في معركة من أجل الإرسالية وهم أيضا.

تمكَّن د.بومان لاحقا حين ذهب ليأخذ حصانه من التحدث مع أنوك على انفراد وأسرَّ إليه بشكوكه حول الرجل القصير الذي رآه في قطعة الأرض المقابلة للإرسالية يوم الجمعة الماضي.

فقال وهو يسرِج حزام حصانه: ربما أكون متخيلاً لكني لا أستطيع التخلص من الإحساس بأنه كان يراقب هذا المنزل.

فكَّر أنوك لعدة لحظات ثم قال: كان أحدهم يراقبنا عن كُثب كافٍ ليعلم بأن جميعنا في الخارج هذا الصباح.

اعترض الطبيب قائلاً: لكني كنت هنا.

قال أنوك: لقد حضرت من الطريق الخلفي ولم تكن تقود عربتك اليوم. فإذا كانوا يراقبون الباب الأمامي، فأنهم لن يتمكنوا من رؤيتك. لقد قُدت العربة للباب الأمامي لأخذ السيدة أوفلاهرتي والبنات. ثم أوصلت السيدة أوفلاهرتي للكنيسة وذهبنا نحن لبوكستاون. ويستطيع أي شخص عبر الشارع أن يرى رحيلنا. كما أنهم يعلمون أن الآنسة فيوليت تكون خارج المدينة كل يوم أحد. أعتقد أنهم لم يروْك آتياً من البوابة الخلفية وهذا ما منحهم الجراءة الكافية لإشعال الحريق في ضوْء النهار. فهذا سيكون خدعة قوية جداً يا سيدي. أن نجد السقيفة وربما الإسطبل محروقين تماما حين نعود من الكنيسة.

فقال د.بومان بنبرةٍ رزينة: حسنا، يجب أن نفتح عيوننا جيدا. أنا لم أذكر أمر الرجل القصير لأحد غيرك، لأني لا أرى ضرورة لإقلاق السيدات بسبب شعور غامض من جانبي لا غيْر.

وافق أنوك قائلاً: لا حاجة لهذا يا سيدي. على الأقل، ليس الآن.

لم تحدث في الأيام القليلة التالية أي أحداث من هذا النوع. وذهبت "في" مع د.بومان لمركز الشرطة المحلي كما اتَّفقا بعد ظهر اليوم التالي وأبلغت عن وجود البنات معها. ووجدت أنه لم يقم أحد بإبلاغ الشرطة عن غيابهما. ووعد الكابتن الذي تحدثت معه "في" والدكتور بإعلام الإرسالية إذا وصلته هو أو أحد ضباطه أيَّة أخبار.

كتبت "في" لإد تخبره عن الحريق حتى تفي بوعدها له وتركت له أمر إخبار والدتهم بما حدث وذلك لحسن حكمته. لم تكن "في" تودُّ أن تخفي عن والدتها أيَّة أسرار لكنها لم تُرد أيضا أن تسبب لها إزعاجاً غير ضروري.

حضر هارولد وهربرت في اليوم التالي للإرسالية بعد الخروج من مدرستهم. وقال هارولد: وصل خطابك لإد بالأمس قبل الإفطار فأخبرنا

عن الحريق وطلب منّا أن نأتي إليك لنراك ولنطمئن عليك.

أضاف هربرت: لم يستطع إد المجيء لأن لديه شيئاً يقوم به هو والبروفسور هذا الأسبوع- زيارة بعض الناس في جامعة خليج أنديانا على ما أظنّ. فوجود البروفسور ريموند معنا ممتع ومبهج بحق. ظننت في البداية أنه متحذلق بعض الشيء لكنه شخص رائع وقصصه حول الأماكن التي قام بزيارتها أكثر من رائعة.

سأل هارولد أخته: هل أخبرك بأنه سيذهب في بعثة للمكسيك الصيف القادم؟

وحين قالت "في" أنها لا تعلم، أخبرها التوأم وبلهفة بالمعلومات مفصلةً. فقالوا بأنّ البروفسور سيعمل مع عالم آثار يبحث عن بقايا ثقافة الأمريكيين الشماليين القدامى.

سألت "في": هل هذا عمل خطر؟

قال هربرت بنبرة إثارة: قد يكون، لأنهم سيذهبون إلى أعماق الغابات على ما أعتقد، لكن يا لها من مغامرة!

قال هارولد: إنه سيغادر أيون يوم الجمعة القادم كما تعلمين، وسيذهب لبوسطن لرؤية أبنائه. ترى لماذا لا يحيا أبناءه معه؟

أضاف هربرت بتنهيدة صغيرة من خيبة الأمل: ربما لأنه يسافر كثيراً. أعلم أن أيون ستكون شديدة الهدوء بعد رحيله.

ثم تحدثوا عن أشياء أخرى قبل أن يغادر التوأم. وأخبرتهم "في" عن نيّتها في زيارة قسس الكنائس المحلية والسعي للحصول على تعضيدهم. وأطلعتهم أيضا بتفاصيل الحريق وأرتْهم السقيفة التي كان أنوك قد أصلحها ودهنها. وتمنّت أثناء توديعها لهما أن يكون تقريرهم لإد مطمئناً له.

ووجدت نفسها تفكر أيضا في البروفسور ورحيله الوشيك. واعتقدت أنها لن تراه ثانية. لكنها رفعت صلاة لله من أجله ليحفظه في رحلة عودته لمنزله ولسلامته في كل رحلاته القادمة أينما ذهب.

الفصل

١٢

اختبار للشجاعة



أَمِينٌ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي سَيُثَبِّتُكُمْ وَيَحْفَظُكُمْ مِنَ الشِّرِّيرِ

٢تسالونيكي٣:٣



مرَّ باقي الأسبوع بسلام. وقامت "في" والسيدة أوفلاهرتي بزيارة قس الكنيسة التي قامت السيدة أوفلاهرتي بحضور خدمة يوم الأحد بها الأسبوع الماضي. وتشجعوا جداً من رد فعله لأهداف منزل السامري.فقد قال القس أنه سيُطلع أعضاء كنيسته بأمر العيادة. وقالت زوجته أنها مسرورة جداً لسماعها عن نيتهم لافتتاح فصول مدرسية في الشتاء لدرجة أنها تطوّعت لمساعدتهم حين يحتاجونها.

أخبرت "في" أخيها إد في خطابها أنها لن تذهب لأيون عطلة نهاية الأسبوع القادمة لأنها ستقوم بزيارة أحد الكنائس المكتوبة في قائمة السيدة لانسينج. وصلَّت "في" لأجل أن يكون استقبالهم لها بمثل استقبال الكنيسة الأولى.

أتت السيدة نلسون زوجة تاجر الأقمشة وأختها الآنسة كران لزيارة الإرسالية هذا الأسبوع. وكانتا سيدات ظريفات بحق بالرغم من مشاركتهما للسيد نلسون في حب نشر الإشاعات. ومنهن علمت "في" والسيدة أوفلاهرتي وأميلي الكثير عن مجتمع ويلدوود. وأظهرت كلٌ من السيدة نلسون والآنسة كران كرههما الشديد لأصحاب الفنادق والحانات ومثيلتها من الأعمال.

وأسرّت لهم السيدة نلسون قائلة: كوني على حذر بشكل خاص من السيد كلنش، لأنه مالك فندق ويلدوود وهو رجل قوي بحق. فمنذ سنوات قليلة حاول مارفن- السيد نلسون- البدء في إقامة اتحاد لأصحاب المحلات. مجموعة كما تعلمين تحاول تنظيف شارع ويلدوود وتنمية الحي. حسنا، لقد أوقفه السيد كلنش بسرعة كافية.

سألت أميلي: كيف فعل هذا؟

أجابت السيدة نلسون: لا شيء علناً. ثم اقتربت في جلستها منهم وقالت بسخط: لم يقل كلنش كلمة لزوجي، مثلما يفعل أي شخص أمين. لكن تابعه الأمين- الرجل الفظيع القصير المدعوٌ جيس جنكنز الذي يرتدي قبعةً دائريةً أيضا- قام بزيارة أصحاب المحلات الآخرين. لم يخبرنا

أحد عما قاله لهم، لكن فجأة أصبح لا يرغب أحدٌ في الانضمام للاتحاد. حسنا، مارفن- السيد نلسون- يعلم جيداً عدم وجوب مضايقة السيد كلنش، لذا أسقط الفكرة من مخيّلته مثلما يسقط الفحم الساخن.

قالت الآنسة كران بصوت منخفض قلق: لقد قام السيد كلنش بإخراج العديد من الناس مثلكم خارج ويلدوود. إنه شرير بكلّ معنى الكلمة يا آنسة ترافيللا وهو يريد أن تظل ويلدوود كما هي. يجب أن تكوني حريصة على الابتعاد عن طريقه. يجب أن أخبرك بهذا. قالت الجملة الأخيرة بهزةٍ عليمةٍ من رأسها.

غادرت كل من السيدة نلسون وأختها الآنسة كران بعد أن قالتا هذه المعلومة مباشرة تاركين سيدات منزل السامري لحيرتهن.

سألت "في": هل تعتقدون أن السيد كلنش هذا وراء متاعبنا؟

قالت السيدة أوفلاهرتي: ربما بالرغم من وجوب عدم تسرعنا في الحكم. فأنا أكره إدانة أحد بناء على إشاعة محلية.

بدأت أميلي حديثها قائلة: لكن ما قالته السيدة نلسون عن الرجل القصير ذى القبعة الدائرية...ثم توقفت ورأسها يصارع مع فكرة واتتها لعدة لحظات.

فسألت "في": ماذا؟

قالت أميلي ببطء: أعتقد أني رأيته. لقد رأيت شخصاً تتطابق مواصفاته مع هذا الوصف في قطعة الأرض المقابلة للإرسالية. لأني أستطيع رؤية قطعة الأرض من نافذة حجرة العيادة الأمامية بشكل جيد وأحياناً أتطلّع من خلالها ولا يمكنني سوى تخيل كم ستكون ملعباً رائعاً للأطفال. فهى مهملة بشكل فظيع ومليئة بالحشائش البرية والنفايات، لكن-.

فانفجرت "في" بنبرة غير صبورة ونصف مفكرة قائلة: لكن الرجل! الرجل في القبعة الدائرية؟ هل رأيته؟

أجابت أميلي: عدة مرات. لقد رأيته هناك مع رجلين أو ثلاث شباب. لكنه لا يبقى لفترة طويلة بينما يبقى الآخرون. ربّما لأنهم يتسكّعون ويشربون السجائر أحيانا طوال النهار. كنت أعتقد أنهم مجرد عاطلين وليس لديهم شيءٌ ليقوموا به- مثل الرجال الآخرين الذين أراهم كثيراً

في الشوارع. لكن الآن بعد أن فكرت في الأمر. يبدو أنَّ الرجل ذو القبعة الدائرية هو الذى يُحضرهم لقطعة الأرض الفارغة.

قالت السيدة أوفلاهرتي: تُرى هل يوجد أحد منهم هناك الآن؟

هرعت السيدات الثلاث للعيادة وتجمَّعن حول النافذة الأمامية لها. لأنها بالتأكيد ستمنحهم منظراً كاملاً لقطعة الأرض الفارغة، لكن بدلاً من عدة رجال، رؤوا واحداً فقط جالساً على قطعة مكسورة من حائط، وظهر وكأنه يراقب المارين. كان رجلاً قصيراً بملابس سوداء ويمسك في إحدى يديه بقبعة سوداء تُشبه الوعاء ويلمِّعها بين الحين والحين بكمُ معطف اليد الأخرى.

فقالت "في" هامسة وكأنها خائفة من أن يسمعها الرجل: يجب أن نخبر أنوك عن هذا. يا إلهي، أتمنَّى ألاّ أكون منفعلة بزيادة. لكن يجب أن نخبر أنوك.

لم يظهر الرجل القصير في اليوم التالي في قطعة الأرض الفارغة كما لم يوجد رجال غيره أيضا. كانت أميلي حريصة على مراقبة المنظر من العيادة كثيراً، ووضع أنوك عينيه على قطعة الأرض طوال النهار، لكنه لم يرَ شيئاً مريباً.

قالت السيدة أوفلاهرتي آملةً حين كانت هي و"في" تعدّان وجبة الغذاء: ربما يكون مجرد مكان تجمع لبعض الرجال الفقراء والعاطلين. كماأعتقد أنها ستمطر اليوم لأنَّ السماء ملبّدة بالغيوم ورمادية. وبالتالي سيجتمع الرجال اليوم في مكان داخلي.

عبَّرت "في" عن موافقتها، بالرغم من أنها لم تستطع التخلص من مشاعر مبهمة بأن منزل السامري يُراقب. وشعرت بهذا منذ رأت الرجل القصير ذا القبعة الدائرية. وفكرت بأنَّ عدم عودته لم تِرحها سوى قليلاً.

فسألت محاولة أن تريح عقلها من أفكارها المزعجة قائلة: هل ستذهبين أنت والبنات للتمشية بعد تناول الغذاء؟

قالت السيدة أوفلاهرتي: إذا لم تمطر. كنت أفكر في الذهاب حتى محل البقال وأودُّ أن أسأله إذا كان لديه قرع شتوي للبيع اليوم. ومع هذا فأني أرحِّب بالمطر إذا أتى. فكل شيء كان جافاً هذا الخريف. هل لاحظت كم الأوراق التي تحوّلت بسرعة للون البني وكم عدد الأشجار

العارية؟ أتمنى ألاّ يُنبئنا هذا بشتاء قارس.

علقت "في": إن الشتاء البارد يعتبر قاسياً بشكل خاص على الفقراء.

قالت السيدة أوفلاهرتي: حسنا، سيوجد لديهم هذه السنة منزل السامري ليلجأوا إليه.

قالت "في": لو فقط يثقون بنا. فأنا لا أتحمَّل فكرة أن يستمر أحد في معاناته بسبب عدم إحساسه بالأمان حين يأتي لأبوابنا.

قالت السيدة أوفلاهرتي: سيحدث يا "في" لكن يجب علينا أن نكون صبورين. ثم اقتبست آية غلاطية 6: 9 " فَلاَ نَفْشَلْ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ لأَنَّنَا سَنَحْصُدُ فِي وَقْتِهِ إِنْ كُنَّا لاَ نَكِلُّ". نحن لا يمكننا إجبار أهل ويلدوود على المجيء إلينا يا ابنتي. وأكملت قائلة: كل ما علينا هو المضي قدماً مع ما نعرف أننا دعينا للقيام به هنا في الإرسالية. أن زيارة السيدة نلسون والآنسة كران بالأمس تعتبر بداية جيدة. وفي كل مرة نسير في هذه المنطقة، وكل زيارة نقوم بها للمحلات المحلية، وكل مرة نبتسم ونحيي جيراناً يمرون في الشارع- حتى من لا نعرفهم- نحن نبني الثقة. أنها عملية بطيئة لكنك كنت تفهمين هذا حين شرعت في الإرسالية.

تنهَّدت "في" وقالت: كنت أعلم يا سيدة أوفلاهرتي، ومع هذا، لازلت أشعر بأني طفلة تنتظر بداية حفل عيد ميلادها. وكم أودُّ أن تفتح الإرسالية أبوابها ويأتيها الجميع.

قالت السيدة أوفلاهرتي بابتسامة: أبانا السماوي يفهم عدم صبر البشر. ويعرف مدى صعوبة الانتظار. إنَّ الحصاد آتٍ يا ابنتي. انتظري فقط وسترَيْن.

اندفعت تانسي وماريجولد عند هذه اللحظة داخلتين المطبخ تتبعهما أميلي.

وأعلنت ماريجولد وهي تمسك بشكلين من الكرتون لابسين قطع قماش برّاقة الألوان قائلة: أليسوا مبدعين؟

وبينما كانت الفتاتين تعرضان إبداعهما للسيدة أوفلاهرتي، همست "في" لأميلي قائلة: هل رأيت شيئا؟

فأجابت أميلي بنفس نبرة الصوت الهامسة: لا شيء سوى قطعة أرض

فارغة. ربما سمحنا للسيدة نلسون بترويعنا دون سبب.

وافقت "في" قائلة: نعم، ربما فعلنا هذا. لكن مشاعرها لم تتجاوب مع كلامها، وأجبرت نفسها على الابتسام حين استدارت للصغيرتين قائلة: أرجو أن تحبوا الحِساء الايرلندي. فالسيدة أوفلاهرتي علمتني كيف أطبخه.

أجابت ماريجولد بابتسامة عريضة مشرقة تُنير أحلك الأيام سواداً: سيعجبني لأنك من طبخه.

أسودَّت السماء أكثر بعد الغذاء، لكن السيدة أوفلاهرتي ظنت أن الدنيا لن تمطر قريباً وستسمح لها بالذهاب مع البنات للتمشية التي خططوا لها. لذا أرسلتهم بعد الغذاء لحجرة نومهم ليحضروا ستراتهم الدافئة وقبعاتهم، وذهبت هي للشرفة الأمامية لتنتظرهم. ونظرت إلى قطعة الأرض المقابلة للمنزل بعينيها. ولم تستطع رؤيتها بالكامل لأن السياج حجب جزءاً من المنظر. لكن المكان الذي قالت أميلي أن الرجال يتسكعون به عادة كان خالياً. لا شباب ولا رجل ذا قبعة دائرية. ورأت السيدة أوفلاهرتي أنوك على مقربة من الباب الأمامي يقلِّم بعض الشُجيرات التي سقط ورقها وفقدت أزهارها. وعلمت السيدة أوفلاهرتي أنه أيضا يراقب وجود دُخلاء.

أتت الفتاتين للخارج لمقابلتها وهي أخذت بيد كل منهما ومشوا عدة خطوات نازلين سلالم الشرفة، وما أن وصلوا لعدة ياردات قرب البوابة الأمامية حتى أدركت السيدة أوفلاهرتي أنها نست مظلتها الكبيرة فقالت لهما: انتظرْن هنا يا بنات. وأنا سأغيب لحظة فمظلتي بقرب الباب.

وأسرعت للداخل بعد أن تأكدت من وجود أنوك في مكانه لتجد "في" بالصالة الداخلية، فضحكت قائلة: نسيت مظلتي، ومن المؤكد أنها ستمطر علينا لو لم نأخذها.

قالت "في": إنها هناك على الرف. أرجو ألاَّ تمطر من أجلك وأجل البنات لأنهم يستمتعون بالتمشية. أضافت الجملة الأخيرة وهي تُشرع في صعود السلم.

لم تكد "في" تصعد سلمتيْن حتى سمعت صرخةً مدويةً تلتْها مجموعة من الصرخات القوية الخائفة أدركت فيها أنها من البنات، لأنها

إرسالية فيوليت الجريئة

استطاعت تمييز صوت تانسي تصرخ: النجدة، لا! لا!.

هرعت "في" نازلة السلم ومنه إلى الباب الأمامي ووراءها مباشرةً السيدة أوفلاهرتي حيث رأتا على نهاية الطريق الداخلي للمنزل منظراً مروّعا. رجلان يتصارعان مع أنوك وثالث يمسك بذراعي الفتاتين اللتان تصارعان للتخلص من قبضته. ضرب أنوك أحد الرجلين بقبضته فطار في الهواء ثم وقع وقعةً مهولةً على حصى الطريق. ثم استدار أنوك وحاول انتشال الفتاتين فخلص تانسي من الرجل الثالث ودفعها للأمان. ثم حاول تخليص ماريجولد. لكن الرجل الثاني، الذي لم يُضرب هرع خلف أنوك وأمسك بقاطع الأشجار الذي لأنوك ويمثل الهرّاوة لأن أمواسه مغلقة ورفعه بيده، ليضرب به أنوك على رأسه وكتفيه. صرخت "في" لأنوك صرخة تحذير، لكن بدت كلماتها وكأنها معلقة في الهواء لأنّ الهراوة ضربته.

وقف أنوك مستقيماً وثابتاً للحظة ونظر حوله في السماء ثم هوى على الأرض.

هرعت "في" نحو الرجال. والسيدة أوفلاهرتي التي كانت وراءها مباشرة صرخت لتانسي بالابتعاد والدخول للمنزل. فتحركت تانسي نحوها وعيناها مذهولتان من الرعب. وصرخت السيدة أوفلاهرتي ل"في" قائلة: أن ماريجولد معه!.

فصرخت "في" رداً عليها: سآتي بها. اهتمى أنت بأنوك!

خرجت أميلي في هذه اللحظة من المنزل وهي تهرع نحو أنوك الذي كان ملقى بلا حراك على الطريق الداخلي للمنزل.

لم ترَ "في" سوى الرجل الثالث الذي رفع ماريجولد الصارخة بشدة ووضعها على كتفه مثل جوال حبوب وجرى في الشارع. كانت أفكار "في" متنافرة لكنها جرت بسرعة شديدة لم تجرِ بها أبداً من قبل طوال عمرها. وكادت عدة مرات تسقط بسبب طول تنّورتها لكنها رفعتها لأعلى حتى ركبتيْها وجرت بسرعة أكبر.

كان الرجل سريع وخفيف الحركة، وكان من السهل عليه جدا الهروب من "في" لكن كانت ماريجولد تلكِزه بقدميها وتشدُّ شعر رأسه الأسود وتضرب ظهره بقبضتها- وتصرخ طول الوقت بكل قوتها- مما عطّله،

لكنه كان لا يزال أسرع من أن تلحق به "في".

لم تكن "في" تدرك أنها هي أيضا كانت تصرخ بكل قوتها مرة تلوَ الأخرى: خاطفين! خاطفين!

ظهرت أوجُه فضولية كثيرة من نوافذ المنازل المهدَّمة والبالية لشارع ويلدوود. بدأ الناس في الخروج - ربما لمساعدتها- لكن حين رؤوا الخاطف تراجعوا وذابوا بعيداً في ظلال الخوف. فجيس جانكنز كان معروفاً للجميع حتى دون قبعته الدائرية.

لم ترَ "في" أياً من هذا. فقد كانت في سعيٍ محموم للحاق به وهرعت مجمع مباني والثاني والثالث متجهين نحو المركز التجاري لشارع ويلدوود. وفجأة استدارت عربة نحو الشارع من الطريق الجانبي وكادت تدوس "في" تحت أقدام الحصان. لكنها غيرت اتجاهها متحاشيةً الحصان. فاصطدمت ببعض الحجارة وسقطت بقوة على يديها وقدميها. كان الألم حاداً وقوياً لكنها لملمت نفسها وقامت بسرعة وعاودت جريَها.

وحين دخلت منطقة الأعمال التجارية لم تستطع رؤيته في أي مكان فتساءلت: أين الرجل؟

فملأت صلاة عقلها المشوش: أوه، يا رب، لا تدعني أخيِّب ظن ماريجولد! أين هي؟ أي طريق يجب أن أسلك؟ ساعدني من فضلك يا رب! من فضلك أرِني الطريق!

ونظرت حولها. حيث رأت متجر السيد نلسون وعبر الشارع فندق ويلدوود.

هرعت "في" نحو الفندق وعنده سمعت شيئاً. فوقفت صامتة عن بُعد منصتةً لما سمعت.

كان صوت ماريجولد!لقد رنَّ صوت الفتاة من خلال الباب المفتوح للفندق وسمعتها "في" تقول: دعني أذهب! دعني أذهب! يا شرير! دعني أذهب الآن!

قفزت "في" سلالم الفندق صاعدةً ثم دفعت بابه. متوقعة أن ترى ماريجولد والرجل، لكن كان الاستقبال فارغاً إلا من كاتب الفندق جالساً خلف مكتبه ولم يرد عليها حين سألته صارخة عن ماريجولد والرجل

القصير إلا بهزٍّ كتفيه محاولاً أن يبدو مشغولاً.

ثم سمعت صوت صراخ ماريجولد مرةً ثانيةً من خلف باب مكتب ذي باب زجاجي. فدفعته "في" ودخلت لترى نفسها وجهاً لوجه مع رجل يحمل ماريجولد وتصارع معه وهو يحاول إخماد صراخها بوضع يده على فمها. فأمرته "في": إياك أن تلمسها! فوجئ الرجل بدخولها فأطلق ماريجولد وهرعت الفتاة ل"في" لتربُض عند قدميها. وبوجود الفتاة بجوارها، أدركت "في" حين نظرت للرجل أنه لم يكن الخاطف، انه ليس الرجل القصير السريع الذي جرت خلفه طوال الخمس مجمعات البنائية. كان هذا أطول وأكبر ومرتدياً ملابس رجال أثرياء. وكما كانت "في" تتأمّله كان هو كذلك.

وقال بصوت أجشّ وهو يمسح جبينه بمنديله: ليس لك شأن هنا يا سيدة. فهذه الفتاة ليست من شأنك.

أجابته "في" بالمثل قائلة: إنها شأني تماماً. ثم من أنت لتسرق طفلة من حاميها؟

تجاهل الرجل السؤال لكن ماريجولد هزّت تنورتها وأسرّت لها بصوت مبحوح قائلة: إنه السيد جرير. السيد جرير الكبير الشرير.

فقال الرجل ساخراً: هذا صحيح. أنا ابنيزيز جرير من بثل في جنوب كارولينا. وأنا الوصي الشرعي لهذه الفتاة وأختها.

قالت "في" التي كانت تتنفّس بصعوبة من طول الجري الشديد والغضب الظاهر على وجهها: أنا لا أصدقك. ثم بسرعة عدّت لعشرة وخفّضت صوتها وقالت: إن والدة ماريجولد هي الوصية عليها ونحن نبحث عنها.

احمرّ وجه السيد جرير بشدة من الغضب وصرخ فيهم قائلاً: إن والدة الفتاة-.

وأوقف نفسه فجأة ومسح جبينه مرة أخرى وقال: إن والدة الفتاة مريضة ومنحتني الوصاية الشرعية على بناتها حتى تستعيد صحتها مرة أخرى.

نظرت ماريجولد لأعلى نحو "في" بحيرة و"في" ضغطت على كتفها برقة وكلمت السيد جرير قائلةً: إذا كان ما تقوله حقيقي. لماذا تسرق البنات؟

اختبار الشجاعة

هل لديك دليل على ما تقول؟ سألته بنبرةٍ قاسيةٍ قسوة الحجر.

فقال الرجل بثقة: لديَّ. والمستندات في حقيبتي بالحجرة.

"إذاً ليس لديك أي صفة أو حقٍّ رسميٍّ ما لم تقدِّم الدليل". كان هذا صوت رجل وقف خلف "في".

أدارت "في" رأسها لترى من خلفها. فكان آخر شخص يمكن أن تتوقَّع وجوده في هذا الوقت والمكان- إنه البروفسور مارك ريموند.

وأكمل البروفسور قائلاً: يجب أن تثبت من أنت وما تقول. وأشك في أن ورقة من جنوب كارولينا ستكون كافية للبوليس هنا، في ضوء محاولاتك لخطف هذه الفتاة. لأنه إذا كان لديك وثيقة رسمية بهذا فسيكون من الضروري التأكُّد من صحتها قبل أن يسلم أحد هذه الفتاة لوصايتك.

قال السيد جرير متلفظاً بسرعة: البو- بوليس. من أنت يا سيد لتشكُّك في مصداقيتي؟

قال البروفسور بهدوء وصلابة: أنا صديق للآنسة ترافيللا وعائلتها. وأنا هنا لأرافقها وهذه الطفلة لتعودا للمنزل. وأنصحك إذا كان لديك أي طلب أن تذهب به للبوليس. ووكِّل لنفسك محامياً ماهراً يا سيد، لأنَّ سرقة طفلة صغيرة والاعتداء على خادم الآنسة ترافيللا جريمتان خطيرتان. وأنا متأكد من أن السلطات الرسمية ستودُّ التحدث معك سريعاً جداً.

احمر وجه السيد جرير بشدة من الغيظ وأخذ خُطوة للأمام نحو "في" وماريجولد، لكن البروفسور تحرَّك ليقف بينهم في الحال. فعلى على الرجل الآخر بطوله، فخطا السيد جرير خطوة للخلف صادماً منصَّة نبات صغير ضارباً إياه ليوقعه على الأرض ويكسره.

لم تستطع "في" رؤية وجه البروفسور، لكنها كانت متأكدة من أنه كان يبتسم وهو يقول للسيد جرير: يا للعار. أنا أعلم أن صاحب الفندق سيود إضافة ثمن هذا الكسر على فاتورتك يا سيد.

استدار البروفسور نحو "في" والفتاة وبسرعة قادهما لخارج الحجرة، ومنها لاستقبال الفندق، ومنها للشارع. حيث كان في انتظارهم حصان مسرَّج عرفت "في" على الفور أنه مهرها المفضَّل من أيون.

ارتعشت "في" لهبوب ريح باردة. ودون قول كلمة، خلع البروفسور سترته ووضعها حول كتفي "في". ثم رفعها على الحصان المسرج ورفع ماريجولد لأعلى وسلمها لها. فسكنت الفتاة الصغيرة مطمئنة تجاه "في" وأغمضت عينيها.

سأل مارك بهدوء: هل أنتما بخير؟

أجابت "في": نعم، أظنُّ هذا. فقد مرَّ كل شيء بسرعة شديدة لدرجة أنها نست يديها وركبتيها الدَّامية.

أخذ البروفسور بمقود الحصان وبدأ يقود الحصان في اتجاه منزل السامري.

وشرح في الطريق سبب ظهوره الغير طبيعي أو متوقَّع في حجرة الفندق. فقال: يغادر قطاري المدينة الليلة. وأتيت لهنا مبكراً بناء على طلب إد، لأوصل لك مهرك وبعض الأشياء الأخرى من والدتك.

ووصلت للإرسالية بعد رحيلك عنها بدقائق قليلة. وتأخرت قليلاً لمحاولتي فهم ما حدث. على فكرة، أنوك يتعافى. لقد أغمى عليه لكن ممرضتك لا تظنُّ أنه أصيب إصابة بالغة. وأرسلت في طلب الطبيب. وخادمتك...

فقاطعته "في" قائلة: مدبرة المنزل. واسمها كريستين وهي زوجة أنوك.

تنهَّد البروفسور قائلاً: آه، هذا يفسِّر دموعها، لأنها والممرضة تعتنيان به جيداً. ورفيقتك تهدِّئ من روْع الفتاة الأكبر.

سألت "في": من أرسلوا في طلب الطبيب؟

قال البروفسور: رفيقتك...

قالت "في": السيدة أوفلاهرتي-

قال البروفسور: نعم، السيدة أوفلاهرتي. سحبت ولداً من الشارع ومنحته دولار ليذهب للبوليس ثم يحضر الطبيب.يبدو أنَّ ذهنها حاضر جداً، لأنها منحت الولد ثمن تأجير عربة ووعدت بمنحه خمس دولارات أخرى إذا عاد بالطبيب. وهذا يعتبر ثروة صغيرة لولد فقير وبهذا ضمنت هي أنه سيؤدِّي المهمة في أسرع وقت ممكن.

فتحت ماريجولد، التي كانت تنصت طوال هذا الوقت للحديث،

عينيها وسألت: كيف حال أختي؟

نظر البروفسور للخلف وابتسم ابتسامة رائعة الجمال للفتاة الصغيرة لدرجة أن قلب "في" كاد يذوب من الامتنان والعرفان بالجميل.

قال البروفسور:هي بخير تماماً. لكنها ستسرُّ جداً لرؤيتك. أنا لديَّ طفلتان وأعلم كم تقلق كل منهما على الأخرى.

قالت ماريجولد وهي تستقر أكثر في حضن "في": أشكرك.

قالت"في": نعم، أشكرك شكراً جزيلاً يا بروفسور ريموند. أنا لست متأكدة من استطاعتنا الخروج من هذا الفندق دون وجودك. كيف عرفت أين ستعثُر علينا؟

قال البروفسور: هذا أيضا من أعمال السيدة أوفلاهرتي. بالرغم من كل ما حدث إلا أنها كانت صافية التفكير وحاضرة الذهن، وبطريقة ما استطاعت تخمين أن الرجل الذي أخذ الطفلة سيذهب بها إلى فندق ويلدوود، ووجهَّتني إليه. لكن الرجل الذي قابلته لم يكن نفس الرجل الذي وصفوه كخاطف للفتاة الصغيرة فقد قالت لي السيدة أوفلاهرتي إنه قصير ومُنحني وشاب.

قالت "في": يجب أن أفترض أن الخاطف كان يعمل لحساب السيد جرير. قالتها بصوت ضعيف وناعم لأنها شعرت فجأة بالإعياء الشديد.

قال البروفسور: حسناً، سنفكُ طلاسم هذا اللُغز لاحقاً، بعد أن يأخذ جميعكم قسطاً من الراحة.

أكملوا مشوارهم صامتين حتى وصلوا لبوابات منزل السامري، ليجدوا السيدة أوفلاهرتي وتانسي منتظرتان في الشرفة. حمل البروفسور ماريجولد ومنحت السيدة أوفلاهرتي ذراعها القوي ل"في".

وبدأ المطر الذي كانوا يتوقَّعونه طوال النهار في الهطول وهم يدخلون المنزل. بدأ بنقاط كبيرة نقَرت على زجاج النوافذ مثل نقرِ الأصابع ثم سرعان ما اشتدَّ ليصبح تياراً ثابتاً متدفقاً يغسل الأتربة والقاذورات بعيداً عن ويلدوود.

بالرغم من المطر الثقيل الذي كان ينبغي أن يبقي الناس في بيوتهم إلا أن خبر مطاردة الشابة من الإرسالية لجيس جنكنز عبر شارع ويلدوود

وإنقاذها للفتاة الصغيرة انتشر سريعاً بسرعة البرق في كل ركن من أركان ويلدوود.

وبما أنه لم يرَ أحد ما جرى في الفندق. افترضوا أولاً أن الفتاة قد واجهت جنكنز نفسه أو حتى السيد كلنش. وقالوا أن رجلاً طويلاً أخذها والفتاة الصغيرة عائداً بهم للمنزل، لكن مرَّ وقت طويل بين وصولها للفندق ووصول هذا الرجل لمعونتها. لذا افترضوا أن الفتاة واجهت جنكنز- أدنى وأحقر رجل في ويلدوود- وخرجت من عنده سالمة.

سرعان ما كان كاتب الفندق يُدلي بشهادته كشاهد عيان على ما حدث. وشرح وجود رجل من جنوب كارولينا- دفع لجنكنز ليخطف الفتاة و الغريب أنه هو الذي جادل الفتاة. لكن أناس ويلدوود فضلوا الأخبار الأولى من القصة-والتى تقول بأنّ الفتاة لرغبتها الشديدة في استرداد الطفلة الصغيرة دخلت الفندق -مثلما رُمي دانيال فى الجبّ الأسود- وغلبت جيس جنكنز واستردّت الفتاة الصغيرة.

لم تدرِ "في" أو أيٌّ من سكان منزل السامري شيء عن هذه الأحاديث الدائرة ، لكن في هذه الأمسية وليلتها أثناء تمرير الناس للقصة من فم لفم تحوّلت سيدة الإرسالية الفتاة لأسطورة في حي ويلدوود. لم يصدق بعض الناس القصة برمّتها. والبعض الآخر قال أنها لابد أن تكون مجنونة ويجب تحاشيها، لكن لمعظم الناس أصبحت "في" بطلة- شجاعة وجريئة فى صف الحق. والناس الذين عاشوا لسنين طويلة بويلدوود ابتسموا لأنفسهم قائلين: سيدة- فتاة، في الواقع- كان لديها الشجاعة للقيام بما لم يستطع أيُّ رجل القيام به من قبل. ربما تستحق إرساليتها المعرفة والانتباه. وربما، وهذا ما كانوا يرجوه، ستنجح فيما فشل فيه الجميع.

كان هناك حديث آخر مختلف تماماً يدور في مكتب خلف البار بالفندق. كان السيد كلنش جالساً على مكتبه وجيس جنكنز قابع فى ركن بجوار الحائط وابنيزير جرير يمشي في الحجرة ذهاباً وإياباً أمام مكتب كلنش.

صرخ جرير في كلنش قائل: رجُلك غبي! قال لي أنه يستطيع إحضار الفتيات دون أن يراه أحد، بنظافة مثل نظافة الصفارة. وهذه كلماته. ثم يأتيني بفتاة واحدة لهنا وخلفها مباشرة تلك السيدة المتوحّشة!.

قال السيد كلنش بنبرة منخفضة: أنت من أعطى أوامره لجيس، أنا لم يكن لي يد في هذا المخطَّط يا جرير.

فأتى صوت من الركن قائلاً: قال لي أن أخطف الفتيات حين أتمكّن من هذا، وهذا ما فعلناه أنا ورجالي. كنا مختفين خلف الشجيرات في مقدمة المنزل نراقب، ثم خرجت السيدة العجوز والفتاتين معها ثم تركتهما واقفتين وحدهما، لذا خطفناهما كما قال لنا.

قال جرير بغيظ وغضب شديد: لم أقُل أن تفعلا هذا في وضح النهار.

قال السيد كلنش: بغضّ النظر عما كنت تنوِي، فإن جيس ورجاله قاموا بما طلب منهم ويجب أن تدفع لهم.. وأنا.

انفجر جرير غاضباً: لن أدفع.

وقف السيد كلنش من على كرسيه ببُطء وتعبيراته سوداء، لكن صوته لا يزال هادئاً- يصل لحد الهمس: ستدفع والآن. وإلا لن تغادر هذا الفندق.

قال جرير بارتياب: هل تهدّد بالإضرار بي.

قال كلنش: لا على الإطلاق، لكني مواطن صالح فى خليج أنديانا. ومن واجبي أن أحجزك هنا وأرسل في طلب البوليس. فضميري الصالح لن يسمح لي بترك خاطف يهرب. أليس كذلك؟

صرخ فيه جرير بغيظٍ: سأقول لهم بأنك من خطط للأمر كلّه. -

قاطعه كلنش وابتسامة ساخرة تلعب فوق شفتيه: تقول لهم ماذا؟ أنك كنت ضيفاً في فندقي المتواضع؟ وأنك استأجرت شباباً محليين ليعملوا لديك؟ وكيف يمكنني أنا كصاحب فندق متواضع أن أعلم بخططك الإجرامية؟ ما الذي يدعوني للشك في أن لديك هذه النوايا الإجرامية. وأنت رجل ثري من مزارع جنوب كارولينا؟ ما هو دليلك يا سيد جرير؟ أنت ليس لديك حتى قطعة ورق صغيرة عليها اسمي.

أخرست هذه الأسئلة السيد جرير تماماً. وتحوّل غضبه لخوف مرير، لمعرفته أن السيد كلنش على حق. فبيدين مرتعشتين أخرج محفظته من جيبه وأخرج منها رزمة من الفلوس عد عدداً كبيراً منها ورماهم على مكتب كلنش.

إرسالية فيوليت الجريئة

لم يقُل أحد شيء أثناء عد كلنش للمال. ثم نظر لأعلى نحو جرير ويبرود قال له: أنصحك بمغادرة خليج أنديانا في الحال. سيرافقك أحد موظفي للمحطة التالية في الخط بعد المدينة. وهو ينتظرك في اسطبل العلف. وإذا كنت تقدُر حريتك، فستدفع له بسخاء مقابل خدمته. لأنه لن يكون من الحكمة أن تستقل القطار من هنا، لأني متأكد من أن البوليس لديهم أوصافك الآن وأنهم بدءوا البحث عنك بالفعل. وأتوقع مجيئهم لهنا في أي لحظة الآن، وكمواطن صالح أنا مجبر على اطلاعهم بوجودك إذا كنت لا تزال في هذا الفندق.

جعلت الجمل الأخيرة وجه السيد جرير يشحب ودون كلمة أخرى استدار وهرع خارجا مغلقا الباب بعنف وراءه.

كان السيد كلنش لا يزال ممسكاً بالمال في يده، ففصل بعضاً منه وقال وهو ممسك به دون أن ينظر لجيس جنكنز: خُذ أتعابك. واهرب من المدينة. أن البوليس سيكون في إثرك أسرع من السيد جرير، لذا أنصحك بوضع مسافة كبيرة بينك وبين خليج أنديانا على الفور. قد ينتهي هذا في عدة أسابيع، لكن أنصحك بعدم العودة أبداً. فلقد سمعت عن وجود فرص ممتازة في الغرب لمن لديهم مهارات غريبة مثلك.

سحب الرجل القصير المال وقال: أشكرك يا ريِّس. وبطريقته المداهنة قال: أعتقد سيكون من الأمان لي أن أعود بعد شهر أو شهرين.

استدار السيد كلنش نحوه ووجهه بلا تعبير لكنَّ عينيه تقدحان شرار في ضوء اللمبة الغازية وقال بهمس وبنبرة باردة: أسأت فهمي يا جيس. أنت غبي مثلما قال السيد جرير بالضبط. فحين رأيت الفتيات لأول مرة قلت لك ألاّ تدَع أحداً يراك. وقلت لك يجب ألاّ يؤذى أحداً. فالشابة التي طاردتك اليوم سليلة عائلة من أعرق وأغنى عائلات الولاية وأكثرهم احتراماً. وقد هاجمت أحد سكان منزلها اليوم، وأنا ليس لديَّ المال الكافي لرشوة القانون ليتجاهل غباءك. أنا لا يهمني جرير على الإطلاق. لكنك خيَّبت ظني فيك يا جيس. كنت أودُّ رحيل سكان الإرسالية وإذا بك تحوُّلهم لأبطال. فإذا كنت أحمق بما يكفي لعودتك لهنا لا تدع عينيَّ تقع عليك في ويلدوود. فأنا لا أحب العنف يا جيس، لكن يمكنني أن أكون أكثر قسوة من البوليس حين أحتاج لهذا.لديك مالك والآن اخرج من هنا سريعاً.

أراد جيس أن يقول شيئاً ليدافع عن نفسه لكن النار الباردة في عيني كلنش كانت كافية لإخراسه. وأدرك أنه صنع لنفسه عدواً شرساً وخطيراً.

جلس السيد كلنش على مكتبه مرة أخرى بعد أن غادر جيس. وفكر فيما رآه اليوم، لأنه راقب المشهد كله من مكان مختفي لا يعرفه أحد سواه.

وقال لنفسه: هذه آل ترافيللا شابة شجاعة وقوية ولن تسلم إرساليتها دون حرب. ولديها أصدقاء مستعدون للدفاع عنها، أصدقاء مهمّين. ترى من هو هذا الرجل الطويل، لقد بدا مستعداً للدفاع عنها وعن الطفلة دون لحظة تردّد للنظر لسلامته. هؤلاء الناس ليسوا مثل الناس المبتسمين الداعين لفعل الصلاح الذين أتوا قبلهم.

ثم أدرك أنه لا يزال يمسك بباقي المال في يده، ففتح الدرج السفلي للمكتب وأخرج منه صندوقاً معدنياً وأثناء وضعه للمال به فاجأته فكرة جديدة. يجب أن أغير من إستراتيجية العمل الآن. لم يكن لديه شك في إمكانية تعامله مع هذه الشابة الجريئة وفرقتها من الجنود المسيحيين، لكن كان عليه أن يفكّر في طريقة أخرى. نعم، يجب عليه أن يفكّر في كل الاحتمالات بعناية شديدة، كما أحتاج لمعرفة الكثير عن الآنسة فيوليت ترافيللا وأصدقائها قبل أن يقوم بأي حركة جديدة. وأيّاً كان ما سيقرّر عمله فقد فهم الآن وجوب أن يكون حذراً جدا فيه.

واتته ابتسامة- ليست الساخرة المعتاد عليها معظم الناس منه، لكن ابتسامة حقيقية. واستراح بظهره على كرسيه وقال لنفسه بصوت عالٍ: عليك أن تعجب بالفتاة ذات الجراءة الشديدة. فحتى بدون مساعدة الرجل الطويل، لا أعتقد أنها كانت ستخرج من هنا دون الفتاة الصغيرة. أنتِ خصم لا يُستهان به يا آنسة ترافيللا. لا يُستهان به بحق.

الفصل

١٣

بعض الأسئلة الجديدة



هُوَ يُنَجِّي وَيُنْقِذُ

دانيال٦: ٢٧



وهناك حيث بيت "السامري" كانَ د.بومان قد وصل بالفعل للإرسالية ويعتني بأنوك في مكان إقامته حين عودة "في" والبروفسور وماريجولد. لذا قامت أميلي بفحص ماريجولد وأعلنت أنها سليمة جسدياً عدا بعض الكدمات الخفيفة من جرّاء ضرب خاطفها بقبضتها. بينما "في"، على الجانب الآخر، احتاجت لرعاية يديها وركبتيها لذا ذهبت مع أميلي للعيادة وهناك أخبرتها بكل ما حدث بينما كانت تنظّف لها الجروح وتضمِّدها.

كان البروفسور في ذلك الوقت بالدور السفلي يحكي ما يعرفه- بين مقاطعات ماريجولد المتحمِّسة- للسيدة أوفلاهرتي وتانسي.

وأعلنت ماريجولد لأختها: كان ذلك السيد جرير الدنيء! وقال بأنَّ ماما مريضة وأنها جعلته حارساً علينا!

فشرح لها البروفسور موضحاً: وصيّاً، لكن لم يكن لديه دليل على هذا، وأنا والآنسة ترافيللا لم نصدق أنه يقول الحق.

سألت تانسي بخوف: ماذا حدث للرجال الذي خطفونا؟ هل سيعودون لهنا ثانية؟

فقالت السيدة أوفلاهرتي وهي تحتضنها: آوه، لا يا حبيبتي. لأنهم جُبناء وهم خائفون منا أكثر مما نحن خائفين منهم. لأنَّ لدينا حصن الإيمان ليحمينا. والرب يسهر علينا ويرعانا. ومنح الآنسة "في" والبروفسور القوة لإنقاذ ماريجولد. ويمنح جميعنا القوة التي نحتاج إليها ويجعلنا أقوياء وهؤلاء الرجال البشعين لا يستطيعون التغلُّب عليه. هل يستطيعون؟

قالت تانسي: لكني خائفة جداً جدا.

ووافقتها ماريجولد وهي تهزُّ رأسها بسرعة قائلة: وأنا أيضاً. كنت خائفة جداً طوال الوقت. حتى رأيت الآنسة "في". لقدكانت مثل الملاك المنتقم. وما أن رأيتها حتى أدركت أن الله أرسلها لتنقذني.

قال البروفسور بضحكةٍ خفيفةٍ: ملاكٌ مُنتقم. أنا متأكد من أن الآنسة

فيوليت لا تفكر في نفسها بهذه الطريقة. وأنتم لا تحتاجون للخوف من السيد جرير والرجال الآخرين. لأن السيدة أوفلاهرتي على حق في أنهم جبناء. وأنا متأكد من أن جميعهم يهربون الآن من خليج أنديانا بأسرع ما يمكنهُم. في هذه اللحظة وربما يجرون الآن مثل الأرنب الخائف. ويأملون في ألاّ يواجهوا الآنسة فيوليت وجهاً لوجه مرة أخرى.

لقدجعل تصويره هذا للرجال الأشرار بأرانب خائفة تجري البنات يجلجلون.

قالت السيدة أوفلاهرتي: لكن كيف يمكن أن نردّ لك صنيعك؟ وفجأة ملأت الدموع عينيْها الزرق.

فقال البروفسور جازماً: لم أفعل سوى القليل جداً.

فسمع صوت "في" تقول: لا، بل فعلت الكثير والكثير جدا. قالتها وهي تدخل مع أميلي لحجرة الاجتماعات حيث تجمّع الجميع. وأكملت: لقد أنقذتنا من يد السيد جرير ومن الفندق. لو لم تكن هناك لتعيدنا للمنزل...

قاطعها البروفسور ريموند قائلاً: كنت حينها أنت وصديقتك الصغيرة قد خرجتم بمعرفتكم وعدتُم بفخر للمنزل، ولم يكن أحد ليجرؤ على إيقافكما. أنا واثق من هذا تماماً.

سألت ماريجولد: هل يمكن أن أكون صديقتك يا سيد؟. ومشت نحو البروفسور وربّتت برقةٍ على يده.

فأجاب البروفسور برقةٍ: أودُّ هذا كثيراً. أن أكون صديقك وصديق أختك لأنكم بنات بطلات جداً.

سألت ماريجولد: ما اسمك؟

فأجاب البروفسور: ريموند، لكن كلُّ تلاميذي يقولون لي بروفسور.

نطقت ماريجولد الكلمة بحرصٍ عدة مرات ثم أعلنت بفخرٍ: يمكنني قولها. يمكنني قول بروفسور حتى وإن كنت لا أستطيع قول مار-مو-راد.

ضحك الجميع على هذا حتى البروفسور الذي لم يكن لديه فكرة عن ماهيّة المزحة. فأحسوا بتحسّنٍ لضحكهم بعد هذا اليوم العصيب.

حضر د.بومان بعدها بدقائقٍ معدودةٍ وأضاف لفرحهم بإخبارهم أنّ

أنوك سيكون على ما يرام. فقال: لقد تلقى خبطةً قويةً على رأسه لكنه الآن مستيقظٌ وواعٍ. وسنراقب علامات وعيه. ومن المفترض أن يعود لعمله في خلال عدة أيامٍ قليلة. لكن لا يمكنني قول نفس الشيء عن الرجل الذي في السقيفة.

سألت "فِي" باهتمام: أيُّ رجل؟

أجابت السيدة أوفلاهرتي: يا إلهي، لقد نسيته! إنه الرجل الذي ضربه أنوك. لقد قيدته حين كان لا يزال غير واعٍ، وبعد أن أدخلنا أنوك لمكان إقامته، سحبنا أنا وأميلي الخاطف للسقيفة وأغلقنا عليه الباب. يستطيع البوليس أن يأخذه بعيداً حين يأتي.

سألت "فِي" د.بومان: هل هو مُصاب؟

قال الطبيب: لديه فكٌ متألمٌ جداً وفقد سنَّتين، لكن الجرح الخطير هو خوفه من البوليس والمدة التي سيقضيها في السجن. فهو شابٌ لا يتعدى السابعة عشر من عمره. وأنا لا أظن أنه كانت لديه أي نوايا للقيام بشيء ضار، فمن القليل الذي قاله لي عرفت أنه كان فقط يتَّبع الرجلين الذين فرُّوا هاربين. وأنا متأكد من أنه ببعض الإقناع سيخبر البوليس بكلِّ شيء عن شركائه.

أرادت "فِي" أن تأتي بالشاب لداخل المنزل لأنَّ السقيفة ستكون بالتأكيد رطبة بسبب المطر، لكنَّ الرقيب ريف واثنان آخران من رجال الشرطة وصلوا حينها وسرعان ما أخذوا الشاب. وأخذ الرقيب ريف كلَّ المعلومات المطلوبة ليقوم بإلقاء القبض على الشاب وشركاءه ووعد بالعودة مرة أخرى في اليوم التالي لإجراء مقابلة أخرى مع "فِي".

كماقال الرقيب لها: إنك تحتاجين للراحة الآن. ونحن سنتولى زِمام هذا الشاب الوغد حتى لا يسبب أي مشاكل أخرى. لا تقلقي من نحوه. سنحكم حبسه جيداً.

قالت السيدة أوفلاهرتي حين غادر رجال البوليس: أظنُّ أن ماريجولد تحتاج لحمام ساخن قبل العشاء. ألاّ تأتين أنت أيضا يا تانسي لتساعديها على اختيار فستانٍ نظيف.

قال البروفسور حين صعدوا لحجرة البنات: يبدو أنَّ الصغيرة ماريجولد تحمَّلت تجربتها الصعبة بروحٍ حلوةٍ غير عادية.

قالت "في" بابتسامةٍ عذبةٍ: لقد تحمَّلت هي وأختها الكثير بجانب هذا. الانفصال عن أمِّهم، الهجر من سائق مؤتمن، التجوُّل في هذه المدينة لأسابيع...ومع هذا، حماهم ورعاهم الرب في كل خطوة ومنحهم الشجاعة للبقاء. أنهم يدهشوني، لأني لا يمكنني تخيل نفسي محتملة لكلِّ هذه الصعاب والمتاعب بنفس نعمتهم وشكرهم.

قال البروفسور مفكراً: أود أن أعرف المزيد عن وضعهم، إذا كان هذا ممكنا. فقد سمعت بعض الأشياء من خلال محادثاتكم في أيون. لكن بالتأكيد يوجد المزيد في هذه القصة. أوه، لكنك بالتأكيد أنت متعبة للغاية يا آنسة ترافيللا. من فضلك اعذريني للسؤال. فأنا لا أريد أن أتطفَّل على وقتك.

كانت "في" تشعر بالتعب الشديد حين عادت لمنزل السامرى لكنها استعادت نشاطها وحيويتها في رفقة أصدقائها (ومنقذها). لقد خاطر البروفسور بسلامته الشخصية ليساعدها وماريجولد فشعرت بوجوب أن تخبره بكل ما تعلم. هذا بجانب، أنها فكَّرت في أنها قد تستفيد من منظوره النِّضِر. لذا أخبرته هي وأميلي ود.بومان بقصة البنات كاملة.

سألهم البروفسور عدة أسئلة لها مَغزى لكن حين انتهوا من إخباره بكلِّ شيء تجاوب بصمت. واستطاعت "في" أن ترى من خلال تعبيراته أنه مركِّز في أمر ما.

وبعد عدة دقائق تكلم البروفسور أخيراً قائلاً: هل فكرتم في أن القطة والحريق وخطف البنات ممكن أن يكونوا متَّصلين معاً؟ لدينا مجموعة من الوقائع- الأحداث التي نعلم حدوثها. ولدينا ظروف الحدث. قد تكون الوقائع غير متَّصلة، لكن حين تمزجوهم بتلك الظروف تبدو الصورة الأوسع أكثر اتِّضاحاً. يبدو أنَّ كلَّ ما حدث يتجمَّع في مكان واحد- فندق ويلدوود- ورجل واحد. بالرغم من أنه لا أحد منكم قابله مقابلة مباشرة. لكن يبدو أنَّ كلَّ شيء يدور حول السيد كلنش هذا.

قالت "في": بدأت من خلال الكلام الذي قالته لنا السيدة نلسون وأختها توقَّع أنه وراء كل محاولات ترويعنا. فقد أخبرتانا أن جيس جنكنز هو تابع السيد كلنش، لكن ما علاقة السيد كلنش بالبنات؟

اعترف البروفسور قائلاً: لا أعلم. لكني أعتقد أنه من الغريب أن يختار

السيد جرير الإقامة بفندق ويلدوود. لأنه من الواضح أنه من الأثرياء. ومن الغريب أن يقيم بفندقٍ وضيعٍ وسيء السمعة بدلاً من أن يختار فندقاً يليق بمن مثله. وكيف وصل جرير لهؤلاء الرجال واستأجرهم لهذه المهمة؟ وبخصوص هذا، كيف عرف مكان البنات؟ هل جرير وكلنش يعرفون بعضهم بطريقة ما؟

قال د.بومان: أرى ما تقصد. نحن نعلم أن جيس جنكنز القصير التِّعس ورجاله كانوا يراقبون منزل السامري منذ بضعة أيام. ويبدو لي أنهم مسئولون عمّا حدث للمسكينة مربي وكذلك محاولة حرق السقيفة. ونحن نعلم أنهم من حاولوا خطف تانسي وماريجولد للسيد جرير البغيض. من هنا يصبح جيس جنكنز هو حلقة الوصل بين جرير وكلنش.

أضافت أميلي: هذا بالإضافة لدليل السيدة أوفلاهرتي، أو ربما ندعوه حدساً. فبطريقة ما استطاعت وضع قطع اللُّغز معاً وحلّه. فقد قالت لك يا بروفسور ريموند أن تبحث عن "في" وماريجولد في فندق ويلدوود. أنا لم أفكِّر أبداً في هذا.

قال د.بومان:ولا أنا.

قال البروفسور: كما قلت للآنسة ترافيللا مرة. أنا لا ألغي قيمة الحدس كما أني لستُ بالضرورة أثق به. لكن من أكثر الأمور تشويقاً أنه حين كنتم تشعرون جميعاً بالرعب والخوف، استطاعت السيدة أوفلاهرتي بطريقة ما وضع اثنين زائد اثنين معاً وخرجت بأربعة. سيكون من المشوِّق جداً معرفة المزيد عن هذا السيد كلنش وعلاقته بالسيد جرير.

قالت "في": ربما أعرف المزيد من الرقيب بيفي حين يزورنا غدا.

استمر الأربعة الكبار في حديثهم حتى دخلت السيدة أوفلاهرتي مع البنات. وطلبت على الفور من البروفسور ود.بومان البقاء لتناول وجبة العشاء معهم. فقالت ضاحكة: سيكون عشاءاً بسيطاً لكنه مُعدٌّ جيدا. كنت أفكر في طبق تعلمت طبخه حين كنت أعيش في ايطاليا.

قبِل الرجلان دعوتها بلهفة وعلّق البروفسور عن ولعِه الشديد بالأطباق الايطالية.

سألت "في" البروفسور قائلة: ما موعد مغادرة قطارك.

قال البروفسور مرتجلاً: آه، لقد قرَّرت أن أغادر غدا. وسأبقى في فندق الليلة وآخذ قطار الصباح. فحقائبي وصلت المحطة بالفعل.

قال د.بومان: يمكنك البقاء معي. فلديَّ غرفة نوم إضافية وشقتي مريحة. وصاحبة المنزل ستسرُّ كثيراً بوجود سيد آخر على الإفطار.

قال البروفسور بابتسامة: سيكون هذا رائع. ممنون جدا يا د.بومان.

استأذنت السيدة أوفلاهرتي وذهبت للمطبخ لتعدُّ وجبة العشاء. وتبعتها أميلي قائلة أنها ستعود سريعاً ببعض الشاي والساندويتشات للجميع. كانت كل من تانسي وماريجولد تنويان الذهاب معها لكن دعاهم البروفسور للجلوس والتحدث معه.

كان البروفسور يجلس على الأريكة فذهبت ماريجولد لتجلس بجواره لأنها أعجبت جدا بالرجل الطويل ذى الشارب الكثيف لحظة أن رأته. وأشارت "في" لتانسي لتأتي وتجلس على حجرها.

سأل البروفسور البنات سؤالاً عن منزلهم في جنوب كارولينا، وسرعان ما بدأت البنات الحديث حول مزرعة والدهم الراحل- حجمها والزرع الذي كان يزرعه فيها وشكل منزلهم وحجمه. وتحت أسئلة البروفسور الرقيقة، تحدثوا أيضا عن السيدة جرير، التي تذكَّرتها ماريجولد كجدَّة دائماً لطيفة ومحبة جدا. لكن تانسي تذكُّرت السيدة جرير جيدا. فقالت عنها أنها علمت أمها القراءة والكتابة وأنهما كانتا تقضيان وقتاً كلَّ يوم في الدروس.

دُهشت "في" من الحوار. لأنَّ البروفسور كان يدير دفَّته بعيداً عن كل الموضوعات التي يمكن أن تُؤلم البنات. ومع هذا، أدركت "في" أن أسئلته أظهرت الكثير من المعلومات الجديدة. فالسيد أيفانز والد البنات لم يكن مزارعاً مستأجراً، كما كانت "في" تفترض، لكنه كان يشتري الأرض من السيدة جرير. وبعد وفاته وجدتهما، ذهبت والدتهما للعمل لدى السيدة جرير كمدبرة منزل، وكانت السيدة جرير تعامل تانسي وماريجولد كما لو كانوا أحفادها بحق.

أنصتت "في" بإصغاء لكل كلمة تقولها البنات. ومع هذا، لم تستطع فهم سبب محاولة إدعاء السيد جرير وصايته عليهن. لأنه من الواضح أن السيد جرير لا يحمل أي من سمات والدته المسيحية المحبة. وأن

عدم اهتمامه بسلامة ورفاهية البنات من أكثر الأمور وضوحاً من خلال تصرفاته. فما الذي يمكن أن يريده من فتاتين صغيرتين؟ لقد توجّعت "في" حين تذكّرت تلك الأم التي حاولت بكلّ قوتها إبعاد بناتها عن السيد جرير. فيا له من خوفٍ مريرٍ ذاك الذي دفعها لوضع بناتها في يد أيّ شخص آخر؟لقد قال السيد جرير إنّ والدة البنات مريضة، لكن أين هي؟

فاحتضنت "في" تانسي بقوة ورفعت لله صلاةً صامتةً قالت فيها:

يا أبانا السماوي، أنت الراعي ونحن الرعيّة. ويوجد لدينا الآن واحد مفقود، منا وليس منك. من فضلك ساعدنا حتى نعثُر على والدة البنات- من فضلك قُدنا للعثور على إجابات تُنقذنا من حيرتنا ومكّنا من إعادة اتّحاد هذه الأسرة بعضها ببعض. بارِكنا بثبات وجلد لأجل هؤلاء الأطفال الذين تحملوا كثيراً من الصعاب، واجعلنا نسير باستقامة في الطريق المؤدّي لعودة البنات لأمهم، لأننا عاجزون دون حمايتك وإرشادك.

كان أحدهم يقول: آنسة ترافيللا؟

فنظرت "في" حولها لتجد أنّ البروفسور يتحدث إليها، فقالت: أنا آسفة. ماذا قلت؟

فأجاب: لا شيء مهم. مجرد سؤال يهمّني، لكن يمكنه الانتظار.

سمعت "في" بنبرة صوته لمحةً من الغطرسة التي غاظتها حين قابلته لأول مرة. فقد بدا وكأنه أمسك بتلميذ سارح في أحد فصوله. لكنها لم تتضايق هذه المرة. لم تتضايق على الإطلاق. ونظرت إليه بإمعان فكان عليها أن تعترف بأنّ روزماري كانت على حق. لقد كان رجلاً ساحراً وجذاباً أيضا- بطريقة ما.

الفصل

١٤

فتح أبواب الإرسالية



قَالَ يَسُوعُ "ارْعَ خِرَافِي".

يوحنا ٢١: ١٥



كتبتْ "في" لوالدتها وإد في اليوم التالي تُخبرهما بكلِّ ما حدث، ووصل خطابها لأيون مع بريد صباح الاثنين. فهرع إد على الفور للمدينة وكان يدقُّ على باب الإرسالية قبل أن ينتهي سكان منزل السامري من تناول إفطارهم مباشرة.

لم يكن لدى "في" فكرة عن من الذي يمكن أن يدقَّ باب الإرسالية بهذه القوة، لذا أسرعت للباب. وكانت على وشك تذكير أخيها باستعمال الجرس، لكن ما إن نظرتْ"في" إلى وجهه حتى تراجعت عن أيِّ محاولة لإغاظته. فقد كانت تعبيرات وجهه توضِّح كلَّ مشاعره- خليطٌ من القلق والغضب الذي غطَّى وجهه الحسِن. لذا قبل أن ينطق بأيِّ كلمة، أكَّدت له "في" أنها والآخرين بخير، وأن البوليس قد اِطَّلع بكل شيء، وأنَّ الجميع- بدءاً من كابتن الشرطة وحتى البروفسور ريموند- وافقوا على أنه لا يوجد خطر الآن.

وقادته للمطبخ وأقنعته بالجلوس على المائدة. ثم حكت له كل شيء بالتفصيل مرة أخرى- مضيفة الأخبار التي قالها لهم الرقيب بيفي قبل الإفطار بأن البوليس متأكد من أن السيد جرير وجيس جنكنز قد غادرا المدينة.

أحتاج إد للكثير من الإقناع، لكنه هدأ أخيراً وسمح لنفسه بابتسامة حذرة. وأطعمته السيدة أوفلاهرتي إفطاراً شهياً، لمغادرته أيون بسرعة دون تناول شيء. وبدا أن الطعام رفع من روحه كثيراً. ثم وصلت أميلي بعد إد بقليل لتُخبره بحالة كل واحد الطبية بالتفصيل. فأنوك أصيب بارتجاج خفيف يتطلَّب أياماً قليلة للراحة، بالرغم من أنه لن يستطيع القيام بالأعمال الثقيلة قبل أسبوع آخر. وجروح "في" ظاهرية وطفيفة وتُشفي بشكلٍ جيد. وكدمات الصغيرة ماريجولد بدأت بالفعل في الاختفاء. كماقالت: أن د.بومان سيحضر كل يوم حتى يتأكَّد من شفاء أنوك التام.

سأل إد: هل هذا ضروري؟

قالت "في" بابتسامة خبيثة: ربما لا، لكنه يستمتع بالمجيء لهنا لعدة أسباب. وحين لاحظت وجود نظرة استغراب من أميلي قالت على الفور: أوه، نعم. لقد غادرالبروفسور ريموند سالماً. لقد أرسل لي تلغراف من محطة قطار خليج أنديانا قبل أن يغادر مباشرة.

سأل إد: أرسل إليك تلغراف؟

قالت "في": لأنه أراد لسببٍ ما اسم محامي السيدة لانسينج الصديق في جنوب كارولينا. وضمن البروفسور عنوانه في بوسطن، حيث يسكن أبناؤه، وأنا أرسلت له الرد بالفعل. لأنَّ هذا يعتبرفرصة أخرى للتعبير عن امتناني له.

أخذ إد رشفة من فنجان القهوة الذي كانت السيدة أوفلاهرتي قد أعدَّته له وقال: أن مارك يتصرف مثل البطة الشاذة أحياناً. تُرى ما الذي يريده من عنوان المحامي؟

فسألت "في" مستعلمة: حسنا يا أخي العزيز، هل اطمأننت الآن على أننا بخير وأنه لا يوجد أحد منا في خطر؟

قال إد بغمزةٍ من عينه: تماماً تقريباً. كانت ماما تريد مني المجيء لهنا فور قراءتي الخطاب، لكنها قالت أيضاً أنها متأكدة من أنك واضعة كلّ الأمور تحت السيطرة. وحين أفكّر في الأمر، أجد أنها بدت أكثر قلقاً علي انفعالي من سلامتك إنها تثق بك تماماً يا "في"، وهى تُبرهن على تلك الثقة بحق. فمعظم الأمهات كان من الممكن أن يُغمى عليهن أو يُصبن بحالات هستيرية حين يصلهُن خطاباً مثل خطابك من بناتهن. لكني أذكر ماما تقول- بعد ما قالته لها العمة لوئيس عن كل ما فعلتيه لابنتها فيرجينيا في نيويورك- أنك ورثت شجاعة بابا وتعقُّله للأمور بقدرٍ كبير.

ابتسمت "في" مظهرة غمازاتها وقالت: لم تكن تفكّر حينها في رؤيتي أجرى بشارع ويلدوود في إثر ماريجولد وهذا الرجل البشع. لابد أنني كنت أبدو كشخص مجنون- وهذا آخر ما يقال عن شخص عاقل. وأكملت قائلة: لا يمكنني التوقُّف عن التفكير في والدة تانسي وماريجولد.فلابدُو أنها عرضت نفسها لخطر كبير بإرسالها لبناتها بعيداً. من يدري ما الذي فعله أو هددها به السيد جرير ليحصل منها على

المعلومات التي قادته للبحث عن البنات في خليج أنديانا؟

نظر إد لوجه أخته وقال: سنعثر عليها يا "في". لكن في الوقت الحالي، يجب أن أخبر ماما بأن ثقتها فيك في محلها تماماً.

كان المطر الذي هطل بعد ظهيرة مواجهة "في" للسيد جرير نذير تغيير. فقد أنهى جفاف الصيف والخريف. فلقدكان شهر نوفمبر شهراًممطراً وبارداً، مما جعل أنوك يشعل الأتون الفحمي الجديد لأول مرة. وأرسل إد العديد من عربات الحطب من أيون لأجل مدافئ الإرسالية الكثيرة. وهذامماً أعطى السيدة أوفلاهرتي فكرة المداومة

هي و"في" على زيارتهما للقسس المحليين وزوجاتهم. الذين أبدوا اهتمامهم بالأعضاء الأشد فقراً الذين هم فى كنائسهم وسيواجهون مصاعب جمة في تدفئة منازلهم مع حلول البرد والطقس الممطر. فسألت السيدة أوفلاهرتي "في" بعد أحد هذه الزيارات لقس محلي وعائلته قائلة: هل تعتقدين أن بإمكاننا تقديم عربة ممتلئة بالحطب لكل كنيسة؟ أنا متأكدة من أن والدتك وإد سيقبلون التبرع وكذلك أقربائك في روزلاندز وأوكس.

وافقت "في" بحماس قائلة: هذه فكرة رائعة. والقسس سيعلمون من هم في احتياج ويوزّعون عليهم الحطب. وإذا وافق الجميع يمكننا تقديم على الأقل عربتين لكلّ كنيسة ثم نعيد الكرة حين الاحتياج.

قالت السيدة أوفلاهرتي: يجب أن نستشير القسس أولاً. أعتقد أنهم سيوافقون لكن لا يجب أن نسير بناء على افتراض.

قالت "في" مفكرة: لا، لا يمكننا هذا. ولا أن تقيّد هذه الهبة لحسابنا. فهي عطية معطاة مجاناً ودون توقُّع لأي مكافأة نظيرها.

لم يكونوا في حاجة للقلق، فالكنائس المحلية كانت أكثر من ممتنة للعرض، ورتّبت إلسي وإد لإرسال عربات من أيون والمزارع الأخرى وسرعان ما وصل لكل كنيسة في ويلدوود حطب يكفي لإبقاء النار مشتعلة في العديد من المنازل حتى حلول العام الجديد. أمّا عن منزل السامرى،

فبالرّغم من أن افتتاحه الرسمي كان مقرراً له أول ديسمبر بعد الحفلة التي ستقيمها السيدة لانسينج إلا أنه بدأ في اجتذاب الزوّار ما

أن انتشرت أخبار مواجهة "في" لجيس جنكنز عبر ويلدوود. فقد جلبت السيدة نلسون والآنسة كران العديد من السيدات الأخريات اللاتي تبرَّعن بأشياء لمخزن مؤن للإرسالية- برطمانات مربى ومخلل صنعنها بأنفسهن- في مقابل معرفة مغامرة "في". كانت "في" سعيدة بالتفضُّل عليهم بهذا، لكنها كانت مندهشة جداً من فضولية السيدات المعلنة.

فما إن سمعوا قصتها وسألوا أسئلتهم حتى ذكرت إحدي السيدات عن أخبار مدرسة الإرسالية. فشرحت "في" أنها لا تزال تبحث عن مدرِّسةٍ كفء لكنها تأمّل في فتح المدرسة في يناير إذا وجد عددٌ كافٍ من التلاميذ لفتح فصل. فسألت السيدة التي كانت زوجة صاحب محل مأكولات طازجة على استحياء إذا كان أبناؤها- فتاة في التاسعة وولد في السابعة- مؤهلين للالتحاق بالمدرسة.

وقالت: إنهم أذكياء، ويمكنهم القراءة والكتابة قليلاً، وعلمهم زوجي الجمع. لكني أنا وزوجي السيد دنتون نقضي معظم الوقت في المحل، وليس لدينا وقت لتعليمهم كما يجب. ونحن نود لأبنائنا حياة أفضل مما لنا يا آنسة ترافيللا، وهذا يحتاج للتعليم. إنهم أبناء مهذَّبين ولن يتسببوا لك في أي مشاكل.

تأثرت "في" جداً من أمل السيدة دنتون لحياة أبنائها، وقالت لها أن صغار آل دنتون سيكونون أول أسماء تقيِّدها في مدرسة منزل السامري. وشكرت السيدة دنتون كثيراً ثم اقترحت بأن تأخذهم في جولة لرؤية الفصل الدراسي، الأمر الذي سرَّ السيدات جدا.

بعد أن غادرت السيدات أسرعت "في" للسيدة أوفلاهرتي لتخبرها عن أول تلميذين.

فقالت السيدة أوفلاهرتي بطريقتها العملية المعتادة: حسنا، لقد أصبح لديك سببان جديدان للعثور على مدرسة وطباخ بالمرة يا ابنتي. فحجرتا الطباخ فارغتين لمدة طويلة.

أتى المزيد من الناس كل يوم للإرسالية، معظمهم فضوليين ويرغبون في إلقاء نظرة على الإرسالية وشابتها الشجاعة التي واجهت جيس جنكنز وأوقفته عند حده. لكن كان يوجد العديدين الذي سمعوا عن العيادة، وحصلت أميلي على أول مرضاها. فعالجت السعال وضمّدت

الجروح وقدّمت مراهم ملطفة للآلام الروماتيزمية. كانت المشاكل صغيرة لأن مرضاها لم يصبحوا واثقين فيها لدرجة يمكنهم فيها الإسرار لها باحتياجاتهم ومتاعبهم الأكثر جديّة. لكنهم مضوا متأثرين من الممرضة الشابة وسلوكياتها اللطيفة وكفاءتها. وتأثروا تأثيراً مضاعفاً حين علموا بوجود طبيب كل يوم جمعة في الإرسالية للكشف على المرضى منهم مجاناً، لأنّ الكثيرين من سكان ويلدوود لم يكن في إمكانهم الذهاب لطبيب ودفع أتعابه كما أنّ كثيرين منهم أيضاً لم يرى طبيباً في حياته.

وبعد عدة أسابيع،ازداد عدد المتردّدين على منزل السامري ليصلوا إلى أكثر من عشرين فرداً في اليوم. وبالرغم من أن معظم المترددين كان يدفعهم الفضول لهذا إلا أن"في" بدأت في الإحساس بالمدى الذي ستكون عليه الإرسالية مشغولة حين يأتيها المحتاجين - الذين بالتأكيد سيأتون. فالمترددون على العيادة يزدادون، ويوجد الآن عشرة أسماء في قائمة التلاميذ للمدرسة. لكن ما بدأ يُقلقها جداً هو أن التلاميذ سيحتاجون لتناول الطعام، فقد رأت حين كانت تمشي في الشارع، عندمايسمح الطقس بهذا، وجوه معظم الأطفال الشاحبة وعيونهم السوداء بسبب سوء التغذية.

ذهبت "في" بعد ظهر أحد الأيام للمطبخ بعد أن انتهت من بعض الأعمال المكتبية بمكتبها حيث وجدت أميلي تعبىءُ سلةً صغيرةً بعلبة لحم وبرطمان مخلل وبعض الزبد ورغيف خبز. فقالت أميلي ضاحكةً : أنا لاأسرق مخزن المؤن. فهذا لأجل زوجين عجوزين أتيا للعيادة لأن الزوجة حرقت يدها وهي تحمّر الخبز في شحم خنزير. كانت أكثر ضيقاً على حرق الخبز من حرق يدها. وأخبرتني أنه كان كلُّ ما لديهم. لذا بعد أن ضمّدت يدها وطلبت من زوجها أن يحضرها غداً لأستبدل الضمادة. لم أستطع تركهم يرحلون دون طعام.

ذهبت "في" للثلاجة وأخرجت منها زجاجة لبن وقالت برفق: أضيفي هذه أيضاً، وادعِهم للحضور غداً على موعد الغذاء ليتناولوه معنا.

قالت أميلي بدفء:سأفعل. أنا أرى المزيد من مثل هؤلاء كل يوم يا "في". أنهم يأتون طلباً للحبوب أو زجاجة مقوي لكن ما يعانون منه بحق هو الجوع. وسيزداد هذا سوءاً مع حلول الشتاء.

أجابت "في": أعلم. وكان هذا كل ما استطاعت قوله.

كانت كريستين والسيدة أوفلاهرتي تقومان بالطبخ لسكان منزل السامري منذ أقاموا به. لكن بالرغم من كل مهاراتهم في الطبخ إلا أنه لم يكن لأيٍّ منهم خبرة في إعداد طعام لأعداد كبيرة من الناس. كانت "في" تعتقد أن مسألة تعيين طباخ مسألة سهلة، فأصدقائها وأصدقاء عائلتهاموًكَّد سيعرفون شخصاً كفئاً ومؤهلاً. لكن لم يستطع أحد مساعدتها. وأخبرتها السيدة لانسينج أنَّ الطباخ الجيد يساوي وزنه ذهب بالنسبة لأثرياء خليج أنديانا وكانت على حق. فأصدقاء آل ترافيللا وآل لانسينج كرهوا إبلاغ طباخيهم حتى لا يفقدوهم والطباخين الذين تحدثت إليهم "في" لم يرغب أي منهم في ترك وظيفة ثابتة آمنة عند عائلة غنية أو فندق ممتاز أو مطعم لأجل عمل شاق لإدارة مطبخ إرسالية.

لذا وضعت "في" المشكلة جانباً أملاً في أن تحلَّ المشكلة نفسها. لكن الآن الوجوه الشاحبة والأجساد الرفيعة التي رأتها في الشوارع، مثل الزوجين الذين ليس لديهم سوى قطعة خبز وشحم خنزير، بدأت تطاردها. وقررت أن تجعل مطبخ الإرسالية يبدأ عمله في أسرع وقت ممكن.

وصلَّت قائلة:أحتاج لمساعدتك مرة أخرى يا رب. فأنا أحتاج لمن يقوم بإطعام الناس الجوعى جسدياً، كما أطعمت الخمسة آلاف. ولم ترسلهم جياعاً. وهذا مما جعلتهم أتباعاً لمثالك، يجب ألاَّ نُرسلهم جياعاً، يجب أن نعثر على طباخ، ومع هذا، لا أعرف من أين أبدأ البحث. كنت أظن أنها مهمة سهلة لكني اكتشفت أنها صعبة وأعترف بأني ارتكبت خطأً لأنني وضعت المسألة جانباً وأجَّلتها حين صعُبت. أنا متأكدة من وجود عدة طرق أخرى يمكنني البحث فيها لكني لا أدركهم الآن. ساعدني يا رب على جلاء ذهني. أنا أعلم أنه كان من الواجب أن آتى إليك من قبل يا رب لأنه لا توجد مشكلة لا تستطيع حلَّها. سامحني من فضلك على تسويفي وأرشدني في البحث بعناية والعُثور على حل.

كانت "في" على درايةٍ بأنَّ الله يجيب كل صلاة لكن ليس دائماً بالطريقة المتوقعة. ولم يكن عندها أية إعلان عن الحل لكنها وجدت نفسها تفكر في مشكلتها بأسلوب جديد. فتشاورت مع السيدة

أوفلاهرتي وأميلي الذين منحوها بعض الأفكار الجديدة. حيث اقترحت السيدة أوفلاهرتي أنه بدلاً من التحدث مع طباخين العائلات الثرية والمطاعم يجب أن يفكروا في أماكن يطبخ فيها لأعداد كبيرة من الناس. مثل المدارس والمستشفيات، وربما كما ذكرت أميلي جامعة خليج أنديانا. كان لدى "في" بعض الأفكار الخاصة أيضاً. ووعدت أميلي بالتحدث مع خالتها التي يبدو أنها تعرف عن خليج أنديانا أكثر من أي شخص آخر.

كانت "في" تكتب بعض الخطابات في صباح اليوم التالي مباشرة لرؤساء العديد من المدارس والمستشفيات في المدينة تعلمهم برغبتها في الحصول على طباخ وتطلب منهم منحها بعض التوصيات. كانت جالسة علي مكتبها في المكتب الصغير بجانب المطبخ حيث كانت الدنيا هادئة جداً. فالسيدة أوفلاهرتي مع البنات وأميلي في العيادة. والصوت الوحيد الموجود بالمكتب هو صوت الصغيرة مربى النائمة على إفريز النافذة. رحبت "في" بالهدوء لأنه يسمح لها بالتركيز في خطاباتها. ولذلك لم تسمع هذا الدقّ الخفيف على باب المطبخ فى البداية لكن كان الطارق مصراً لذا بعد عدة دقائق سمعته "في". ورفعت رأسها لتنصت جيدا ثم وضعت قلمها جانباً وذهبت لترى من هناك.

لقدكانت سيدة شابة وفتاة صغيرة تقفان على السلالم. كانتا تلبسان ملابساً بالية لكنها نظيفة وشلالاً لحمايتهما من البرد. أحسَّت "في" أنها بطريقة ما قابلتهما من قبل. فطلبت منهما الدخول وبقليل من التردُّد دخلتا.

قالت السيدة الشابة: لا أريد أن أتطفّل عليك يا آنسة. لكني أتيت لأستعلم عن المدرسة. لقد سمعت أنك ستفتحين مدرسة للأطفال. وصغيرتي هنا في السادسة من عمرها وكنت أسأل إذا كان عمرها مناسباً للحضور. فليس لدي مال لكني يمكنني العمل مقابل تعليم بولي في مدرستك. لأنى لاأريد أيّ إحسان، كما تفهمين.

قالت "في": طبعاً أفهم، لكن مدرستنا مجانية. وبولي في السن المناسب تماماً. اجلسي من فضلك، حتى يمكنني إخبارك عنها. كنت على وشك أن أصنع لنفسي كوباً من الشاي هل تودِّين مشاركتي؟. وربما تحب بولي كوباً من اللبن.

هزّت الصغيرة رأسها موافقة. كان وجه بولي رائع الجمال ومشرق وعيناهاخضراوتان بُندقيتان، لكنها كانت شاحبة جدا- شحوب طفل لا يتعرض كثيرا للهواء الخارجي.

وضعت "في" أبريق الشاي على الموقد ثم سكبت كوبًا من اللبن وكان على النَّضد كعكتين محليَّتيْن باقيتيْن من الإفطار فوضعت "في" واحدة على طبق وقدّمت كوب اللبن والكعكة للفتاة الصغيرة التي كانت تجلس مع أمها على مائدة المطبخ. وقالت لبولي: أعتقد أن اللبن يبدو أطعم دائماً حين يؤخذ مع شيءٍ حلو.

ابتسمت الصغيرة لها، وفي الحال أدركت "في" أين رأتهما من قبل. إنّ بولي هي الفتاة الصغيرة التي لوّحت لها في ذلك اليوم منذ عدة أسابيع مضت! فبولي وأمها هما أول من رحّب بها والسيدة أوفلاهرتي في ويلدوود.

كانت "في" مذهولةً تقريباً لرؤيتهم معها الآن جالسين في مطبخها، لكنها استردّت هدوءها سريعاً وقالت لوالدة بولي: اسمي الآنسة ترافيللا.

قالت السيدة الشابة: وأنا اسمي السيدة ماري أبلتون. سُررت بمعرفتك يا آنسة ترافيللا. فلقد رأيناك من قبل.

أجابت "في": أعلم. أحد الأيام حين كان العمل في المنزل لم ينتهِ بعد، لقد ابتسمتِ لنا وبولي لوّحت. كنت آمل أن أقابلكِ في أحد الأيام. فأنا لم أنسَ أبداً لُطفك.

احمر وجه السيدة ماري أبلتون وابتسمت قائلة بخجل: كنت أعتقد حينها أنكم أناساً طيِّبين.

أجابت "في": ونحن فكرنا نفس الشيء فيكم. أنا مسرورة بحق لمجيئكم اليوم. وسيكون شيئاً جميلاً جداً أن تكون بولي واحدة من تلاميذنا.

سألت بولي: هل ستكونين مدرستنا يا آنسة؟

قالت "في":لا، لكنني سأساعد المدرسة. وإذا كان لدي وقت كافي سأعلّم مجموعةً الفنون. ثم استدارت للسيدة أبلتون شارحة: لم نعيِّن مدرِّسةً بعد، لكن سيكون لدينا واحدة قبل بدء الدراسة في يناير. ستكون الدراسة ثلاث ساعات في اليوم من التاسعة صباحاً وحتى الثانية عشر ظهراً. ثم سنقدِّم وجبة غذاء لكلِّ الأطفال. هل هذا يناسبك يا سيدة

أبلتون؟

قالت الأم الشابة: نعم يا آنسة، إنه كرمٌ شديدٌ منك.

أخفضت السيدة أبلتون رأسها وقالت: ربما يمكنني مساعدتكم في إعداد الغذاء يا آنسة ترافيللا. أنا طباخة ماهرة وستكون هذه طريقة للمساعدة في دفع مصاريف دراسة بولي.

هتفت "في" بدهشة: أنت طباخة؟

قالت السيدة أبلتون: نعم يا آنسة، على الأقل حتى هذا الأسبوع. ثم رفعت رأسها ونظرت لعيني "في" وأكملت: كنت معتادة على الطبخ في فندق ويلدوود. أعلم أنه ليس مكاناً جيداً، لكن الأجر كان عادلاً ولم أحتجْ أبداً لأكون حول الزبائن. فقد كنت أبقى في المطبخ ولم يعترض السيد كلنش على بقاء بولي معي طالما لا يراها الزبائن. ثم فصلني هذا الأسبوع. لم يكن هذا بسبب عملي يا آنسة فأنا عاملة جادة وطباخة ماهرة. لقد تعلمت فنون المطبخ من أمي وكانت تطلق عليه " طعام بيتي جيد". ولديَّ أربعة أخوات وخمس أخوة لذا كانت ماما دائماً تطبخ لنا. ولأني أكبر البنات كان من الطبيعي أن أساعدها. أقول هذا وأعلم أنّه لا يهمُّك. ختمت كلامها بهذه الجملة وطأطأت رأسها مرة أخرى.

قالت "في": آوه، لكني مهتمة، ولدي فكرة. ثم استدارت نحو الطفلة التي كانت قد انتهت لتوِّها من شرب لبنها وقالت لها: توجد فتاتين يا بولي هنا الآن، اسمهما تانسي وماريجولد. ماريجولد في نفس سنك. وهمابالدور الثاني تلعبان. وأعلم أنهماستفحان بمقابلتك. هل تحبين الذهاب للعب معهما؟

هزّت بولي رأسها موافقة ثم نظرت لوالدتها.

فقالت السيدة أبلتون: سيكون هذا شيئاً جميلاً، إذا كان هذا لن يعطِّلك يا آنسة.

قالت "في": لا، على الإطلاق. فأنا أود التحدث معك أكثر، وتستطيع بولي الاستمتاع ببعض اللعب ونحن نتحدث.

ذهبت "في" لدولاب الشاي وأخذت منه علبة الشاي وإبريق الشاي وكوبين وقالت: ليتك تعدين لنا الشاي يا سيدة أبلتون حتى آخذ بولي وأقدمها للفتاتين والسيدة أوفلاهرتي.

سألت بولي: من هذه؟

أخذت "في" بيد الفتاة وقادتها للباب وهي تقول: هل تذكرين السيدة التي كانت معها الفتاة التى لوّحت لنا؟ فقالت السيدة أوفلاهرتي أنها واحدة من ألطف وأكثر الناس إمتاعاً يمكن أن تقابلينهم في حياتك.

وحين أغلق الباب، جلست السيدة أبلتون محملقةً فيه لعدة ثواني تسأل نفسها ما الذي يمكن أن تريده هذه الفتاة للتحدث فيه معي، لكنها لم تستطع الوصول لإجابة. وطمأنت نفسها بأنها ستعرف سريعاً، ولأنها كانت كما قالت عاملة نشيطة قامت من على كرسيها ووضعت شالها القديم على ظهر الكرسي وبدأت فى إعداد الشاي.

غادرت السيدة أبلتون وابنتها الإرسالية بعدها بساعتين.بعد أن دعتهما "في" لتناول وجبة الغذاء لكن السيدة أبلتون اعتذرت لأنّ لديها بعض الأشياء الواجب عليها القيام بها.

وما أن أوصلتهما "في" للباب الأمامي حتى أسرعت صاعدة للسلالم منادية على السيدة أوفلاهرتي وأميلي التي أسرعت خارجة من العيادة وقابلتها على بسطة سلم الدور الثاني سائلة بقلق لأنها افترضت حدوث شيئٍ مامهماً: ماذا حدث؟

ظهرت رأس السيدة أوفلاهرتي من فوق الدرابزين سائلة نفس السؤال.

هتفت "في" بحماس: إنه استجابة صلاتنا! أصبح لدينا طباخة!

سألت السيدة أوفلاهرتي وهي تنزل السلام وتانسي وماريجولد في ذيلها: والدة بولي؟

أجابت "في": نعم! والدة بولي! وهي ترقص عدة خطوات حول بسطة السلم وأكملت: اسمها ماري أبلتون وهي ممتازة. لديها خبرة وتحتاج للعمل. وصنعت لي أفضل كوب شاي شربته في حياتي! وأنا بطريقة ما علمت أنها الشخص المناسب، لذا عرضت عليها الوظيفة وهي وافقت.

وما إن رأت تانسي وماريجولد حتى أخذت يدهما وسألت: هل أحببتُم اللعب مع بولي؟

قالت تانسي: نعم، إنها لطيفة وحلوة جدا.كما تعلم كل شيء عن

المشاركة وعن قول شكرا حين أعطيتها عروستي. إنها تعجبني.

أكدت ماريجولد على كلام أختها بهزةٍ من رأسها وسألت: هل ستأتي لتلعب معنا مرة أخرى؟

أجابت "في": غداً، ستأتي مع أمها هنا ليعيشوا معنا. كماسعدت"في" جدا لرؤية وجوه البنات تُضيء بتوقُّع حدوث هذا.

قالت "في" وهي تنظُر بسعادة لكلّ أصدقائها: كان الرب صالحاً معنا جدا اليوم. ثم اقتبست من مزمور 118: " مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هَذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا.هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ. نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ فِيهِ."

ورقصت قليلاً من الخطوات ثانية وهي لا تزال تمسك بيد البنات اللاتي انفجرن في الضحك والجلجلة.

نظرت لهما "في" وبعبوسة ساخرة سألت: هل تضحكان على الطريقة التي ارقص بها؟

قالت ماريجولد بجلجلة جديدة: لم نركِ ترقصين من قبل أبداً.

وشرحت تانسي: يسعدنا أن نراك سعيدة هكذا.

فأجابت "في" مؤكدةً: حسنا، أنا سعيدة جدا بالفعل. قالتها وهي تقودهم لنزول السلالم وأكملت: أصبح لدى منزل السامري طباخة جديدة. ولديكم أيضاً يا بنات صديقة جديدة. وحين كنت عند الباب من ثوانٍ رأيت الشمس تشرق من وراء السحب.ولهذا أقترح أن نذهب للتمشية بعد الغذاء ونفرح بهذا اليوم السعيد الذي صنعه الرب.

الفصل

١٥

رسالة محزنة من بعيد



طُوبَى لِلْحَزَانَى لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ.

متى٥: ٤



زادَ عدد زوار منزل السامري على نهاية نوفمبر. وأصبحت العيادة مشغولة كل يوم. وبمساعدة السيدة أبلتون ومهارتها تمكّنت سيدات الإرسالية من تقديم وجبة الغذاء لكل محتاج. وكانت "في" تقدم خدمة تأمّلية موجزة بعد كل غذاء، وبالرغم من أن حضورها لم يكن إجبارياً إلا أنَّ الكثيرين حضروها وبدوا يرتاحون من القراءات الكتابية والصلاة. كان بعض الناس مثل الزوجين الذيْن أعدّت لهم أميلي سلة الطعام يحضرون بانتظام، بينما ظهر الآخرين مرة أو مرتين. لكن باب منزل السامري كان مفتوحاً للجميع.

أصبحت واجبات كريستين كمدبرة للمنزل كثيرة جداً وملّحة مما جعل السيدة أوفلاهرتي تتولى مسئولية رعاية الأطفال تانسي وماريجولد وجاكوب وبولي أبلتون. ويضاف إليهم أطفال آخرين حين يكون والديهم في العيادة. وأثبتت تانسي أنها مساعدة ممتازة للسيدة أوفلاهرتي حين تحتاج لهذا.

أصبحت "في" مشغولة من شروق الشمس للغسق كلَّ يوم تقريبا للانتهاء من المهام الضرورية لإدارة الإرسالية. لكن على اقتراب موعد الحفل الراقص وجدت نفسها تقضي وقتاً أطول مع السيدة لانسينج. فقد أرسلت الدعاوي وبدأت الاستجابات في الوصول. وتأثرت "في" أيَّما تأثُّر بعدد الناس المهمين الذين قبلوا الدعوة مثل العمدة وعدد كبير من الساسة وعدد من قيادات رجال الأعمال ورئيس جامعة خليج أنديانا وعدد لا بأس به من أفضل جراحي المدينة والمحامين ورجال البنوك- وزوجاتهم. كما سيوجد أيضا فريقٌ كبيرٌ من أعضاء عائلة "في" مما أشعرها براحة كبيرة لعلمها بوجودهم ليعضّدوها.

كانت "في" تعمل على كتابة خُطبتها بناءاً على نصيحة السيدة لانسينج- كما انشغلت بالعثور على الكلمات التي تعبر عما بقلبها. واستشارت دكتور لانسينج وحرمه في بعض الحقائق التي كانت تودُّ تضمينها وخصوصاً حول تاريخ منطقة ويلدوود وحجم الفقر بالمدينة.

وفي النهاية وجدت أنّ كتابة الخطبة أسهل بكثير مما توقعت، بالرغم من أنها عانت من نوبات من العصبية كلما فكرت في أنها ستلقيها أمام ذلك الحشد المهم. وحين اطّلعت إلسي بمخاوفها حين أتت أحد المرات لزيارتها في المدينة. حصلت "في" على رؤية جديدة من سلوك أمها الثابت وهدوئها وسط أي مجموعة من الناس.

قالت إلسي: أذكر أول مرة كان علي أن أتحدث لرجال البنوك والمحامين الخاصين بنا في نيوأورلينز. كان الصيف التالي لوفاة والدك، حين كنا في فياميد. كنت على دراية بما أود قوله لكني كنت خائفة من أنّ الكلمات قد لا تخرُج من فمي. لذا شاركت مخاوفي مع جدك. الذي سألني هل تشعرين بالعصبية وأنت تتحدثين مع الرب، هل ترتعِش يداك من الخوف وأنت تصلين لأبيك السماوي؟ هل تشعرين بعقدة في لسانك وتكونين واعية جدا بنفسك وأنت تشاركيه أفكارك؟

فقلت له أنني أشعر دائماً بالسلام حين أصلّي وأشارك مشاعري مع الله. لأن فيه السلام الكامل والفهم اللانهائي. عند ذلك قال جدُّك إنه إذا كان هذا شعورك مع الرب الذي هو ملك الملوك ورب الأرباب، فيجب ألاّ أخاف من التحدث مع كائنات فانية مثلي. وحين فكرت فيما قاله جدك أدركت أنه لا يوجد سبب للخوف. حقيقي أنّ يديّ ارتعشتا قليلا حين بدأت الحديث لكلّ هؤلاء الرجال، لكن هذا طبيعي على ما أظن. النقطة هي يا عزيزتي أن أباك السماوي سيكون معك وبجوارك. تحدّثي عمّا بقلبك وهو لن يخيِّب ظنّك أبداً.

استوعبت "في" قصة والدتها جيدا وحفظتها بقلبها، وقالت لنفسها: يجب أن أفكر في خُطبتي كحديث مع صديقي السماوي، وتحوّلت أفكارها لصلاة. يمكنني قول كل شيء لك يا ربي. والخطبة في الحفل لأجلك أكثر من أي شيء آخر. امنحني الثقة للتحدث لمجدك. ومن فضلك إفتح قلوب كل من يسمع كلماتي حتى يحثوا على تعضيد عملك في الإرسالية.

ذهبت "في" لمنزل آل لانسينج قبل موعد الحفل بثلاث أيام متوقعة مراجعة قائمة الضيوف وتقرير أماكن جلوس المدعوِّين على مائدة العشاء. لكن ما إن وصلت لردهة المنزل حيث كانت صديقتها السيدة لانسينج في انتظارها حتى لاحظت اضطراب صديقتها العزيزة

قالت السيدة لانسينج: وصلني خطاباً من السيد بارتلبي. قالتها و"في" تجلس بجوارها. ثم أكملت وهي تمسك بيد "في": إنها أخبار غير سارة يا عزيزتي. لقد علم أن والدة البنات السيدة أيفانز قد توفيت.

شهقتْ "في" فقد طعنتها الأخبار في الصميم ولم تستطع الكلام فى البداية، لأنَّ أفكارها كانت مشوَّشةٌ جدا لدرجة لا تسمح لها معها بالكلام.

استمرت السيدة لانسينج في الحديث قائلة: من الواضح أنَّ السيدة أيفانز كانت مريضة جداً أكثر ممَّا أخبرت به بناتها وأعتقد أن هذا هو سبب لهفتها الشديدة على ترتيب رحلتهما للشمال. ويعتقد السيد بارتلبي أنها توفيت في نفس الأسبوع الذي غادرت فيه البنات. وقد تم دفنها في مزرعة جرير. ولم يعلم أحد خارج المزرعة بوفاتها حتى ذكر الأمر أحد خدم السيد جرير لصاحب محل في مدينة بثل.

قالت "في" بصوتٍ مرتعشٍ: كل هذا الوقت كنا نعتقد....

ولم تستطع إكمال جملتها لأن الحزن حبس الكلام فى حلقِها.

هدَّأتها السيدة لانسينج قائلة: أعلم، أعلم. كلنا صلَّينا لعودة اجتماع السيدة أيفانز والبنات معاً ثانية. وسيحدث هذا في أحد الأيام في منزل أبينا السماوي. لكن يجب أن نركِّز الآن على الأطفال واحتياجاتهم.

أخرجت "في" منديلاً من حقيبتها بسرعة ومسحت دموعها ثم جلست مستقيمة وعدلت كتفيها وقالت: أنت على حق يا سيدة لانسينج.

تنشَّقت بسرعة وقالت: كتبت لي عمتي وعمي في فيلادلفيا عن أن جهودهم في العثور على جديّْ تانسي وماريجولد تسير ببطء. لأن اسم أيفانز اسم شائع وأحيانا لا تكون السجلات دقيقة ومنظمة في المدن الصغيرة والقرى. وعمتي أديليد تؤكِّد لي أنهم لن يستسلموا. لكن الآن نحن العائلة الوحيدة التي لدى تانسي وماريجولد.

ضغطت السيدة لانسينج على يد "في" برفق وقالت: حتى يتم العثور على أقاربهم، لدى البنات منزل السامري وأصدقاء محبين ليساعدوهم على اجتياز أحزانهم. لقد دعا الرب والدتهم إليه، كما وضع البنات تحت رعايتك.

سألت "في" والدموع تنساب من عينيها ثانية: لكن كيف سأخبرهم؟

لقد مروا بالكثير. آوه، كما أنهم متحمّسين جداً للحفل! بالرغم من أنهم لن يحضروه، لديهم اقتراحات لمساعدتي على ارتداء ملابسي، وجعلوا السيدة أوفلاهرتي تعلّمهم كيف يرقصون الفالس. وصنعوا عرائس من الورق بملابس رائعة و- و...

قالت السيدة لانسينج: أعتقد انه من الأفضل أن تؤجّلي إخبارهم لما بعد الحفل. وأظنُّ أن هذا ما كانت ستفعله أمهما الحقيقة. اسمحي لهم ببعض الأيام الأخرى من السعادة.

سألت "في": هل علم السيد بارتلبي شيئاً آخر؟

قالت السيدة لانسينج: نعم، لقد قال بأنَّ صديقه القاضي في بثل لم يتمكّن من العثور على وصية السيدة جرير القديمة.تلك التي يجب أن تكون في السجلات الرسمية لكنها غير موجودة. ويخطط السيد بارتلبي الآن للذهاب بنفسه لبثل ومباشرة فحصٍ دقيقٍ للسجلات. وقد ذكر وجود شخصٍ ما سيساعده في البحث- ربما يكون واحد من المحامين المعاونين له. لأنهم يعتقدون أنَّ العثور على هذه الوصية أمر هامٌ جدا. ولقد كتبتُ للسيد بارتلبي بعد مواجهتِك الفظيعة للسيد جرير. وهو يقول أنه لا يستطيع فهم الأمر ما لم يكن هناك صلة قانونية بين البنات والسيد جرير- ربما ميراث صغير.

عادت ذاكرة "في" لظهيرة ذلك اليوم في ردهة الفندق. واستطاعت رؤية وجه السيد جرير الغاضب وهتفت: لقد كان يعلم. كان السيد جرير يعلم بوفاة السيدة أيفانز. ومع هذا قال لي أنها مريضة. واستخدم هذا ليبرِّر مطالبته بالبنات. لكن لماذا كان يريد عودة البنات لجنوب كارولينا إذا كانت أمهم قد توفيت؟ هذا غير منطقي- على الإطلاق.

أجابت السيدة لانسينج: يجب أن نترك حل هذا اللغز للسيد بارتلبي. ومساعده. لأنَّ مسئوليتك هي رعاية هؤلاء البنات اليتيمات يا "في". فهما يحتاجونك أكثر من أيِّ وقت مضى.و لا تشغلي نفسك بالإعداد للحفل لأنَّ كلَّ شيءٍ جاهز. وأنا ووالدتك سنتعامل مع كل ما يستجدُّ من ضروريات. وهي وجداكِ سيقيمون معنا وأنت أيضاً سيكون لديك ضيوفٌ كما سمعت.

قالت "في": نعم، أختي روزماري وصديقتي زوي لاف ستقيمان في

منزل السامري.

قالت السيدة لانسينج: إذن، دعي تانسي وماريجولد يستمتعان بالمشاركة في كل ترتيباتك. قالتها مكرِّرة نصيحتها بتأجيل الخبر حتى نهاية الحفل ثم أكملت: دعيهم يستمتعون بهذه الأيام القلائل الباقية. لأنه يوجد وقت للسكوت ووقت للكلام كما قيل لنا في سفر جامعة. فبإمكانك منح هؤلاء الأطفال ساعات قلائل أخرى للفرح دون قلق. لأنَّ وقت حدادهم سيأتي سريعاً جداً.

قالت "في" بصوت منخفض: لم اضطر أبداً لإخبار أحد بمثل هذه الأخبار من قبل.

قالت السيدة لانسينج مذكرة صديقتها الشابة: لديك السيدة أوفلاهرتي وأميلي ليساعدوك. اقتربوا من الرب وعضِّدوا بعضكم البعض، كي تتمكَّنوا من أن تكونوا أقوياء لأجل البنات الصغار الأعزاء. إنَّ الإيمان سيرشدك ويقودك أنت والبنات خلال هذه المحنة.

قادت "في" عربتها متجهةً للمنزل ذلك اليوم وهي في تفكير عميق، لكن عند وصولها لمنزل السامري كانت قد اتَّخذت قراراً بمنح تانسي وماريجولد وقتاً لسعادتهم. ولم يكن الأمر بالصعوبة التي تخيَّلتها لأن حماس البنات للحفل كان مثل الدواء. فقد أخبرتها وجوههم وابتسامتهم المشرقة حين قابلوها على الباب الأمامي أن السيدة لانسينج على حق فيما قالت.

قالت تانسي بهلفةٍ وكأنَّ هناك شيئاً هاماً: إنَّ الثوب الذي سترتديه في الحفل قد وصل يا آنسة "في". كماوضعت السيدة أوفلاهرتي الصندوق في حجرتك.

اندفعت ماريجولد في الحديث صائحةً: هي تقول بوجوب أن تجربيه في الحال. هل يمكن أن نساعدك يا آنسة "في"؟فنحن نرغب كثيراً في رؤية مدى جمالك في الحفل. آوه، ستكونين أجمل سيدة هناك! أنا أعلم هذا.

خلعت "في" القبعة والمعطف وعلَّقتهما على الشماعة في المدخل وقالت: إذا كان الفستان قد وصل، فأظنُّ أنني يجب أن أجرِّبه. وستكونون مساعدين رائعين لي في هذا، كما يمكنكما إخباري عن كيف يبدو عليَّ بحق.

صاحت ماريجولد قائلةً: أنا أعرف هذا بالفعل. ستبدين جميلة مثل الأميرات.

قالت "في": إذاً، دعونا نذهب لحجرتي وسرعان ما سنعرف إذا كنت على حق أم لا.وأخذت بيد البنات وكانوا جميعاً يضحكون وهم يصعدون السلالم.

حضرت زوي للإرسالية مبكرة صباح اليوم التالي. ففتحت "في" الباب وهرعت لاستقبالها. فقد مرَّ أسبوعان على آخر مرة رؤوا فيها بعض بعضاً. وأدركت زوي وهي تحتضن صديقتها كم اشتاقت إليها وقالت: أنا هنا للمساعدة، دعيني أعمل يا "في" أيَّ شيء تحتاجين إليه.

سألت "في": هل أنت جادة فيما تقولين؟

أجابت زوي: تعلمين أني أستطيع مسح الأرض وترتيب الأسرَّة وتلميع الأثاث. أنا مستعدة للقيام بهذا.

قالت "في" بابتسامة ساخرة: سآخذك على كلمتك. وأخذت بذراع صديقتها وهما تدخلان المنزل وقالت: أودُّ أن أقدِّمك للسيدة أبلتون. أنها تعدُّ شربة لحم لوجبة الغذاء ولديْها سلة من البطاطس تحتاج للتقشير.

ضحكت زوي قائلة: إذن قوديني للبطاطس. فاليوم أقشِّر البطاطس وغداً أرقص!

قالت "في": أنا مسرورة جداً لمجيئك فكم أحتاج لجرعة من روحك المرحة.

قالت زوي بدهشة: ألا زِلت قلقةً بخصوص خُطبتك؟ ستكونين رائعة لأنك تؤمنين حقاً بما تقولين. كما تُؤمنين بمنزل السامري وأُناس ويلدوود. كان أبي يقول دائماً بأنَّ الخطبة الجيدة تقوم دائماً على الإيمان والحقيقة. فكِّري في عظة ربنالمَّا تجلَّى للجبل- كانت كلماته بسيطةً جدا ومع هذا عميقة المعنى جداً.

لم تكن "في" تفكِّر في خطبتها بالفعل، لكن كلمات زوي الواثقة شجَّعتها. فقالت وهي تقود زوي للمطبخ: كم باركتني يا ربي. كم لديَّ من أصدقاء صالحين يعضدونني والإرسالية. فأن يكون لي أصدقاء أوفياء وصادقين في وقت الاحتياج- يا ربي إنها لبركةٌ وفيرةٌ.

كانت "في" قد أخبرت السيدة أوفلاهرتي وأميلي بما حدث للسيدة أيفانز وكلاهما وافقتا في الحال على تأجيل إخبار البنات لما بعد الحفل حسب نصيحة السيدة لانسينج. ولأجل البنات قرّروا أن يضعوا أحزانهم جانباً وأن يجعلوا من الأيام السابقة للحفل أسعد ما يمكن. كماقرّرت "في" أنها ستُخبر صديقتها زوي لحظة انفرادهما بأن تبقى معهم ا للأسبوع التالي. وكانت "في" تفكر بأنّ الحفلةلن تفعل شيئاًسوى تأجيل وصول الحزن لمنزل السامري. فالأيام الصعبة قادمة وهي تحتاج لجمع أصدقائها المحبين والمشجعين في دائرة محبة تحتضِن البنات وهنّ يواجِهن أصعب محنة في حياتهن.

الفصل

١٦

الحفل الراقص



لِيُسَبِّحُوا اسْمَهُ بِرَقْصٍ. بِدُفٍّ وَعُودٍ لِيُرَنِّمُوا لَهُ.

مزمور١٤٩: ٣



وعندما حان ميعاد الحفل، كانت "في" متأخرة تقريباً عليها. كماكانت عربة آل ترافيللا قد وصلت من أيون لتقِلّ سيدات منزل السامري المكوَّنين من "في" والسيدة أوفلاهرتي وزوي وروزماري. كنّ جميعاً مرتديات أفضل الثياب، وبالرغم من أنّ الجوّ ليلاً كان بارداً إلاّ أنّه كان صافياً ، لذا فلن يوجد خطر هطول أمطار لتفسِد جمال معاطفهم المخْملية وثيابهم الجميلة. وحين ساعدهم السائق على ركوب العربة كانت هناك جماعة صغيرة من المشجعين الذين يتمنَّوْن لها حُسن الحظ. كان هذا الحشد مكوَّناً من تانسي وماريجولد وبولي أبلتون وكريستين وأنوك والصغير جاكوب الذي كان يستمتع كثيراً بالتصفيق بيديه الصغيرتين ويقول : باي باي مرّةً تِلو المرّة.

صعد السائق لمكانه بعد أن أغلق باب العربة وبدأ في قيادة الجياد المتناغمة للبوابة. لكنه حين سمع صرخةً قادمةً من المنزل أوقف العربة.

كان أنوك ينادي: أنتظر! أنتظر!.

نظرت "في" من النافذة لترى ماري أبلتون تجري نحوهم وهي تلوِّح بشيء في يدها من فوق رأسها. فتحت "في" باب العربة واستطاعت رؤية ما بيد ماري مع اقترابها.

هتفت "في": ورق الخطبة!

وصلت ماري للعربة وقدّمت الورق لـ"في" التي أخذته منها.

قالت ماري: كنت خائفة من أن تنسي هؤلاء، لذا ذهبت لتفحص مكتبك للتأكُّد من هذا. وكانوا هناك. وأضافت بضحكةٍ مرحةٍ وهي تناول "في" نظارتها: وهذه أيضا. لا يمكنك قراءة الخطبة دون نظارتك.

أجابت "في" بابتسامةٍ بها بعض الإحساس بالذنب: شكراً جزيلاً. سأفقد رأسي لو لم أكن مرتدية إياها.

قالت ماري وهي تعيد ابتسامة "في" بمثيلتها: سنفتخر جداً بك ، أنا أعلم هذا.

أجابت "في":وأنا سأبذل قصارى جهدي.

وحين رأى السائق أن ماري بعيدة عن العربة وفي مكان آمن حرك العربة للذهاب لمقصدهم.

قالت "في" وهي تضع أوراقها ونظارتها بالحقيبة: لا يضحك أحد منكم عليّ. كما يجب أن ،نحلف جميعاً على كتمان هذا الأمر- خصوصاً أنت يا روزماري. لأنه لو علم إد والتوأم بأنني نسيت نظارتي سيغيظونني طوال الليل.

سألت روزماري بنبرةٍ تبدو متعالية ومجروحة: ولماذا أنا بالخصوص؟

أجابت "في" ضاحكة: لأنك أكثر واحدة ستعتبرينه أمراً مضحكاً.

قالت روزماري بنبرةٍ منخفضة: أنا لا أعتبر نسيانك الكثير أمراً مضحكاً. ثم أضافت: كما أني على الخصوص أستطيع كتمان أيٍّ سر مثل أي شخص آخر. وانفجرت مجلجلة في الضحك.

كان منزل آل لانسينج يبدو رائعاً، وقد أفرغت الصالة الكبيرة المجاورة لحجرة الطعام من أثاثها عدا عدد من الكراسي المريحة والأرائك بجوار الحوائط ليفسحوا المكان ويجعلوه مناسباً كقاعة للرقص. كان الموسيقيون قد اتّخذوا أماكنهم بالفعل في النهاية البعيدة للغرفة ويضبطون آلاتهم حين وصلت "في" وصديقاتها. و استطاعت "في" رؤية منّصة صغيرةٍ بارتفاع قدم عن الأرض أمام الفرقة الموسيقية. فأدركت أنها المكان الذي ستُلقي منه خطبتها، فشعرت برعشةٍ خفيفةٍ في نخاعها سرعان ما طردتها.

احتوّت الردهة الأخرى وقاعة الطعام على موائد صغيرة لتناول العشاء، وبوفية كبير مغطّى بأطباق طعامٍ شهيٍّ ولذيذ. ومائدة منفصلة موضوع عليها وعاء كبير يحوي شراب البنش (شراب مسكر خفيف) وأكواب له.

قرّرت السيدة لانسينج بما أنه الأسبوع الأول في ديسمبر أن تجعل الزينات مناسبة لفصل الشتاء فكانت الغرف الأربع والمدخل معلق عليها أكاليل زهور وأغصان مزهرة من النباتات الشتوية فملأت الرائحة الجميلة للنباتات المقطوعة حديثاً المكان. كما وضعت زهريّات بها ورد أبيض على كلّ رف وتنسيق جميل للزهور في إناء فضيٍّ ضخمٍ موضوع

في منتصف مائدة البوفيه.

كان باب المكتبة مفتوحاً ليسمح للضيوف بالتّجمع فيها إذا رغبوا الابتعاد عن ضوضاء الموسيقى. كما لاحظت "في" وضع كراسي بقاعة المدخل الكبير.

كانت السيدة لانسينج وإلسي وروز دينسمور حاضرين في استقبال "في" وصديقاتها. اعتذرت لهم "في" عن التأخير عدة دقائق، لكن لم تكُن هناك مشكلة لأنه لم يكن الضيوف قد بدؤوا في الحضور بعد.أخذت السيدة لانسينج وإلسي "في" والآخرين في جولةٍ سريعةٍ بقاعات الحفل وسألت السيدة لانسينج إذا كان الديكور قد حاز على رضاهُم.

فأعلنت "في": كلُّ شيءٍ رائع الجمال بحق، لا يمكنني شكرك بما يكفي على قيامك بهذا يا سيدة لانسينج.

أجابت السيدة لانسينج بابتسامةٍ مرحةٍ: العفو يا عزيزتي، أنت مرحباً بك دائماً أيّما ترحيب.فإنّ المنزل يُنير ببهائكم أيّتها الفتيات. ثمّ تحسّست ثياب زوي وروزماري. وهي تقول ل"في": تبدين رائعة الجمال يا عزيزتي. أنا لم أركِ ترتدين بنفسجياً فاتحاً من قبل لكنه لونٌ يناسبك تماماً ويظهر جمالك. استديري الآن ودعيني أرى فستانك بالكامل.

قامت "في" بالدوران دائرة خجولة،فظهر حرير ثوبها أكثر خفّة وانسيابيّة.لقد كان الفستان جميلاً بحق- كان حريره البنفسجي الفاتح مطرّزاً بزهور البنفسج بظلال أغمق ومؤخّرته ذات قَصّةٍ مفصّلة ببراعة. كماكانت قَصّةُ الرقبة والأكمام توضّح جمال رقبة ورِفَع ذراعيْ "في" ليصلوا لحدِّ الكمال.

قالت "في": إنّ تانسي وماريجولد هما من اختارا لي هذا القماش، فلم يكن في نيّتي شراء ثوب جديد لكنهم أصّروا على هذا.

قالت السيدة لانسينج: كانوا على حق فأنت تبدين مبهرةً الليلة.

راجعت السيدة لانسينج حينها جدول الحفل مع "في" وتوقّعت حضور جميع الضيوف عقب الساعة التاسعة،فقد كان هذا موعد تحية د.لانسينج الجميع رسمياً وإلقاء كلمة قصيرة عن هدف الحفل ثم تقديم قس آل لانسنيج الذي سيتلو صلاة طالباً البركة ثم تُلقي "في" خطبتها. وبعد أن تنتهي "في" من إلقاء خطبتها سيطلب د.لانسينج

من الحضور النزول للرقص ويطلب من العمدة وزوجته قيادة الموكب العظيم لبدء الرقص.

سألت إلسي: هل ستوجد طلبات لأجل الاحتياجات؟

قالت السيدة لانسينج: إنه أمر تقليدي، لكنني قرّرت تجاهله، وفكّرت في أنه من الأفضل الانخراط مع الضيوف وإطلاعهم على احتياجات منزل السامري من خلال الأحاديث العادية.

وافقت إلسي قائلة: فكرة رائعة يا نعومي.

وسرعان ما بدأ الضيوف في الحضور، وبينما كان د.لانسينج وحرمه يستقبلان كلَّ وافد جديد كانت إلسي ترافق "في" والسيدة أوفلاهرتي حول الغرفة مقدمةً إيّاهما للناس الذين سمعت عنهم "في" أو ربما قابلتهم فى أيون حين كانت أصغر سناً. كانت "في" مسرورة باطلاع كلّ من يسألها عن عملها في ويلدوود- وكثيرمن سألها. كماعبَّر البعض عن دهشته بأنّ شابةً في مكانتها الاجتماعية تقبل مثل هذا التّحدي. وقلة كانت متشكّكة من قيمة الإرسالية في منطقةٍ متهالكةٍ من المدينة مثل ويلدوود. لكن بدا معظم الناس مهتمين بحق.

سرعان ما امتلأ المنزل بالضيوف السعداء وكانت "في" مستمتعةًبوقتها لدرجة أنها لم تلحظ الوقت حتى أتى إليها د.لانسينج وقال: حان وقتنا يا ابنتي العزيزة.

وأخذ بذراعها وتقدّما نحو المنصة. وعند إشارة الدكتور توقّف الموسيقيون الذين كانوا يعزفون ألحاناً هادئةً ووضعوا آلاتهم جانباً. وقفت "في" مع القس على الجانب، وصعد الدكتور المنصة.

كانت تحيّته لضيوفه كريمة ومرحة وشكر جميع من في الحجرة على المجيء لمنزله. ثم اعتلى القس المنصة وأحنى الجميع رؤوسهم وهو يتلو صلاته شاكراً الله على جمعه لعدد كبير من الناس معاً. وطلب من أجل أن تفتح نعمة الله عقول الجميع وقلوبهم ليدركوا محبة أباهم السماوي لكلّ البشر. ثم صلّى طالباً أن يتذكّر كلّ شخص موجود كلمات يسوع لتلاميذه في يوحنا 15: 12 " هَذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ". وختم صلاته بكلمات مزمور 113: 5-7 " مَنْ مِثْلُ الرَّبِّ إِلَهِنَا السَّاكِنِ فِي الأَعَالِي. النَّاظِرِ الأَسَافِلَ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ.

الْمُقِيمِ الْمَسْكِينَ مِنَ التُّرَابِ الرَّافِعِ الْبَائِسَ مِنَ الْمَزْبَلَةَ".

سمعت "في" عبر الغرفة همساً خافتاً من العديدين يقول آمين. فصعدت للمنصة وهي ممسكة بورق الخطبة ونظارتها جيداً في يدها ونظرت في الحضور. وفي لحظة مسحت عيناها الغرفة كماسجِّل عقلها وجوه أحبائها- جدها وجدتها وزوي، والسيدة أوفلاهرتي التى تقف بجوار التوأم. ورأت على أحد جوانب الغرفة أبناء عمومتها كال وآرثر كونلي وأمهم العمة لوئيس التي كانت تقف بجوار العمة لورا والعم تشارلز هوارد. وبالقرب منهم رأتْ د.بومان وأميلي وسيدةً كبيرةً في السن ظنَّتها "في" خالة أميلي. كمارأت "في" بالقرب من المنصة أمها تبتسم وهي تضع ذراعها في ذراع السيدة لانسينج. ثم لقطت روزماري التي كان فمها يقول دون صوتٍ: حظاً سعيداً يا "في". ربنا معك.

ابتسمت "في" وبدأت الحديث عن طريق إخبار الناس عن تلك السيدة التى قابلتها فى إرسالية بنيوأورلينز- سيدة عجوز ليس لديها سوى القليل من الموارد المالية لكنها كانت مع زوجها يربِّيان أحفادهما الصغار. وبالرغم من مسئولياتها الكثيرة وفقرها إلا أنَّ هذه السيدة كانت تذهب للإرسالية كل يوم للعمل مع الأطفال الفقراء هناك وتُثري حياتهم بكثير المرح.

أكملت "في": إنَّ مقابلتى لتلك السيدة وآخرين غيرها ساعدوني على فهم كم أنا محظوظة. فالله قد باركني بعائلة محبة وحياة مليئة بالامتيازات. وباركني أيضا بأنِّي رأيت كم أنا مباركة بالمقارنة بالآخرين. فقد رأيت في نيوأورلينز وأوروبا ثم نيويورك مدى الفقر والتعاسة ببعض من أعظم مدن العالم...وكذاشجاعة أولئك الناس الذين يعيشون كلَّ يوم بأقلَّ القليل. وأرى الآن نفس هذه الشجاعة هنا في خليج أنديانا- في المكان الذي يُدعى ويلدوود. فإذا لم يكُن أحدٌ منكم قد قام بزيارته من قبل فعليه أن يتأكُّد أنه ليس كما يعتقد.

فممَّا لاشك فيه أنكم سمعتم عن الجريمة في ويلدوود، والمراهنات والسُكر والعربدة التي يُبتلي الحي بها دوْماً. لكني رأيت أشياءاً أخرى ربما لم تسمعوا عنها. أهمُّها أننى لا يمكنني البدء في وصف عدد المرات التي أتأثر بها يومياً من لُطف وطيبة وكرم الناس الصالحين الذي يحيون هناك. فلقد استفدت من شجاعة الناس الذي وضعوا احتياجات الآخرين

قبل أمانهم الشخص ومصلحتهم. إنّني أتعلم من أناس ويلدوود أكثر كثيراً مما يمكن أن أعلّمهم. وربما الدرس الأعظم هو أنهم لا يختلفون في قلوبهم عن أيٍّ منا هنا. أتمنّى أن تستطيعوا مقابلة الناس الذين في حيي، وآمل أن يقوم بعضكم بهذا.

إنّ هدفي الليلة هو إخباركم باختصار عن منزل السامري. فهوإرسالية مفتوحة للجميع. وهدفنا خدمة سكان ويلدوود. ليس بإخبار الناس عمّا سنقوم بفعله لهم لكن أن ننصت لهم ونبذل أقصى جهدنا في التجاوب بخدماتنا التي تلبّي احتياجاتهم الحقيقية.

وضعت "في" عند هذه اللحظة نظارتها وبدأت في قراءة ورقها. ووصفت بسرعة الخدمات التي تقدّمها الإرسالية أو ستقدّمها في القريب العاجل- العيادة الطبية والمدرسة والوجبات اليومية. وكذلك الاحتياجات المتوقّعة- وحضانة للأطفال والرضع الذين يعمل والداهم لضمان أمانهم، زيارات منزلية لكبار السن والمُقعدين الذين لا يستطيعون المجيء لعيادة الإرسالية. وأشارت "في"أثناء حديثها إلى الكثير من فقراء ويلدوود من المحاربين القُدامى الذين أقعدتهم الحرب الأهلية- محاربين قدامى حُرموا من أيّ تعويض على تضحياتهم التي قاموا بها في أرض المعركة.

وضعت "في" نظارتها جانباً ونظرت هنا وهناك في الغرفة. ثم أكملت قائلة: يمكنني وضع مئات من التحسينات التي يمكن أن تساعد ويلدوود. خدمة عربات مأجورة تسمح للناس بالذهاب لأعمالهم دون الاحتياج للسير ميلان لأقرب خط خدمة عربات مأجورة. طرق مرصوفة، مياة صحية نقية وخالية من الأمراض تصِل إلى كل مكان حتى آخر المدينة، وأرصفة صالحة يمشي عليها الكبار والأطفال دون الخوف من أن يُداسوا من الخيول والعربات التى تجوب الشارع.إنّنى أعلم أنه ليس أيٌّ من هذا يمكن أن يتحقّق بين ليلةٍ وضحاها. لكني أرجو أن يكون منزل السامري مكان للبدء منه.

إنّكم هنا لسبب معيّن وأنا أقدّر جداً استعدادكم للإنصات لي. قد تُدهشوا من أني لا أستجدي أموالكم- على الأقل ليس بعد (فجرت هذه الملاحظة الضحك الشديد وبعض هزات الموافقة من الضيوف).

كل ما أطلبه هو التفكير فيما يمكن تحقيقه- لأجل ويلدوود ولكلّ

شخص في خليج أنديانا- إذا كنتم أنتم القادرين على إحداث التغيير، فلتفتحوا قلوبكم لمن ليس لهم قوة مثل قوّتكم. وأظنّ أنكم ستكتشفون مثلي، أنّ من لا يستطيعوا تغيير ظروف حياتهم مباركون بحكمة وقوة يمكن أن نستفيد كلّنا منها. إنّ تلك المدينة العظيمة ستُدان، مثل كلٍّ منا، بما تفعله لأكثر مواطنيها عجزاً. نريد كلنا أن يكون خليج أنديانا مدينة عظيمة، لكن هل يمكن أن تكون مدينة مشرقةو الكثير من سكانها يعانون؟

توقفت "في" للحظة ناظرة فيما حولها في الغرفة وأكملت قائلة: حين بدأت التفكير فيما سأقوله الليلة، نصحتني مضيفتنا الكريمة السيدة لانسينج أن أتّخذ الرئيس الراحل أبراهام لنكولن مثلاً لى لأنه تحدث من القلب وباختصار.و بناءاً على نصيحتها أريد أن أذكّركم بكلماته المكتوبة لافتتاحه الثاني.لقد كانت دولتنا حينها في حالة حرب وانقسام، لكن تعتبر كلمات الرئيس لنكولن بالنسبة لي مناسبة تماماً ليومنا هذا بالرغم من كتابتها عام1865م.

وضعت "في" نظارتها ثانية وقرأت: دون ضغينة من نحو أحد، وبسماحة للجميع، وبحزم فى الحق لأنه منحةٌ من الله، دعونا نُثابر كى ننهي العمل الذي نقوم به، أن نضمِّد جراح الأمة، ونعتني بمن تحمَّل المعركة وبأرملته وأيتامه. نقوم بعمل كل ما يمكن أن يحقق ويؤمن العدل والسلام الدائم بين أنفسنا ومع كل الأمم.

ثمّ رفعت "في" رأسها وقالت: إن الانقسام لم يعد بين الشمال والجنوب، لكنه أصبح بين من لديهم ومن ليس لديهم. وربنا يوجّهناجميعاً- أغنياء وفقراء، محظوظين وغير محظوظين- لأن نحب بعضنا بعضاً كما أحبنا. لقد قال لنا الحق، أنّ مهما فعلنا بأحد هؤلاء الأصاغر فبِه قد فعلنا. أن نطعم الجائع ونُلبس العريان ونعتني بالمرضى والمسجونين بالفقر. أن نعلم الأطفال ونمنح الرجاء لليائس. أن نحب قريبنا كنفسنا. ربما في منزل السامري، يستطيع الجميع التقابل في وحدة الهدف وسخاء الروح ومشاركة القناعة بأن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله. لقد زرعنا حبة في منزل السامري. وبمحبتكم وتعضيدكم سنرويها والله يُنميها.وما إن سكتت حتى

ضاعت كلمات شكرها القلبي الأخير وسط التصفيق الحاد للحاضرين.

لم يكن الأمر كما توقَّعت "في" خصوصاً لاقتباسها جزء من خطاب أبراهام لنكولن وقوله لأناسٍ لازال البعض منهم يعاني من جراح هزيمة الجنوب في الحرب الأهلية. وكانت تعتقد أنه على أحسن حال قد تحصل على بعض التصفيق المهذَّب لكن هذا، كان أكثر بكثيرٍ من كلِّ توقُّعاتها.

صعد د.لانسينج ليقف بجوارها ورفع يده ليُسكت ضيوفه ثم تحدث لهم قائلاً: نودُّ أنا وزوجتي الصالحة أن تستمتعوا بهذه الأمسية، لكننا نرجو أيضاً أن تفكروا في الرسالة التي سمعتموها لتوّكم وما يمكن أن يقوم به كلُّ منكم للمساعدة في خدمة منزل السامري، فكروا في الرجل الذي أخذت منه الإرسالية اسمها- السامري الصالح الذي مرَّ على غريب في احتياج حين كان مسافراً في الطريق لأريحا.

ثم توقف للحظات وأكمل حديثه قائلاً: والآن، سيداتي سادتي حان موعد الرقص. فإذا أخذ كل منكم شريكه، فإنَّ عمدتنا المبجَّل الدريك وزوجته سيبدؤون عن طريق قيادة الموكب العظيم.

حدث تصفيق آخر أثناء تقدُّم العمدة وزوجته للأمام. وبدأ الضيوف في إفساح المكان وبدأ كل من يرغبون في الرقص في البحث عن شركائهم وتكوين خط خلف العمدة وزوجته لبدء الرقص. كانت "في" قد تركت المنصة لتوُّها حين أشار لها العمدة. فذهبت إليه فقال لها: أود أن أسمع المزيد عن مجهوداتك يا آنسة ترافيللا. فمشاكل ويلدوود لا تغيب عن بالي، وأعتقد أنَّ بإمكاني الاستفادة من أفكارك. يمكنك الحضور لمقابلتي بمكتبي أحد الأيام فى القريب العاجل.

قالت "في" ووجها يتوردُ خجلاً: آه، نعم يا سيدي العمدة. ستسرُّني مقابلة سيادتك حين يكون هذا مناسباً لك.

ابتسم العمدة قائلاً: أنا رجل مشغول، لكن ربما ليس مثلك. سأتَّصل بك في الأسبوع القادم لنحدِّد موعداً.

وقبل أن تجيب "في" بدأ الموسيقيون في عزف لحن موكبٍ نشطٍ. وتحرك العمدة وزوجته لقيادة موكب الراقصين المتأنِّقين.

هرعت "في" لجانب الحجرة حيث تقف والدتها والسيدة أوفلاهرتي وروزماري. لم تتمكَّن من أن تختلى للحظة بأمها لتحصل على حضنها الدافئ قبل أن تحاط بالضيوف الذين أرادوا تهنئتها ومدحها على

خطابها. فكانت مندهشة وممتلئة من العرفان لفيض التمنيات الطيبة التي انهالت عليها.

انتهى الموكب العظيم والفالس وتم ترتيب أول مجموعة من الرقصات قبل أن تستطيع "في" التقاط أنفاسها.

جاء إليها إد وقال: كانت هذه خطبةً عظيمةً يا أختاه. أنا فخور بك بحق. أتمنّى لو استطعت القيام بما قمت به بنصف هذه البراعة.

سألت "في" هامسة: لم تكن كثيرة الوعظ، أليس كذلك؟ فأنا لا أريد أن يشعر الناس بأني أخبرهم بما يجب أن يشعروا به.

أجاب إد: نعم غير وعظيّة على الإطلاق. فلقدأدرك الناس أنك تتحدثين من قلبك.ولأنى ناقد قوي، يمكنني القول بأمانة أنك تحدّثت عن كلّ النقاط الصواب. لقد سمعت بعض الرجال يتناقشون حول عار ترك المحاربين القدامى وعائلاتهم يعانون هكذا. وقد بدوا جادين في القيام بشيء للمساعدة.

أجابت "في": سيكون هذا رائعاً، أليس كذلك؟

اقترح إد: دعينا نذهب لحجرة البوفيه حيث سيكون من الأسهل علينا التحدث هناك.

كانت أمهم والسيدة أوفلاهرتي منخرطين في الحديث مع بعض السيدات. وروزماري ترقص مع ابن عمتها د.كونلي وزوي أيضا ترقص مع واحد من التوأم. حين كان إد و"في" يأخذون طريقهم حول قاعة الرقص. وكثيراً ماالستوقفهما الضيوف أكثر من مرة لأنهم أرادوا معرفة المزيد عن منزل السامري. ولهذاأخذوا حوالي نصف ساعة ليصلوا للبوفيه حيث قبِلت "في" بامتنانٍ عرض أخيها بإحضار كوب من البنش لها. وجلساعلى أحد الموائد. كانت "في" تحكي لإد عن حديثها القصير مع العمدة الدريك. لكنها سمعت صوتاً يقول: إذا سمحت يا آنسة ترافيللا،أظنّ أنك نسيت هذه. فأدركت "في" على الفور أنه صوت البروفسور مارك ريموند. فنظرت لأعلى لترى وجهه الباسم. وأكمل قائلاً: نظارتك يا آنسة ترافيللا. لقد عثرت عليها على الرف الجانبي في القاعة وعرفت أنها تخصّك.

تلعثمت "في" وهي تقول: أشكرك يا بروفسور ريموند. وأخذت النظارة من يده وأكملت: لكن كيف-لماذا أنت هنا؟

أجاب البروفسور: لقد طلب مني أخيك هذا.

استدارت "في" نحو أخيها وتعبيراتها محتارة ومتسائلة مما جعلتها تقترب من الكوميدية.

شرح إد قائلاً: وصل مارك اليوم. ولديه بعض الأخبار لك. وقالت السيدة لانسينج أن بإمكاننا الذهاب لحجرة الشمس الصغيرة لنحصل على بعض الخصوصية. إذا كنت قد انتهيت من شرابك فيمكننا الذهاب الآن.

قال البروفسور: لا تنسي نظارتك. فسحبتها "في" من على المائدة.

كانت ستائر كثيفة تغطّي النوافذ الكثيرة لحجرة الشمس وأشعة النار تتلألأ في المِدفأة. كانت الغرفة بالرغم من عدم استعمالها في الطقس البارد دافئةً ومريحة. جلست "في" على أريكةٍ صغيرةٍ مجدولة، فقد شعرت بأنّ رأسها خفيف بعض الشيء- ربما كرد فعل لإلقائها لخطبتها هذه الأمسية أو ربما بسبب الظهور المفاجئ للبروفسور. لكن ما إن رأى إد شحوب وجهها حتى جلس بجوارها.

قالت "في" للبروفسور: كنت أعتقد أنك في بوسطن مع أبنائك.

قال البروفسور: كنت كذلك، لكن كوني مع أبنائي، لم يجعلني أتوقّف عن التفكير في البنات اللاتي أخذتيهِنّ تحت جناحيك. فقصصْتُ على صغاري حكاية تانسي وماريجولد ووافقوا على الفور أنهما تحتاجان للمساعدة. لذا غادرت بوسطن بعد عشرة أيام وسافرت لجنوب كارولينا. حيث قابلت السيد بارتلبي- أشكرك على إرسالك لي لعنوانه. وحين شرحتُ له مهمتي وأريتُه أوراقي الرسمية وافق على أن يجعلني أساعده.

هتفت "في": إذاً، كان أنت! كنا نظنّ أن مساعده كاتب محامي.

قال البروفسور: لقد طلبت منه عدم ذكر اسمي لئلا تخِيب جهودي. فأنا كباحث عن الحفريات لا أخجل أبداً من وضع اسمي على بحثي، لكني لم أكن متأكّداً من قدراتي على البحث وحل ألغاز عصرنا الحالي.

قالت "في" وهي تُخفض من حملقتها: حصلت السيدة لانسينج على خطاب السيد بارتلبي ونحن نعلم أن السيدة أيفانز قد توفيت. لكننا لم نُخبر البنات بعد.

قال البروفسور: أنا مسرور لهذا. لقد طلبت من السيد بارتلبي أن يؤجل كتابته للسيدة لانسينج حتى نعرف المزيد عن موقف البنات. أن الأخبار التي أحملها ستقلّل من حزنهم بل ربما تمنحهم رجاء في المستقبل.

نظرت "في" لأعلى وقرأ البروفسور الأسئلة في عيونها الجميلة.

قال البروفسور: أعتقد أني حللتُ لغز إصرار جرير على أخذ البنات. وأخذ كرسياً قائم الظهر ووضعه بحيث يكون جالساً في مقابل إد و"في" ومال للأمام ولمعت عيناه وقال: إنّ تانسي وماريجولد وريثتان يا آنسة ترافيلا، ليس لمال بل لقطعة أرض قيّمةٌ جداً.

جذبت "في" نفساً عميقاً وأخرجته ببطء وقالت: لابد أنك عثرت على وصية السيدة جرير.

قال البروفسور: نعم، بعد الكثير من البحث. لقد زُرت العديد من المحاكم المتربة في الأسابيع القليلة الماضية. وبحثتُ في بئل من شرقها لغربها وشمالها لجنوبها والمجالس المحلية المحيطة بها، ولم أستطع العثور على شيء. لكني سمعت عن قاضٍ في مقاطعة مجاورة يعلم عن وصية السيدة جرير فذهبت إليه. وهو أخبرني عن أن محامي السيدة جرير يعيش في كولومبيا. فذهبت للمدينة العاصمة وعثرتُ عليه. لقد تقاعد الآن لكنه لم يزل حاد الذهن ، وتذكّر كلُ شيء عن وصية السيدة جرير. لقد سجلوها في أحد محاكم كولومبيا حيث كانت تملك قطعة أرض هناك أيضا. والوصية هناك الآن، لكن المحامي أعطاني نسخة كان يحتفظ بها.

وضع البروفسور يده في جيب سترته وأخرج منه وثيقة قانونية.

أكمل البروفسور كلامه قائلاً: لقد تركت السيدة جرير مزرعتها لابنها، لكن كان لديها عدة مئات من الأكرات - ذات قيمة عالية جداً خارج نطاق المزرعة- كانت تبيعهم للسيد أيفانز، والد البنات.

وقال محاميها أنها كتبت وصيتها في نفس الوقت الذي وقّعت فيه موافقتها على بيع الأرض. وقالت فيها أنها إذا حدث وتوفيت قبل أن يتم دفع كل أقساط بيع الأرض كاملة فإنّ السيد أيفانز وزوجته يحصلون على ورق ملكيتها دون دفع أي أقساط أخرى. ولم ترغب في

أن يعلم السيد أيفانز وزوجته بهذا. ويذكر محاميها كلماتها بالضبط فقد قالت:"بأنَّ السيد أيفانز رجلٌ حرٌ وعنده كرامة. ويجب ألاَّ يشعر بأنه مدين لي بالفضل أثناء حياتي". فالمحامي متأكد من رغبتها في حماية عائلة آل أيفانز من ابنها الذي بطبعة الجشع أحزنها كثيراً. وعدلت السيدة جرير من وصيَّتها حين توفي السيد أيفانز. لتصبح الأرض ملكاً للسيدة أيفانز والدة البنات عند وفاة السيدة جرير. لقد انتقلت السيدة أيفانز والبنات للإقامة مع السيدة جرير عند وفاة السيد أيفانز وكانت السيدة جرير تدفع لها بسخاء مقابل أن تعمل كمدبرة منزل. أماالأرض فقد تم العناية بها عن طريق رجل استأجرته السيدة جرير للقيام بهذه المهمة.

سألت "في": لم تكن السيدة أيفانز تعلم أن الأرض ستكون ملكاً لها؟.

قال البروفسور: من الواضح أنها لم تكن تعلم، ولا أعلم السبب. لكني يمكنني تخمين أنَّ السيدة جرير لم ترغب في أن تجعل السيدة أيفانز تشعر بأنها مسئولة ماليا عن أدارة المزرعة.كان تفكير السيدة جرير معقداً مماجعلنا نأخذ وقتاًطويلاً كى نجمع تفاصيل تلك القصة معاً. لكن كما قلت من قبل أنها كانت تحاول حماية آل أيفانز بما فيهم الأطفال من ابنها.

سأل إد: لكن لا يوجد شك الآن في أنَّ البنات سيرثون مزرعة العائلة، هل يوجدهذا الشك؟

قال البروفسور مؤكِّداً: سيرثون من خلال والدتهم. إنَّ القانون واضح في هذه النقطة. لقد قلت أنهم لم يرثوا مالاً لكن ليس هذا مضبوط تماماً. فقد تركت السيدة جرير إرثاً مباشراً يوضع كوديعةٍ بنكية لتعليم كلٌ من تانسي وماريجولد. يُدفع من ودائعها.وبالرغم من أنَّ المبلغ ليس ضخماً لكنه كافٍ للإقلال من دخل السيد جرير-إنه نوعٌ من القصاص من هذا الرجل الذي جعل السيدة أيفانز تقضي عامها الأخير تعمل دون أجر.

علَّقت "في" بحزنٍ: لابد أنها صرفت آخر بنيٍّ لديها في محاولة إرسال البنات لعائلتهم في بنسلفانيا.

قال البروفسور: مسكينة السيدة أيفانز، لم تعلم أبداً عن كرم السيدة

جرير. لقد أعلم محامي السيدة جرير ابنها بكلّ تفاصيل الوصية التي فُتحت في كولومبيا. لكن السيد جرير انتهز فرصة الاتصالات الضعيفة بين المدينة والقرى النائية واستأجر محامياً وضيعاً في بثل زوّر له وصيةً ثانيةً قُدّمت في محاكم بثل. واختفت بأعجوبة بعدها ببعض الوقت. وبناءاً على الوصية المزورة وضع السيد جرير يده على مزرعة آل أيفانز. وكما تعلمون، كانت السيد أيفانز تعمل كمدبرة منزل لدى السيدة جرير لكنه جعلها تعمل كخادمة. وجعلهم ينتقلون من منزله ليقيموا في كوخ من حجرة واحدة في مسكن العبيد القديم.

سألت "في": هل لديك دليلٌ على كلّ هذا؟

قال البروفسور: لدينا الوصية وشهادة المحامي الذي قدّم الوصية المزوّرة في بثل. إنه رجلٌ جبانٌ فحين واجهته أنا والسيد بارتلبي بوصية السيدة جرير الأصلية ارتجف و قدّم اعترافه على الفور.

أراد إد أن يعرف إذا كان السيد جرير سيُقبض عليه ويحاكم لأجل خِداعه وسرِقته.

ضحك البروفسور بطريقةٍ عليمةٍ وقال: إذا استطعت العثور عليه. فقد علم بطريقة ما حين عاد من خليج أنديانا لبثل عن استجوابات السيد بارتلبي. وأظنُّ أنّ حقائبه كانت مُعدّة حتى من قبلها. وما أن علم بأن محاميه قد اعترف بتزوير الوصية حتى اختفى تماماً. ولن يستطيع العودةثانيةً لأنه سيقبض عليه أوّلاً لاعتدائه على أنوك وثانياً لمحاولته خطف تانسي وماريجولد.

قال إد: لكنه لا يزال يملك قدراً كبيراً من المزرعة، وبالتأكيد سيوكّل محامياً للدفاع عنه.

عندذلك أخبرهم البروفسور بالجزء الأخير من القصة. فالسيد جرير اقترض مبالغاً طائلة من البنوك بضمان المزرعة ليصرف على مراهناته. وسرعان ما ستئول كل ممتلكات السيد جرير للبنوك. عدا المزرعة الصغيرة لآل أيفانز التي تنتمي الآن للبنات. وكل شيء آخر سيباع سريعاً ليسدّد ويدفع قروض السيد جرير.

فلقد أراد أن يعيد البنات خوفاً من أن يهتم أحد بهما ويكتشف تزويره. كما أن شركة السكك الحديدية ستمدُّ خطوطاً جديدة لها عبر

بثل ستمرٌ بُمتلكات البنات والشركة مستعدة لدفع مبالغ طائلة في مقابل الأرض. وكان هذا البيع سيصبح بمثابة طوق النجاة لجرير الذي سينقذه من الدمار الشامل لذا لم يستطع جرير المخاطرة بأن يكتشف أحدهم الحقيقة.

سألت "في": ماذا عن وديعة تعليم تانسي وماريجولد؟

قال البروفسور مؤكداً: ربما تأخذ بعض الوقت. لكنها ستستخدم في تعليم البنات بعد أن تُباع المزرعة وتسدَّد ديون جرير. لقد سمحت لنفسي باقتراح أن يمثِّل السيد بارتلبي البنات وهو سيكتب لوالدتك عن رغبته في القيام بهذا. لأنه سيكون المعضِّد المتحمِّس للحقوق القانونية للبنات. ولديَّ اقتراح آخر أقدِّمه لوالدتك وأرجو أن توافِقني عليه. فحتى يتم العثور على عائلة البنات يجب أن يكون لهما وصي مؤقت. وأظنُّ أنَّ والدتك هي الاختيار الأمثل. يمكنهم الاستمرار في العيش في منزل السامري يا آنسة ترافيللا لكن والدتك لديها شهرة طيبة لا مثيل لها في جميع محاكم جنوب كارولينا. ولن توجد أي معارضة تقريباً بخصوص وصاية السيدة إدوارد ترافيللا للبنات.

قالت "في": أعلم أنها ستوافق على هذا. فهي تحب البنات حباً جماً وعلى استعداد للقيام بأي شيء لأجلهم. لكن هل تعتقد أنَّ رؤيتنا للسيدكلنش ورجاله كانت لآخر مرَّة؟ وهل تعتقد أيضاً أنَّ البنات في أمان تام الآن؟

قال البروفسور بحزم : نعم، لم تعد البنات عُرضة للخطر من أي نوع. فليس للسيد كلنش أيّ اهتمام شخصي بهما. لكن على الجانب الآخر، أنت سترينه ثانية يا آنسة ترافيللا. فهذا أمر لا يمكن تفاديه لأنه جزء من ويلدوود. لكنّي أشك في أنه سيتسبَّب لك في مشاكل أخرى. فقد أثبت إصرارك وشجاعتك، ورجل مثل هذا لا يستطيع ترويع من لا يخافون منه.

قالت "في" بصوتٍ محبّ: لا، أنا لا أخاف من السيد كلنش. لكني ارتعش مما يجب عليَّ فعله بعد الحفل.

فشرحت "في" أمام نظرات البروفسور المتسائلة قائلة: لديَّ واجبٌ فظيعٌ عليَّ القيام به غداً. فقد حان وقت إطلاع البنات على الحقيقة

وإعلامهم بوفاة والدتهم.

مال البروفسور للأمام مرة أخرى ودون تفكير أخذ يد "في" وقال: إنه واحدٌ من أكثر الواجبات التى يمكن للمرء أن يقوم به. لكني لا أعتقد بوجود أحد أكثر منكم كفاءة للقيام بالمهمة. أنت يا آنسة ترافيللا وسيدات منزل السامري. ستقومون بالمهمة بكلّ المحبة والتعاطف الذي يحتاج إليه البنات. أتمنّى لو وُجد أناس لُطفاء وطيبين مثلكم لأطفالي حين ماتت والدتهم.

نظرت "في" لعينيه ووجدت بهما دموعاً وأدركت فجأة كمُ الألم الذي يمكن أن تكون عليه تجربته بل كاد قلبها ينخلع عليه.

قالت "في" بنعومة: أشكرك يا بروفسور ريموند. أنا مدينة جدا لك لأجل كل ما فعلته لنا. وأرجو أن أتمكّن في يوم ما من رد صنيعك.

رمش البروفسور عدة مرات فاختفت دموعه وباحمرار من الحرج أدرك أنه لا يزال يمسك بيدها فأطلقها ووقف ثمّ ذهب للمِدفأة محملقاً في نارها وقال: يمكنك فعل شيئاً لي. فبعد إذنك أودّ أن أتحدّث مع تانسي وماريجولد بعد أن يعلموا عن والدتهم. فقد علمت الكثير عن السيدة جرير وعائلة آل أيفانز من خلال تحرياتي. وكواحد غير معتاد على طرْق الجنوب، دُهشت وتشجّعت جداً من الحب العجيب والاحترام الشديد الذي كانوا يكنّوه لبعضهم البعض، بغضّ النظر عن اختلافاتهم في المكانة واللون. وقد يساعد البنات أن يعلموا ما سمعته من أناس عرفوهم جميعاً في أوقات أسعد.

قالت "في" بابتسامةٍ رقيقةٍ أوضحت غمازتها: سيكون هذا لطفٌ شديدٌ منك. أنت مرحباً بك دائماً في منزل السامري.

كان إد يراقب محادثتهما مفكّراً في مدى التغيُّر الذي طرأ على علاقتهما منذ أول يوم تقابلا فيه حين قدّم أخته لصديقه. كانت "في" حينها شديدة البرود والبروفسور متعالياً جداً. وبعد هذه المقابلة قرّر إد أن "في" ومارك ببساطة مثل الماء والزيت، وقبِل كارهاً الحقيقة الواضحة بأنهما لم يستطيعا التّماشي مع بعضهما.لكنه الآن رأى شيئاً مختلفاً- "في" أدفأ ومارك أكثر تواضعاً. ولم يكن متأكداً مما يعنيه كلُ هذا لكن جعله هذا يبتسم.

كاد إد أن يقول شيئاً لكن باب الحجرة فتح واندفعت روزماري داخلة. وأعلنت بنبرةٍ مغيظةٍ:لقد قالت السيدة لانسينج أنني قد أعثر عليكم هنا، لن يمكنكم الاختباء مني. ثم رأت الشخص الثالث الموجود معهما في الغرفة فهتفت قائلة: لم أكن أعلم أنك ستحضر الحفلة يا بروفسور ريموند! أوه، هذا رائع! هل استمعت لخطبة "في"؟

انحنى البروفسور في اتجاهها انحناءةً صغيرةً وقال: بالطبع يا آنسة روزماري وتأثرت بها جداً.

استدارت روزماري ناحية إد وقالت بطريقتها المرحة المطالبة: يجب أن تأتي معي الآن يا أخي الكبير. فأنت مديناً لي برقصة وكذلك لزوي. لقد وعدت بهذا وأنا لا أريد أن أضيع رقصة لأنّ هذا أول حفلٍ راقصٍ لي وأنا لا أريد أن أكون زهرة حائط.

وقف إد ومنح يده ل"في" التي قامت هي الأخرى وقال بضحكة علمتها روزماري جيداً: لا، لم يوجد أبداً زهرة حائط في عائلة آل ترافيللا ولكن لا أستطيع جعلك الأولى. فقالت روزماري ووجهها يشعُّ من الفرح: يجب أن تأتي أنت أيضاً يا بروفسور ريموند.

فأجابها قائلاً: كيف يمكن أن أقاوم دعوة كهذه؟.

ثم نظر نحو "في" وسأل: ربما يمكنك منحي شرف الرقصة التالية يا آنسة ترافيللا.فبالرغم من أنّي لا أستطيع الادّعاء بمهارتي في الرقص لكنّي سأبذُل قصارى جهدي.

أجابت "في": بكلّ سرورٍ يا سيدي.

فمدّ يده لها فأخذتها ووضعت ذراعها على ذراعه.

ونظرت لأعلى للرجل الطويل الكريم بوجهه القويّ وابتسامته الملتوية قليلاً. وفكّرت في كلّ الأشياء الغير متوقّعة التي قام بها من أجل الأطفال والإرسالية. فهي لم تقابل أبداً أحداً تصرفاته غير متوقعة مثله من قبل، وأرادت أن تعرف المزيد عنه.

فقالت وهما يغادران غرفة الشمس متّجهين ناحية الموسيقى: سأستمتع كثيراً بالرقص معك يا بروفسور ريموند. بالفعل أرى أني سأستمتع بهذا جداً.

الحفل الراقص

وصلت موسيقى الفرقة الموسيقية وأصوات الناس الذين يمتِّعون أنفسهم في منزل آل لانسينج آذان رجل جالسٍ فوق عربةٍ خفيفةٍ مكشوفة عبر الشارع. كما استطاع أن يرى بجلاء منظر المنزل الذي يشعُّ ضياء نوره،وذلك بالرغم من أنَّ عربته كانت مخبأة في مكان مظلم.

كان هذا الرجل هوالسيد كلنش الذى قال فى نفسه: لديك أصدقاء مؤثِّرين بحق يا آنسة ترافيللا. العمدة ومفوِّض البوليس وكل هؤلاء الساسة المتأنِّقين الذين رأيتهم الليلة بالداخل والرجل الطويل الذي أتي للفندق. هل هذا هو فارسك ذا السلاح البراق؟ هل تخبرين أصدقاءك الأثرياء عن إرساليتك يا آنسة ترافيللا؟ هل تأخذينهم في صفِّك الليلة؟ هل تعتقدين أني لن أسمع عن حفلتك؟ أنت تقلِّلين من قدري إذاً.

وظهرت على وجهه ملامح سخرية قبيحة وأكمل لنفسه: لن أقلِّل من قيمتك بعد الآن يا آنسة ترافيللا. ولا يمكنني ترويعك حتى تتركي المكان كما فعلت مع الجبناء الذين سبقوك. كذلك لا يمكنني قصف عنُقك الجميل. قالها بضحكةٍ مقتضبةٍ وأكمل: لكني سأجد طريقةً وقتما أريد. سأجد طريقة تُرجِع كل ويلدوود لتكون ملكي مرة أخري.

وطقطق مِقْود العربة بقوةٍ وغيظ فاندفع حصانه مثل الطلقة في الشارع. وبِبسمَةٍ صامتةٍ على شفتيه ابتعد واختفى في ظلام الليل.

نُشجعك على اقتناء سلسلة «فيوليت ترافيلا» والتي تقودك لـ «حياة الإيمان»

مخاوف فيوليت الخفية



فيوليت ترافيلا فتاة مراهقة، نشأت في سنة ١٨٧٧ في فترة حساسة جداً في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كانت في طور النمو والتوسع. ففي خلال تلك الفترة_ النصف الأخير من القرن التاسع عشر_ وهو عصر الابتكار والاختراع، نشأت بطلتنا «في» بين أسرة واسعة الثراء، مؤمنة، مترابطة. وهي فتاة مرهفة الحس، خلاقَّة، ومُبدعة، فنانة (تحب الرسم والتلوين).

وهي مُقرّبة جداً من والدها، وتشاركه في العديد من الصفات الرائعة، بما في ذلك سرعة البديهة، وحس الدُعابة، وحب السفر والمغامر، واستقلالية الروح والذي يؤدي إلى التفكير بطريقة غير تقليدية.

ولأنها فتاة حساسة جداً، فهي حساسة تجاه مشاعر الآخرين، وهو ما يؤدي أحياناً إلى إخفاء مشاعرها عن الآخرين حماية لنفسها أو للآخرين، كما يؤدي أيضاً لإنعدام الأمن. فلديها القليل من الثقة بالنفس، مع أنها واثقة جداً ومؤمنة جداً بالله.

تُرى كيف يكون ذلك.. وكيف يكون المخرج من كل هذا؟!

تعال واستمتع مع ملايين الفتيات اللاتي تغيرت حياتهن من جراء هذه القصص!

صيف فيوليت المذهل



فيوليت ترافيلاً على وشك الشروع في رحلة إيمان جديدة لا تنسى. والتي تبدأها بمقاومة لتلك الدعوة لقضاء شهر في اوهايو مع العمة الثريه. فتلك أول رحلة كبيرة لها بدون عائلتها ، وليس لديها أدنى فكرة عما سيتأتى لها في هذه الرحله في النهاية. فهي الآن تناهز الخامسة عشلار من عمرها، وستتعرف على أعضاء جُدد لعائلتها، وكذا أسرار عائلية جديدة. وسوف تتطرق لمعارف جديدة في حياتها، ولكن عندما قبلت العطلة بما قد تتوقعه من المرح الذي قد يملأ العطله تتحول فجا' إلى رحلة رحمه ، و فيوليت ، وبعون الله ، ستكون قادرة على مساعدة اولئك الذين هم في أحوج الحاجة للمساعدة.. كيف؟ ستكشفين ما قد يحمله هذا الصيف بدوره لفيوليت ، وكيف استعدت لمواجهة التعديات التي تنتظرها في تلك الاراضي عبر المحيطات؟

نقطة تحول فيوليت



فيوليت في الكتاب الثالث من سلسلة "حياة الإيمان" تقوم برحلة إلى مدينة نيويورك، هي وصديقاتها. وهم يتوقعون إجازة صيفية مليئة بالتشوق والتسوق، وزيارة للأماكن السياحية، والمناسبات الاجتماعية في أمريكا، وللأماكن الأكثر إثارة بالمدينة، إلا أن الأمور سرعان ما تصبح معقدة. إذ يُفقد أحد صديقاتها بشكل غامض وغريب وهو ما يقود إلى وضع مأساوي، وهو وضع لاختبار الثقة والتحدي لما يعنيه أن تكون مسئولاً عن الآخرين. فأن تكافح من أجل حماية الآخرين من الأذى هو إرادة دوام الإيمان، أليس كذلك؟

إرسالية فيوليت الجريئة



تتحدث القصة الرابعة لفيوليت ترافيللا عن عودتها للجنوب حيث محبوبتها أيون، بعد أن أخذتها مغامراتها الحديثة لأماكن مختلفة مثل مدينتي روما ونيويورك. وذهابها لمدينة ساحلية ليست بعيدة عن مزرعة آل ترافيللا كي تحاول تطبيق ما تعلمته من الآخرين وإتمام التزامها الشخصي بالخدمة. لكن لن يكون تحقيقها لهدفها هذا سهلاً. فسيوجد العديد ممن سيشكُون في صدق نواياها، كما سيحاول البعض بشتّى الطُرق إيقاف تقدُّمها، ولو بطرقٍ غير شرعية ومُؤذية

اقتن سلسلة «لي لي» بأكملها
للكاتبة العالمية نانسي رو !

سلسلة لي لي

في مجتمع مُوَجه تماماً لفكرة أن الجمال مُهِمّ، قد يكون من الصعب بالنسبة للبنات الصغيرات إدراك معنى الجمال "الحقيقي". حسناً، في هذا الكتاب الجديد، الفريد من نوعه، والخلّاق للبنات من سن ٨ - ١٢ عام، تردّ نانسي رو على الأسئلة الشائعة التي تطرحها البنات. في هذه المرحلة الغريبة غالباً من حياتهم.



وحيث يمتلئ بألغاز مرحة من نمط ألغاز المجلات وأنشطة تثير الخيال، فإن كتاب الجمال يعرض معلومات هادفة عن كل شئ بدءاً من الشعر السليم حتى الوشم، بالإضافة إلى موضوعات أخرى كثيرة. لكن الأهم من ذلك، هو التركيز على رسالة أن الثقة بالله أمراً جميلاً في كل صفحة.



انتقالك من بنت صغيرة إلى مُراهقة يجعل سنوات " المراهقة" فترة تغير كبير- وخصوصاً في جسمك! ولكل أسئلة المراهقة التي تخطر على بالك، يقدم كتاب الجسم للبنات كل شئ من البلوغ والتقلصات إلى الريجيم والتمرينات.

كتاب الجسم ملئ بالألغاز المرحة و النشاطات الرائعة، ولا يعرض مجرد معلومات دقيقة حديثة عن الموضوعات الشخصية التي تختبرها البنات، بل يناقشها أيضاً من منظور كتابي إيجابي.

أحياناً؛ بين سن ٨ - ١٢ عام يمكن أن تحدث لاشياء مريحة، وخصوصاً للبنات الصغيرات. فالأشياء التي كانت البنت تعتبرها عادية مع ماما أو بابا لا تصبح عادية فيما بعد. وفيما تبدأ حوافز إثبات النفس و الإستقلال عن الأبوين، يُمكن أن تظهر مشكلات كامنة بسهولة. كتاب حياتي مصمم لمساعدة البنات الصغيرات على إيجاد التوازن في صراعهن من أجل الإستقلال، ومن هنا يمكن أن تصير البنات ليس فقط على أفضل صورة لأنفسهنّ التي يقصدها الله.





كي تكوني فتاةً مبدعةً، ليسَ عليك أن تكُوني موسيقارة، أو فنانة، أو حتى كاتبة، لأنّ كل إنسان يتمتعُ بلمسةِ إبداع. وعمل المؤلفة نانسي رو " كتاب الإبداع" يساعد البنات على اكتشاف أنفسهن المبدعة مهما كانت. "كتابُ الإبداع" كتابٌ مُتالقٌ، وعَصريٌ، ومرحٌ، ويمتلئُ بالأنشطةِ التي سوف تُحبها المراهقات لأنها سوف تحفزهنّ على استكشاف إبداعهنّ وعلى الحياة بصورة مُختلفة.

- -



قَدْ يَبْدو ذلك مُفاجئًا، إلا أنَّ القِيَمَ والفضائل التي نُلخصها هنا بعنوان «الإلتزام» مهمة للبنات مثلك في هذه الأيام. فبينما الشبابَ لا يُطالبون بإدْراك كلي: ما هم، فأنت، على الأرجح، تَحْبين المعْرفة أكثرُ. لأن القيَمَ والفضائلَ يُمكنُ أنْ تَكُونا مفاهيمًا مُجرّدةً جداً للتَعريف، وكتابِ الإلتزام يَعْمل كموردِ ممتازِ في وقت أنت فيه تُطوّرين استقلالَكَ وأفكاركَ.

يعرض نصائح ومهاراتِ البناتِ النافعة لتَحْسين عادات الدراسة، والروح الرياضية، والعلاقات، والأكثر من ذلك، تَحُل المؤلفَةَ الأكثر رواجاً «نانسي رو» اللغز بالتَزويد الواضح، والمتماسك، مُستندةً على أمثلةَ كتابية التي تستطيع البناتِ فَهْمها بسهولة وتطبيقها على حياتِهم.

- -

التأديب ...... أليس هذا معناه أنك ثابتةً؟



نانسي رو تشير إلى " التأديب" بأنه التمرين الذي يطور العادات الروحية الإيجابية والمستمرة، طول الحياة. العادات مثل الصلاة، ودراسة الكتاب المقدس، والتكريس، والبساطة، والاعتراف، والعبادة، والإحتفال هى أنظمة روحية أساسية لمساعدتك في " السلوك". افحصي اختبار النفس وتعلمي بركات الوحدة والخدمة فيما تكتشفين طريقك الشخصي في رحلتك الروحية.



قالت السيدة أوفلاهرتي وهما تسمعان البكاء مرة أخرى: أنا متأكدة من أنه مجرد حيوان. ربما قطة، وفي الغالب مصابة، اعتقد أن علينا محاولة العثور عليها. هيا يا "في" امسكي بيدي.

قدمت "في" اللمبة للسيدة أوفلاهرتي وأمسكت بيدها وتبعتها في الصالة متجهتين لباب العلية المغلق. وفتحته السيدة أوفلاهرتي دون أن تحدث صوتا.

كانتا تاركتين لمبة غازية مضاءة بضوء ضعيف في الصالة، لكن مع هذا كانت سلالم العلية سوداء كحيلة السواد وبالكاد اخترق نور لمبة "في" الظلام. فتعلقت "في" بيد السيدة أوفلاهرتي وهما تصعدان السلالم على أطراف أصابعهن- والسيدة أوفلاهرتي في المقدمة.

أمسكت "في" بقوة بيد السيدة أوفلاهرتي وهن تتقدمن للأمام بحذر، استمرت السيدة أوفلاهرتي في تحريك اللمبة على شكل قوس ببطء من جانب لأخر باحثة عن أي علامة على الحركة.

ثم فجأة توقفتا عن بحثهما، فقد تحدث صوت من النهاية البعيدة للحجرة الطويلة- صوت صغير عالي بدا وكأنه يقول: النجدة. تبعه على الفور صوت مواء هزيل.

أن "في" ترافيللا على وشك مواجهة واحدة من التحديات التي لم تقابلها من قبل. فهي تعلم أن حلمها على وشك التحقق.لكنها لم تكن معدة إلا قليلا لمواجهة المشاكل التي ستعترضها. فمن سيأتي لمعونتها وهي تواجه قوى مجهولة مصممة على إنهاء عمل الإرسالية؟ وما الذي يجب عليها عمله لربح قلوب الناس الذين ترغب في خدمتهم؟ وهل .سيعضدها إيمانها وهي تواجه الشكوك والمخاطر؟

إن الكتاب الرابع لسلسلة حياة الإيمان لفيوليت ترافيللا "إرسالية فيوليت الجريئة" يقوم على شخصيات ابتدعتها الآنسة مارثا فنلي كاتبة القرن التاسع عشر التي كتبت سلسلة من الكتب الأكثر مبيعا عن الحياة المسيحية. وقد ألهمت كتبها الملايين من قراء عصرها. وي
(mission city press) الاستمرار في نشر قصص الآنسة فنلي المعتادة
المغامرة الجديدة ل"في" ترافيللا- الشابة الملتزمة بعيش إيمانها كل يوم



٩٨٤١٤
٠١٦١٣٧٣٢٩٨ - ٠١٨٦٥٤٨٣٨٨
www.el-kalema.com
info@el-kalema.com

I S B N 977-384-112-X 20 L.E



ارسالية فيوليت [977-384-112-X]